دليل النمل

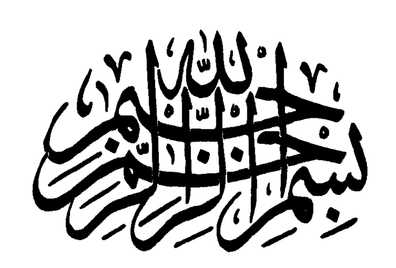
تأليف

محمد بن زين العابدين

راجعه وقدم له

فضيلة الشيخ : مصطفى العدوي

دار ابن رجب



دبيب النمل

الطبعة الأولى

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

رقم الإيداع : ٨٩٨٨ / ٢٠٠٥
الترقيم الدولى : 9 - 064 - 390 - 977

دار ابن رجب طبع. نشر. توزيع

فارسكور : تليفاكس ٠٠٢٠٥٧٤٤١٥٥٠ جوال : ٠١٢٢٣٦٨٠٠٢
المنصورة : شارع جمال الدين الأفغاني هاتف : ٠٠٢٠٥٠٢٣١٢٠٦٨

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

- وبعد:

فهذا مبحث جيدٌ ونافع من فضل الله، جمعه أخي في الله/ محمد زين العابدين ـ حفظه الله تعالى ـ يتعلق بالرياء وأحكامه، جمع فيه أخي محمد ما يتعلق بهذا الموضوع من آيات وأحاديث وآثار وأقوال المفسرين، وقد تحرى حفظه الله تعالى سلامة المادة المستدل بها وصحتها، وقد نظرت في هذا المبحث فألفيته نافعًا موفقًا أسأل الله أن يجازي كاتبه وجامعه وناشره خيرًا، وأن ينفع به الإسلام والمسلمين، وأن يجعله في سجل حسناته يوم يلقى ربه.

هذا، وصل اللهم على نبينا محمد وسلم

والحمد لله رب العالمين

كتبه

أبو عبد الله/ مصطفى بن العدوي

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين
نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين
لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين

دبيب النمل

(الرياء)

المقدمـــــة

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، قيل للحسن إن فلانا لا يعظ ويقول: أخاف أن أقول ما لا أفعل، فقال الحسن: (وأينا يفعل ما يقول؟ ود الشيطان لو ظفر بهذا، فلم يأمر بمعروف ولم ينه عن منكر)[1] :

لئن لم يعظ العاصين من هو مذنب   فمن يعظ العاصين بعـــــد محمـــد

أما بعـــد :

قال رَسُول الله صلى الله عليه وسلم: «**الحَلاَلُ بَيِّنٌ وَالحَرَامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لاَ يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى المُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ كَرَاعٍ يَرْعَى حَوْلَ الحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ، أَلاَ وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلاَ إِنَّ حِمَى اللهِ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ، أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ**»[2] .

قال بعض الشراح: (هذا الحديث عليه نور النبوة، عظيم الموقع من الشريعة) وقال آخرون: (هذا الحديث : ثلث الإسلام) وبعضهم قال: (ربعه)، وآخرون خصوه بالتأليف وأحصوا له فوائد جمة .

ما أردت أن أشير إليه بذكر هذا الحديث قوله صلى الله عليه وسلم: «**أَلاَ**

---

(١) (٥٦ / لطائف المعارف).

(٢) صحيح : (٥٢ / الإيمان / البخاري) (١٥٩٩ / المساقاة/ مسلم) كلاهما من حديث النعمان ابن بشير رضي الله عنه .

وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ» فالقلب درع المرء وصادّ العدو عنه، فإذا تمكن الأخير سواء كان شيطانا جنيًّا أو شيطانا إنسيًّا أو هوى نفسيًّا من تحطيم هذا الدرع استسلمت سائر الأعضاء : عين ولسان وأذن وفرج، وإن تمكن هذا الدرع من صد العدو ودفعه سلمت سائر الأعضاء .

وهكذا فإن صلاح القلب مستلزم لصلاح سائر الجسد، وفساده مستلزم لفساده، فإذا كان ظاهر المرء فاسدًا، عُلم بالضرورة بأن قلبه على علة .

لذا كان للعبادات القلبية أثار نافعة في الدنيا قبل الآخرة، فهي تكسب المرء سكينةً وطمأنينةً، ولنأخذ مثلاً كالخشية : وهي الخوف والحذر - ولا تكون إلا من الله تعالى، قال الله عز وجل : ﴿فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ﴾ [٣]، وقال أيضا : ﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ [٤] وقال : ﴿فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [٥]، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: **«فَوَاللهِ إِني لأَعْلَمُهُمْ بِاللهِ وَأَشَدُّهُمْ لَهُ خَشْيَةً»** [٦] .

فإذا خاف المرء أميرا وخاف سلطانا وخاف وزيرا وحذر شرطيًّا وفلانا وآخر وآخر، أنى يكون له الهناء وأنى تكون له الطمأنينة والسكينة، أما إذا

---

(٣)(٤٤ / المائدة).

(٤)(٤٠ / البقرة) : والرَّهْبُ والرَّهبة : الخوف ، وإياي فارهبون : أي خافون (١ / ٣٢٠ الجامع لأحكام القرآن).

(٥)(١٧٥ / آل عمران).

(٦)صحيح : (٦١٠١ / الأدب / البخاري) (٢٣٥٦ / الفضائل / مسلم) كلاهما من حديث عائشة رضي الله عنها .

خشي الله عز وجل : خاف أن يعاقبه إما في الدنيا وإما في الآخرة [٧] فجزاؤه عند الله تعالى قربة في الآخرة وسكينة وأمن في الدنيا، قال الله عز وجل: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللهِ وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [٨]، لما حذّر الناس شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى كان رده (ماذا يفعل أعدائي بي، أنا سجني خلوة، ونفيي سياحة، وموتي شهادة) وقد مدح الله تعالى المؤمنين بخوفهم منه عز وجل فقال: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [٩] .

وهكذا سائر العبادات القلبية تكسب المرء سكينة وطمأنينة في الدنيا والآخرة، وعلى العكس من ذلك الآثام القلبيـة، فهي أشد خطورة عليه من غيرها لأنها تفسد عليه دنياه قبل آخرته، فهي تتسلل إلى القلب بسهولة حتى إذا تمكنت منه أسرته، وصعُب عليه بعد ذلك التخلص منها حتى تهلكه .

ولا شك أن أشد هذه الآثام القلبية خطورة الشرك بالله عز وجل لأنه يهلك الإنسان فيأكل حسناته التي ظن أنه اكتسبها في الدنيا، ولا يذر منها حسنة واحدة تنفعه في الآخرة ثم يكب في النار .

والشرك نوعان: شرك أكبر وشرك أصغر؛ أما الشرك الأكبر فهو اتخاذ الند لله تعالى بأن يدعوه أو يرجوه أو يخافه أو يحبه كمحبة الله عز وجل أو يذبح

---

(٧) ولهذا قيل : ليس الخائف الذي يبكي ويمسح عينيه ، بل الخائف الذي يترك ما يخاف أن يعذب عليه ، قال أبو علي الدقاق : دخلت على أبي بكر بن فورك رحمه الله عائدا ، فلما رآني دمعت عيناه ، فقلت له (إن الله يعافيك ويشفيك) فقال لي: (أترى أني أخاف من الموت ، إنما أخاف مما وراء الموت) (٤ / ٢٥٠ الجامع لأحكام القرآن).

(٨) (١٧٣ :١٧٤ / آل عمران).

(٩) (٥٠ / النحل).

له أو ينذر [١٠] :

والشرك فاحذره فشرك ظاهر ذا القسم ليس بقابل الغفران
وهو اتخاذ الند للرحمن أيًّا كان من حجر ومن إنسان
يدعوه أو يرجوه ثم يخافه [١١] ويحبه كمحبة الديان

وأما الشرك الأصغر : قال العلامة ابن القيم رحمه الله (كيسير الرياء، والتصنع للخلق، والحلف بغير الله تعالى، وقول الرجل للرجل : ما شاء الله وشئت وهذا من الله ومنك وأنا بالله وبك وما لي إلا الله وأنت وأنا متوكل على الله وعليك ولولا الله وأنت لم يكن كذا وكذا، وقد يكون هذا شركا أكبر بحسب حال قائله ومقصده) [١٢] .

وأهم أبواب الشرك الأصغر الرياء وما يلحق به من يسير الرياء والتصنع للخلق والسمعة والعمل لغرض من الدنيا كأجر أو منفعة، عن رافع بن خديج رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «**إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر**» قالوا: يا رسول الله وما الشرك الأصغر؟ قال: «**الرياءُ، يُقالُ لمنْ يفعلُ ذلكَ إذَا جَاء النَّاسُ بأعمالِهِم اذهَبُوا إلى الَّذِين كُنتمْ تُراءُون فَاطلُبوا ذَلكَ عندَهم**» [١٣]، وعن شداد بن أوس رضي الله عنه قال : (كنا نعد الرياء على

---

(١٠) (٣٢٠ / الكواشف الجلية).

(١١) العلامة ابن القيم رحمه الله .

(١٢) (٣٠٤ ، ٣٠٥ / فتح المجيد).

(١٣) صححه الألباني (٩٥١ / الصحيحة) ، وجود إسناده المنذري (١ / ٦٩ الترغيب) ، وقال العراقي في تخريج الإحياء (رجاله ثقات) ، وقال الهيثمي (ورجاله رجال الصحيح) (١ / ٢٠١ مجمع الزوائد) : (٤ / ٢٥٣ الطبراني في الكبير) من حديث رافع بن خديج رضي الله عنه ، وفي مسند أحمد (٥ / ٤٢٨) والشعب للبيهقي (٥ / ٣٣٢) كلاهما من حديث محمود ابن لبيد رضي الله عنه : له صحبة ومختلف في سماعه من النبي صلى الله عليه وسلم ، قال الحافظ (صحابي صغير وجل روايته عن الصحابة) (١ / ٥٢٢ التقريب) .

عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشرك الأصغر)[١٤]، وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نتذاكر المسيح الدجال فقال : «**أَلاَ أُخْبِرُكم بِمَا هو أَخْوفُ علَيكمْ عِندَي مِنَ المسِيح الدَّجَّال؟**» قلنا : بلى، فقال : «**الشِّركُ الخَفيُّ أَنْ يَقومَ الرَّجلُ يُصلِّي فَيزيِّن صَلاَته لما يَرَى مِن نَظَر رَجُل**»[١٥] .

قال الطيبي - رحمه الله — في الرياء : (وهو من أضر غوائل النفس وبواطن مكايدها يبتلى به العلماء والعباد والمشمرون عن ساق الجد لسلوك طريق الآخرة فإنهم مهما قهروا أنفسهم وفطموها عن الشهوات وصانوها عن الشبهات عجزت نفوسهم عن الطمع في المعاصي الظاهرة الواقعة على الجوارح فطلبت الاستراحة إلى الظاهر بالخير وإظهار العلم والعمل فوجدت مخلصا من مشقة المجاهدة إلى لذة القبول عند الخلق ولم يقتنع باطلاع الخالق تبارك وتعالى وفرحت بحمد الناس ولم تقنع بحمد الله وحده فأحبت مدحهم وتبركهم بمشاهدته وخدمته وإكرامه وتقديمه في المحافل فأصابت النفس في ذلك أعظم اللذات وأعظم الشهوات وهو يظن أن حياته بالله تعالى وبعباداته وإنما حياته هذه الشهوة الخفية التي تعمى عن دركها العقول النافدة قد أثبت

---

(١٤) صححه الألباني (٣٥/ صحيح الترغيب) ، وصححه الحاكم وقال (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه) (٤ / ٣٦٥ المستدرك) ، ووافقه الإمام الذهبي : (٧ / ٢٨٩ الطبراني في الكبير) (١/ ١٩٦ الطبراني في الأوسط بلفظ : الشرك الأكبر بدلا من : الشرك الأصغر) (٣/ ٢٣٠ الشاميين) جميعهم من حديث شداد بن أوس رضي الله عنه .

(١٥) حسنه الألباني (٣٠ / صحيح الترغيب) ، وقال الحاكم (صحيح الإسناد ولم يخرجاه) (٤/ ٣٦٥ المستدرك) ، وقال الهيثمي في الزوائد (إسناده حسن) ، وقال البوصيري في زوائد ابن ماجه (إسناده حسن) : (٤٢٠٤ / الزهد/ ابن ماجه) (٣/ ٣٠ أحمد في المسند) جميعهم من حديث أبي سعيد رضي الله عنه .

اسمه عند الله من المنافقين وهو يظن أنه عند الله من عباده المقربين وهذه مكيدة للنفس لا يسلم منها إلا الصديقون ولذلك قيل آخر ما يخرج من رءوس الصديقين حب الرياسة) (١٦).

وقال الغزالي رحمه الله : (لا يستطيع أحد أن يقمع الرياء إلا بمجاهدة شديدة ومكابدة لقوة الشهوات) (١٧).

ولأبي العتاهية :

كُلنـا نُكثِر الملامة للدنيـا وكـل بِحبـهـا مفتـونُ

فإذا كان (الرياء) أخوف ما خافه النبي صلى الله عليه وسلم على الصحابة رضي الله عنهم، وهم من هم، وإذا كان أضر غوائل النفس عند العلماء والعباد والمشمرين عن ساق الجد، وهم من هم، فكيف الحال بنا ؟

لذا كان من الأهمية بمكان أن يفرد للرياء وما يلحق به بحث مستقل في : تعريفه وصوره وأبوابه وذمه وأدلة تحريمه وحكمه وأسبابه ومظاهره وعلاجه والغلو فيه وما يظن أنه منه وليس منه وخوف السلف رحمهم الله منه وحكم مسائل متعلقة به : كحكم من دخل عليه الرياء ودفعه ومن ترك العمل خوفاً من الرياء وإذا سر الإنسان بطاعته هل يعد مرائيا؟ وحكم من جهل الرياء وهل يبطل العمل المراءى به؟ وهل مجرد إظهار العبادة يعد رياء؟ وحكم إظهار الشعيرة لحث الناس عليها وحكم لباس الشهرة وحكم التعرف في المجالس وغير ذلك من المسائل التي فصلت فيها في سائر فصول البحث :

ومن يخطب الحسناء من غير أهلها بعيد عليه أن يفـوز بوصلهـا

---

(١٦) (٤٧٢ : ٤٧٣ / تيسير العزيز الحميد).

(١٧)(٣/ ٣١٠ الإحياء).

وقد ألحقت السمعة والعمل لغرض من الدنيا كأجر أو منفعة وغير ذلك مما ألحقه العلماء بالرياء في سائر فصول الكتاب تمشيا مع ما انتهجه علماء السلف رحمهم الله في كتبهم وذلك لعدة أسباب :

(الأول) وحدة الأسباب التي تولد الرياء أو السمعة أو غيرهما مما ألحق بهما وكذا المظاهر التي يعرف من خلالها المرء أنه يعاني من مرض من هذه الأمراض .

(الثاني) وحدة الأثر والنتيجة المترتبة على هذه الأمراض .

(الثالث) وحدة الهدف والغاية من البحث في هذا الموضوع وهو علاج هذه الأمراض وبيان مدى خطورتها وتحذير الناس منها .

(الرابع) متابعة لما انتهجه علماء السلف في كتبهم، حيث ربطوا بين هذه الأمراض وأدرجوها تحت مسمى الرياء .

(الخامس) التعبير بالرياء من باب التعبير بالأغلب .

والله أسأل أن يوفقني لإتمام هذا العمل على الوجه الذي يحبه ويرضاه، وصلِّ اللهم وبارك على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وتابعيهم بإحسان وسلم تسليما كثيرا .

فصل في : تعريف الرياء

أولاً : الرياء لغةً :

مصدر : راءاه يرائيه رياءً ومراءاة [١٨] .

ومادته (رأى) التي تدل على نظر وإبصار بعين أو بصيرة، ومنهم قولهم (راءى فلان) و (فعل ذلك رئاء فلان) و(رياء الناس) فالمعنى : يفعل شيئا ليراه الناس [١٩]، وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله : (الرياء مشتق من الرؤية)[٢٠] .

وقول (استرأى الشيء) : استدعى رؤيته، و (راءيت الرجل مراءاة ورياءً) : أريته أني على خلاف ما أنا عليـه [٢١] .

وقول (هم رئاء) أي يقابل بعضهم بعضا، و (بيوتهم رئاء) أي متقابلة، و (تراءى القوم) أي: رأى بعضهم بعضا، و (فلان مني بمرأى ومسمع) أي حيث أراه وأسمع قوله، و (فلان يتراءى) أي ينظر إلى وجهه في المرآة [٢٢]، ومنه قول الشاعر :

ليالي يلقى سرب دهماء سربنا ولسنا بجيران ونحن رئـــاء

و(ترآى لي) و (تراءى لي) : تصدى لي كي أراه، و (رأى المكان المكان) : قابله حتى كأنه يراه، ومنه قول الله عز وجل : (فَلَمَّا تَرَاءَى الـجَمْعَانِ قَالَ

---

(١٨) (٤ / ١٥ لسان العرب) (٤ / ١٨٥ سبل السلام) .
(١٩) (٢ / ٤٧٢ : ٤٧٣ مقاييس اللغة) .
(٢٠) (٣٠٢/ فتح المجيد) .
(٢١) (٤ / ١٥ لسان العرب) .
(٢٢) (١ / ٩٦ مختار الصحاح).

أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ) [٢٣]، أي رأى كل منهما الآخر، ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم : «**إِنَّ أَهْلَ الـجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ الغُرَفَ فِي الجَنَّةِ كَمَا تَتَرَاءَوْنَ الكَوْكَبَ فِي السَّمَاءِ**»[٢٤] .

وكل ذلك من رؤية العين .

ويقال (استرأيت الرجل في كذا) أي استشرته، وكذا يقال (راءيته) أي استشرته، ومنه قول الشاعر :

فإن تك حين شاورناك قل لنا   بالنصح منك لنا فيما نرائيكا

والمعنى نستشيرك [٢٥]، وقول (يسترأى فلان) مثل يستحمق [٢٦] .

وقول (ألم تر إلى فلان؟) و (ألم تر إلى كذا؟) : كلمة تقولها العرب عند التعجب من الشيء، وعند تنبيه المخاطب، ومنه قول الله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الكِتَابِ﴾ [٢٧] وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ﴾[٢٨] ، وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا﴾ [٢٩] وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ الله عَلَيْهِمْ﴾ [٣٠] وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي

---

(٢٣) (٦١ / الشعراء).
(٢٤) صحيح : (٦٥٥٥ / الرقاق / البخاري) (٢٨٣٠ / الجنة وصفة نعيمها / مسلم) كلاهما من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه .
(٢٥) (٤ / ١٥ لسان العرب).
(٢٦) (١ / ٩٦ مختار الصحاح).
(٢٧) (٥١ / النساء).
(٢٨) (٤٩ / النساء).
(٢٩) (١١ / الحشر).
(٣٠) (١٤ / المجادلة).

رَبِّهِۦٓ﴾[٣١] : والاستفهام في الآيات للتعجب، و(تر) أي تنظر [٣٢] .

ويقال (مرآته) أي ظاهره، وفي المثل (تخبر عن مجهوله مراءاته) والمعنى ظاهره يدل على باطنه [٣٣]، ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم : «فَأَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ كَرِيهِ المَرْآةِ كَأَكْرَهِ مَا أَنْتَ رَاءٍ رَجُلاً مَرْآةً» [٣٤]، أي قبيح المنظر، و(الترئية) حسن البهاء وحسن المنظر، يقال (رجل حسن المرآى) [٣٥]، ومنه قول الله عز وجل : ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثاً وَرِئْياً﴾[٣٦] .

والوصف من ذلك : (قوم مراءون) و (رجل مراء) وسمي بذلك : لأنه يري الناس أنه يفعل ولا يفعل بالنية [٣٧] .

ثانيًا : الرياء اصطلاحا :

قال الحسن رحمه الله : (أصل الرياء حب المحمدة) [٣٨]، وقال القرطبي رحمه الله في تفسيره: (إظهار الجميل ليراه الناس، لا لاتباع أمر الله عز وجل)[٣٩]، وقال في موضع آخر : (طلب ما في الدنيا بالعبادة وأصله طلب المنزلة في قلوب الناس)[٤٠]، وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله : (إظهار العبادة

---

(٣١) (٢٥٨/ البقرة).
(٣٢) (٥/ ٢٨٩، ٢٩٦ أيسر التفاسير).
(٣٣) (١/ ٩٦ مختار الصحاح) .
(٣٤) صحيح : (٧٠٤٧/ التعبير / البخاري) من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه .
(٣٥) (٤/ ١٥ لسان العرب) .
(٣٦) (٧٤/ مريم).
(٣٧) (٤/ ١٦ لسان العرب).
(٣٨) (٥١/ الأولياء).
(٣٩) (الجامع لأحكام القرآن).
(٤٠) (٢٠/ ١٦٦ الجامع لأحكام القرآن).

لقصد رؤية الناس لها فيحمدون صاحبها) [٤١].

وقال الجُرجاني رحمه الله : (ترك الإخلاص في العمل بمراعاة غير الله فيه) [٤٢]، وقال الغزالي رحمه الله : (طلب المنزلة في قلوب الناس بإيرائهم خصال الخير، وهو مخصوص بحكم العادة بطلب المنزلة في القلوب بالعبادة وإظهارها، ومن ثم يكون الرياء المذموم شرعًا إرادة العباد بطاعة الله) [٤٣]، وقال الصنعاني رحمه الله : (أن يفعل الطاعة ويترك المعصية مع ملاحظة غير الله أو يخبر بها أو يحب أن يطلع عليها لمقصد دنيوي من مال أو نحوه) [٤٤]، وقال التهانوي رحمه الله : (حد الرياء : فعل الخير لإراءة الغير) [٤٥]، وقال الهيتمي رحمه الله : (حد الرياء المذموم : إرادة العامل بعبادته غير وجه الله تعالى، كأن يقصد إطلاع الناس على عبادته وكماله، فيحصل له منهم نحو مال أو جاه أو ثناء) [٤٦].

وقال الشيـــخ سليمان بن عبد الله رحمه الله في (شرح كتاب التوحيد) : (أن يري الناس أنه يعمل عملاً على صفة وهو يضمر في قلبه صفة أخرى) [٤٧]، وقال في موضع آخر : (الإخلاص استواء أحوال العبد في الظاهر والباطن،

(٤١) (١١ / ٣٤٤ فتح الباري).
(٤٢) (١١٩ / التعريفات).
(٤٣) (٣ / ٢٩٧ الإحياء).
(٤٤) (٤ / ١٨٥ سبل السلام).
(٤٥) (٣ / ٦٠٧ : ٦٠٨ اصطلاحات الفنون).
والحد : التعريف، وحد الرياء : أي تعريف الرياء.
(٤٦) (١ / ٤٣ الزواجر).
(٤٧) (٤٦٤ / تيسير العزيز الحميد) الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب صاحب كتاب تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد : ولد في ١٢٠٠ هـ، وتوفي في ١٢٣٣ هـ.

والرياء أن يكون ظاهر العبد خيرًا من باطنه، أي لملاحظة الخلق والصدق في الإخلاص أن يكون باطنه أعمر من ظاهره) [٤٨]، وقال الشيخ ابن العثيمين رحمه الله : (أن يعبد الله ليراه الناس فيمدحوه على كونه عابدًا)[٤٩] .

وقيل الرياء:(فعل لا تدخل فيه النية الخالصة، ولا يحيط به الإخلاص)[٥٠] .

وقال الهيتمي رحمه الله : إذا أطلق لفظ الرياء ـ شرعا ـ فالمراد الرياء المذموم (وهو العبادة التي يراد بها غير وجه الله تعالى)، وقد يطلق الرياء على أمر مباح وهو طلب نحو المال والجاه والتوقير بغير عبادة، كأن يقصد بزينة لباسه الثناء عليه بالنظافة والطلاوة ونحو ذلك ووجه عدم الحرمة أنه ليس فيه ما في الرياء المحرم من التلبيس بالدين والاستهزاء برب العالمين، قال بذلك الغزالي في الإحياء والهيتمي في الزواجر وجملة من أهل العلم، وليس الأخير محل بحثنا لكونه مباحًا، وقد أشرنا له فيما بعد .

وقد سمى النبي صلى الله عليه وسلم الرياء الشرك الخفي : فقال: **«الشركُ الخفيُّ أنْ يَقومَ الرَّجلُ يُصلِّي فَيزيِّن صلاتَه لما يرى مِن نَظر رَجُل»**[٥١]، وكذا سماه شرك السرائر فقال: **«أيُّها النَّاس إيَّاكم وشركَ السَّرائر»** قالوا : يا رسول الله ما شرك السرائر؟ قال: **«يَقومُ الرجُل فَيُصلِّي فَيزيِّن صَلاتَه جَاهدًا لما يَرَى مِن نَظَر النَّاس إليهِ فَذَاكَ شِرْكَ السَّرائِر»**[٥٢] .

---

(٤٨) (٤٧٢ / تيسير العزيز الحميد).

(٤٩) (٧٤ / القول المفيد) .

(٥٠) (٣ / ٦٠٧ : ٦٠٨ اصطلاحات الفنون) .

(٥١) سبق تخريجه .

(٥٢) حسنه الألباني (٣١ / صحيح الترغيب) : (٢ / ٢٩١ البيهقي في الكبرى) من حديث جابر رضي الله عنه ، وفي صحيح ابن خزيمة (٩٣٧) ومصنف ابن أبي شيبة (٢ / ٢٢٧)

وسماه الشرك لأن العمل الذي شابه لم يكن خالصا لله تعالى وإنما شاركه فيه غيره، وقول النبي صلى الله عليه وسلم الشرك الخفي : لأن صاحبه يظهر أن عمله لله عز وجل وأخفى في قلبه أنه لغيره أو أشرك معه فيه غيره فزين صلاته لأجله، وأما قوله شرك السرائر : لأنه يلازم سريرة المرء، ولا يجهر به علانية .

كلاهما من حديث محمود بن لبيد رضي الله عنه ، له صحبة ، ومختلف في سماعه من النبي صلى الله عليه وسلم ، قال الحافظ (صحابي صغير وجل روايته عن الصحابة) (١ / ٥٢٢ التقريب) .

فصل في : تحريم الرياء وذمه

ذكر الذهبي الرياء ضمن الكبائر، وذكر أدلة ذلك من الكتاب والسنة وآثار السلف الصالح، وعده الهيتمي الكبيرة الثانية بعد الشرك بالله، وقال : (شهد بتحريمه الكتاب والسنة وانعقد عليه إجماع الأمة) وبعد أن أفاض في ذكر أدلة تحريمه قال : المعنى في تحريمه وكونه كبيرة وشركا مقتضيًا للعن أن فيه استهزاء بالحق تعالى، ومن ثم كان الرياء من كبائر الكبائر المهلكة وفيه أيضًا تلبيس على الخلق لإيهام المرائي لهم أنه مخلص مطيع لله تعالى وهو بخلاف ذلك[٥٣].

ولذلك سماه النبي ﷺ : «**الشرك الخفي**» وسماه «**شرك السرائر**» .

وذكر الرياء في الكتاب والسنة لم يأت إلا مذموما، والأدلة على تحريمه كثيرة جدًّا منها الصريح في التحريم ومنها ما ليس بصريح، ونسوق هذه الأدلة مع ذكر تعليقات العلماء بإيجاز شديد :

الأعمال بالنيات :

عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ**»[٥٤].

---

(٥٣) (١٥٤ / الكبيرة السابعة والثلاثين / الكبائر للذهبي) (٢ / ٤٤ الزواجر للهيتمي) .

(٥٤) صحيح : (٥٤ / بدء الوحي / البخاري) (١٩٠٧ / الإمارة / مسلم) كلاهما من حديث عمر رضي الله عنه .

والمقصود أن من قصد بهجرته وجه الله تعالى وقع أجره على الله تعالى، وإذا قصد بها عرضاً من الدنيا كمال أو سلطان أو امرأة يتزوجها، فحظه من هجرته ما أصابه من متاع الدنيا ولا نصيب له في الآخرة بهذه الهجرة :

ولله در إبراهيم بن أدهم حين قال :

نرقع دُنيانا بتمزيقِ ديننا   فلا دِينُنا يبقى ولا ما نُرقعُ

من عمل عملاً أشرك فيه مع الخالق تبارك وتعالى غيره من المخلوقين:

قال الله عز وجل: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾ (٥٥) :

قال الماوردي وعلماء التفسير : المعنى (لا يرائي بعمله أحدا)، قال عبدالواحد: لقيت الحسن فقلت : يا أبا سعيد، أخبرني عن الرياء أشرك هو؟ قال : نعم أما تقرأ ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ﴾؟ وتلا الآية (٥٦) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «**قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ**

---

(٥٥) (١١٠ / الكهف) أورد الإمام الطبري رحمه الله (١٦ / ٤٦ جامع البيان) ، وكذا الإمام القرطبي رحمه الله (١١ / ٦٠ الجامع لأحكام القرآن) في سبب نزول الآية حديث : (قال رجل يا نبي الله إني أقف المواقف أبتغي وجه الله وأحب أن يرى موطني فلم يرد عليه شيئا حتى نزلت هذه الآية: ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحًا ولا يشرك بعبادة رَبِّهِ أحدًا﴾ : (٤ / ٣٦٦ المستدرك) (١ / ٣٤ الجهاد لابن المبارك) مرسلا عن طاوس عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وصححه الحاكم موصولا عن طاوس عن ابن عباس رضي الله عنهما وقال (صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه) (٢ / ١٢٢ المستدرك) ، وضعفه الألباني (٨٣٦ / ضعيف الترغيب) .

(٥٦) (١١ / ٦٠ الجامع لأحكام القرآن).

معي غيري تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ» (٥٧) :

أي قصد به إرضاء غير الله من المخلوقين أو نيل تقديره .

عن الضحاك بن قيس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنَّ الله عزَّ وجلَّ يقولُ أنَا خَيرُ شَريكٍ فمَن أشرَكَ معي شَريكًا فَهو لشَريكي يَا أيُّها النَّاسُ أخْلِصُوا أعْمالَكُم لله عزَّ وجلَّ فإنَّ اللهَ لاَ يَقبلُ مِن الأعمالِ إلاَّ مَا خَلصَ لهُ ولاَ تَقولُوا هَذا لله والرَّحم فإنَّها للرَّحم ولَيسَ لله مِنه شَيءٌ ولاَ تَقولُوا هَذا لله وَلوُجوهِكم فإنَّه لِوُجوهِكم وليس لله مِنهُ شَيءٌ» (٥٨) .

أول من تسعر بهم النار :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إنَّ الله تَباركَ وتَعالَى إذَا كَان يَوم القِيامةِ ينزلُ إلى العِبادِ ليقضيَ بينهم وكلُّ أمةٍ جاثيةٌ فَأولُ مَن يَدْعو بِهِ رجلٌ جَمَعَ القُرآنَ ورجُلٌ يَقتتِلُ في سَبيلِ الله ورجلٌ كثيرُ المالِ فيقولُ الله للقَارِئ ألم أعلمكَ مَا أنزَلتُ علَى رَسُولي؟ قَال بَلى يا رَبِّ قال فَماذا عَملتَ فيمَا عَلمْتَ؟ قال كُنتُ أقومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيلِ وآنَاءَ النهار فيقولُ الله لَهُ كَذَبتَ وتقولُ لهُ الملائكةُ كذَبتَ ويقولُ الله بَل أردتَ أنْ يقالَ إنَّ فُلانًا قَارئ فقدْ قيلَ ذلكَ ويؤتَى بصاحِبِ المالِ فيقولُ الله لهُ ألم أوسِّع عليكَ حتَّى لم أدعكَ تحتاجُ إلى أحد قَال بَلى يَا ربِّ قَال فَماذا عَملتَ فِيمَا آتيتكَ؟ قَال كُنت أصلُ الرَّحِم وأتصدَّقُ فيقولُ الله لهُ كذبتَ وتقولُ لهُ الملائكةُ كذبتَ ويقولُ الله تعالَى بلْ أردتَ أنْ يُقالَ

---

(٥٧) صحيح : (٢٩٨٥ / الزهد والرقائق/ مسلم) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا.

(٥٨) صححه الألباني وقال (صحيح لغيره) (٢٧٦٤ / الصحيحة) ، وقال المنذري في سنده (لا بأس به) : (١ / ٥١ الدارقطني في سننه) من حديث الضحاك بن قيس رضي الله عنه .
وفي مصنف ابن أبي شيبة (٧ / ١٣٧) موقوفا على الضحاك رضي الله عنه مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم حكما .

فلانٌ جَوادٌ فقدْ قيلَ ذاكَ ويؤتَى بالَّذِي قُتلَ فِي سَبيلِ الله فيقولُ الله لهُ فِي مَاذا قتلتَ؟ فيقولُ أمرتُ بالجهادِ فِي سَبيلكَ فقاتلتُ حتَّى قُتلتُ فيقولُ الله تَعالى لهُ كذبتَ وتقولُ لهُ الملائِكةُ كذبتَ ويقولُ الله بَلْ أردتَ أنْ يُقال فلانٌ جريء فقدْ قيلَ ذاكَ» ثم قال: «أولئِكَ الثَّلاثةُ أوَّل خَلقِ الله تُسعَّر بِهِم النَّارُ يَومَ القيامَة»[٥٩] .

قال ابن عبد البر (وهذا الحديث فيمن لم يرد بعمله وعلمه وجه الله تعالى)[٦٠] .

فكما أن لحامل القرآن والمجاهد بنفسه والمتصدق بماله أجر ما ليس لغيرهم، فكذلك يلزمهم من التحفظ ما لا يلزم غيرهم، هكذا قال العلماء وروي عن أبي جعفر محمد بن علي في قول الله تعالى : ﴿فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالغَاوُونَ﴾ [٦١]، قوله : (قوم وصفوا الحق والعدل بألسنتهم، وخالفوه إلى غيره)[٦٢] .

من سَمَّعَ سَمَّعَ الله به :

عن ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم «مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ الله بِهِ وَمَنْ رَاءَى رَاءَى الله بِهِ» [٦٣] .

قال الإمام النووي رحمه الله :قال العلماء : معناه : من راءى بعمله

---

(٥٩) صحيح : (١٩٠٥ / الإمارة / مسلم) واللفظ كما في سنن الترمذي (٢٣٨٢ / الزهد) ، وقد وهم الحاكم رحمه الله وقال : هذا حديث صحيح ولم يخرجاه (١٥٢٧ / المستدرك) وجميعهم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٦٠) (١ / ٣٦ الجامع لأحكام القرآن) .

(٦١)(٩٤/ الشعراء).

(٦٢)(١ / ٣٨ الجامع لأحكام القرآن).

(٦٣) صحيح : (٢٩٨٦ / الزهد والرقائق / مسلم) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، (٦٤٩٩ / الرقاق / البخاري) من حديث جندب رضي الله عنه .

وسمعه الناس ليكرموه ويعظموه ويعتقدوا خيره سمع الله به يوم القيامة الناس وفضحه، وقيل : معناه : من سمع بعيوبه وأذاعها أظهر الله عيوبه، وقيل : أسمعه المكروه، وقيل : أراه الله ثواب ذلك من غير أن يعطيه إياه، ليكون حسرة عليه، وقيل معناه : من أراد بعمله الناس أسمعه الله الناس، وكان ذلك حظه منه [٦٤] .

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله : (وقيل : من قصد بعمله الجاه والمنزلة عند الناس ولم يرد به وجه الله فإن الله يجعله حديثًا عند الناس الذين أراد نيل المنزلة عندهم، ولا ثواب له في الآخرة، ومعنى (يرائي الله به) : أي يطلعهم على أنه فعل ذلك لهم لا لوجهه، وقيل : المعنى من يرائي الناس بعمله أراه الله ثواب ذلك العمل وحرمه إيـاه)، وقال الخطابي رحمه الله : (معناه : من عمل عملاً على غير إخلاص، وإنما يريد أن يراه الناس ويسمعوه جوزي على ذلك بأن يشهره الله ويفضحه ويظهر ما كان يبطنه) [٦٥] .

والقول الأول أرجح : دل على ذلك حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «**مَا مِن عبدٍ يقومُ في الدُّنيا مَقامَ رياءٍ وسُمعةٍ إلاَّ سمَّع الله به على رءوسِ الخلائقِ يومَ القيامةِ**» [٦٦]، وأيضا حديث أسامة رضي الله عنه قال صلى الله عليه وسلم: «**يُؤْتَى بِالرَّجُلِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُ بَطْنِهِ فَيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الحِمَارُ بِالرَّحَى فَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ**

(٦٤)(٩ / ٣٤٣ صحيح مسلم بشرح النووي) .

(٦٥)(١١ / ٣٤٤ : ٣٤٥ فتح الباري) .

(٦٦) حسنه الألباني وقال (حسن لغيره) (٢٧٥٣ / صحيح الترغيب) ، وقال في موضع آخر (صحيح لغيره) (٢٨ / صحيح الترغيب) : (٢٠ / ١١٩ الطبراني في الكبير) (٢ / ١٢٢ مسند الشاميين) من حديث معاذ رضي الله عنه .

فَيَقُولُونَ يَا فُلاَنُ مَا لَكَ أَلَمْ تَكُنْ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ؟ فَيَقُولُ بَلَى قَدْ كُنْتُ آمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلاَ آتِيهِ وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ»(٦٧).

ولا مانع من أن يجتمع مع التسميع به في الآخرة فضحه في الدنيا معاملة له بنقيض مقصوده، بل الجمع أولى: روى البخاري رحمه الله حديث جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رضي الله عنه قَالَ شَكَا أَهْلُ الكُوفَةِ سَعْدا إِلَى عُمَرَ رضي الله عنه فَعَزَلَهُ وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ عَمَّارا، فَشَكَوْا حَتَّى ذَكَرُوا أَنَّهُ لاَ يُحْسِنُ يُصَلِّي، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فَقَالَ يَا أَبَا إِسْحَاقَ إِنَّ هَؤُلاَءِ يَزْعُمُونَ أَنَّكَ لاَ تُحْسِنُ تُصَلِّي قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ أَمَّا أَنَا وَالله فَإِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي بِهِمْ صَلاَةَ رَسُولِ الله

---

(٦٧) صحيح: (٢٩٨٩ / الزهد والرقائق / مسلم) (٣٢٦٧ / بدء الخلق / البخاري) كلاهما من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما.

وأقتابه: أمعاؤه، والاندلاق: خروج الشيء من مكانه.

وفي الباب أحاديث ضعيفة:

(لا تخادع الله فإنه من يخادع الله يخدعه الله ونفسه يخدع لو يشعر) قالوا يا رسول الله: وكيف يخادع الله قال (تعمل بما أمرك الله به، وتطلب به غيره، واتقوا الرياء فإنه الشرك وإن المرائي يدعى يوم القيامة على رءوس الأشهاد وبأربعة أسماء: يا كافر يا خاسر يا غادر يا فاجر، ضل عملك وبطل أجرك فلا اختلاق لك اليوم فالتمس أجرك ممن كنت تعمل له يا مخادع) (١١، ١٤٤ / الذهبي في الكبائر) (١ / ٣٧ الجامع لأحكام القرآن) (الطبري في آداب النفوس): من طريق عمرو بن عامر البجلي، وهو مقبول لم أجد له متابعة، فهو لين (٢ / ٥٨ التقريب).

(يخرج في آخر الزمان رجال يختلون الدنيا بالدين يلبسون للناس جلود الضأن من اللين ألسنتهم أحلى من السكر وقلوبهم قلوب الذئاب يقول الله: أبي يغترون أم علي يجترئون، فبي حلفت لأبعثن على أولئك منهم فتنة تدع الحليم فيهم حيران) (٢٤٠٤ / الزهد / الترمذي) من حديث أبي هريرة ، ضعفه الألباني وقال (ضعيف جدًّا) (١٣ / ضعيف الترغيب)، وفي سنده يحيى بن عبيد الله وهو متروك، ورماه الحاكم بالوضع (٢ / ٢٧١ التقريب).

صلى الله عليه وسلم مَا أَخْرِمُ عَنْهَا، قَالَ ذَاكَ الظَّنُّ بِكَ يَا أَبَا إِسْحَاقَ، فَأَرْسَلَ مَعَهُ رَجُلاً إِلَى الكُوفَةِ، فَسَأَل عَنْهُ أَهْلَ الكُوفَةِ، وَلَمْ يَدَعْ مَسْجِداً إِلاَّ سَأَلَ عَنْهُ، ويثني مَعْرُوفاً، حَتَّى دَخَلَ مَسْجِداً لِبَنِي عَبْسٍ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ أُسَامَةُ بْنُ قَتَادَةَ يُكْنَى أَبَا سَعْدَةَ قَالَ أَمَّا إِذْ نَشَدْتَنَا فَإِنَّ سَعْداً كَانَ لاَ يَسِيرُ بِالسَّرِيَّةِ، وَلاَ يَقْسِمُ بِالسَّوِيَّةِ، وَلاَ يَعْدِلُ فِي القَضِيَّةِ، قَالَ سَعْدٌ (أَمَا وَالله لأَدْعُوَنَّ بِثَلاَثٍ، اللهمَّ إِنْ كَانَ عَبْدُكَ هَذَا كَاذِباً، قَامَ رِيَاءً وَسُمْعَةً فَأَطِلْ عُمرَهُ، وَأَطِلْ فَقْرَهُ، وَعَرِّضْهُ بِالفِتَنِ) وَكَانَ بَعْدُ إِذَا سُئِلَ يَقُولُ شَيْخٌ كَبِيرٌ مَفْتُونٌ، أَصَابَتْنِي دَعْوَةُ سَعْدٍ، قَالَ عَبْدُ المَلِكِ بن عمير فَأَنَا رَأَيْتُهُ بَعْدُ قَدْ سَقَطَ حَاجِبَاهُ عَلَى عَيْنَيْهِ مِنَ الكِبَرِ، وَإِنَّهُ لَيَتَعَرَّضُ لِلْجَوَارِي فِي الطُّرُقِ يَغْمِزُهُنَّ [٦٨]، قال أنس رضي الله عنه (من أكل بأخيه المسلم أكلة أطعمه الله بها أكلة من النار، ومن لبس بأخيه المسلم ثوبًا ألبسه الله به ثوبًا من النار، ومن قام بأخيه المسلم مقام سمعة ورياء أقامه الله مقام رياء وسمعة)[٦٩]:

ألا إنما الدنيا نضـــارةُ أيكـــةٍ	**إذا اخضر منها جانب جف جانبُ**
هي الدار ما الآمـــال إلا فجائعٌ	**عليها ولا اللذاتُ إلا مصائـــــبُ**
فكم سخنت بالأمس عينٌ قريرةٌ	**وقرتْ عيون دمعُها اليوم ساكـبُ**
فلا تكتحل عينك فيها بعبـــــرةٍ	**على ذاهبٍ منها فإنك ذاهــــبُ[٧٠]**

(٦٨) صحيح : (٧٥٥/ الأذان/ البخاري) .
(٦٩) (١٥٧/ الصمت).
(٧٠) لابن عبد ربه .

الشرك الأصغر :

قال الله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِالله إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ (٧١) :

قال صاحب الظلال رحمه الله : مشركون سببًا من الأسباب مع قدرة الله تعالى في النفع أو الضر، مشركون في الدينونة لقوة غير قوة الله عز وجل، مشركون في رجاء يتعلق بغير الله من عباده على الإطلاق، مشركون في تضحية يشوبها التطلع إلى تقدير الناس، مشركون في جهاد لتحقيق نفع أو دفع ضر ولكن لغير الله، مشركون في عبادة يلحظ فيها وجه مع وجه الله تعالى (٧٢) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: وهكذا حال من كان متعلقًا منها برياسة أو صورة أو نحو ذلك من أهواء معينة، إن حصل له رضي، وإن لم يحصل له سخط، فهذا عبد ما يهواه من ذلك وهو رقيق له، والرق والعبودية في الحقيقة هو رق القلب وعبوديته، فما استرق القلب واستعبده فهو عبده (٧٣) .

وحال هذا يختلف عمن يرغب ويدعو الله عز وجل في حاجة من حوائج معيشته ليستعملها، لا يقدسها، كركوبة أو شربة أو طعمة أو سكنى وما إلى ذلك، فإذا تعلق قلبه بها انقلب حاله معها من الاستعمال إلى الاستعباد .

وعن رافع بن خديج رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «**إنَّ أخوفَ مَا أخافُ عليْكُم الشِّركُ الأصْغرُ**» قالوا يا رسول الله : وما الشرك الأصغر؟ قال: «**الرِّياءُ، يُقالُ لمنْ يفعلُ ذلكَ إذَا جَاء النَّاس بأعمالهم اذْهبوا إلى الَّذينَ كنتمْ تُراءونَ فاطْلبوا ذلكَ عندَهمْ**» (٧٤) .

---

(٧١)(١٠٦ / يوسف)
(٧٢)(٤ / ٢٠٣٣ الظلال)
(٧٣)(٣٠٩ / فتح المجيد)
(٧٤)سبق تخريجه .

وعن شـداد بن أوس رضي الله عنه قـال : (كنا نعد الرياء على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشرك الأصغـر)[٧٥] .

وقد وضع شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في كتابه (التوحيد) بابًا بعنوان : الخوف من الشرك، وبعد أن أورد الأدلة، قال : فيه مسائل : (الأولى) الخوف من الشرك، (الثانية) أن الرياء من الشرك، (الثالثة) أنه من الشرك الأصغر، (الرابعة) أنه أخوف ما يخاف منه على الصالحين .

والفرق بين الشركِ الأكبر والأصغر :

أولا : أن الأكبرَ لا يُغفر لصاحبه، وأما الأصغر فرهن المشيئة .

ثانيا : الأكبر مُحبطٌ لجميع الأعمال، وأما الأصغر فلا يحبط إلا العمل الذي قارنه .

ثالثا : الأكبر مخرج عن ملة الإسلام، وأما الأصغر فلا يخرج منها .

رابعا : صاحب الشرك الأكبر خالد في النار، وأما الأصغر فكغيره من الذنوب[٧٦] .

الذين يمُنـــون :

قال الله تعالى: ﴿وَلا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ﴾[٧٧]، وقال أيضا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا﴾[٧٨] .

---

(٧٥) سبق تخريجه .

(٧٦) (٣٢٢/ الكواشف الجلية).

(٧٧) (٦ / المدثر).

(٧٨) (٢٦٤/ البقرة).

الذين ينفقون أموالهم رئاء الناس :

قال الله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُونَ بِالله وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِيناً فَسَاءَ قَرِيناً﴾ (٧٩)، وقال أيضا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُ بِالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً﴾ (٨٠):

فالمرائي ينفق ماله رغبة في الشهرة أو حب الثناء والحمد من الناس، أو إظهار فضله عليهم، لينال المنزلة في قلوبهم فيعظموه ويوقروه، فصدقته مردودة عليه .

قال العلامة ابن القيم رحمه الله : فمثله وبطلان عمله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدًا لا شيء عليه، فإن الحجر في مقابلة قلب هذا المرائي والمان والمؤذي، فقلبه في قسوته عن الإيمان والإخلاص والإحسان بمنزلة الحجر، والعمل الذي عمله لغير الله تعالى بمنزلة التراب الذي على

---

(٧٩)(٣٨/ النساء) .

(٨٠)(٢٦٤ / البقرة).

قوله (صفوان) : وهو الحجر الأملس : قال الكسائي (صَفوان واحد وجمعه صِفْوان) وقال الأخفش (صفوان جمع واحده صفوانة) وقال النحاس : صفوان يجوز أن يكون واحدًا لقول الله تعالى ﴿عليه تراب فأصابه وابل﴾ (٣/ ٢٧٢ الجامع لأحكام القرآن) .

وقوله ﴿وابل﴾ : قال عكرمة رحمه الله : مطر شديد (باب الرياء في الصدقة / الرياء / البخاري معلقا) .

وقوله ﴿صلدًا﴾ : قال ابن عباس رضي الله عنهما : ليس عليه شيء (باب الرياء في الصدقة/ الرياء / البخاري معلقًا) ، قال الكسائي رحمه الله (كل ما لا ينبت شيئًا) ، وقال النقاش رحمه الله (الأصلد الأجرد) وقال الإمام القرطبي رحمه الله (الأملس من الحجارة) (٣ / ٢٧٣ الجامع لأحكام القرآن) .

ذلك الحجر، فقسوة ما تحته وصلابته تمنعه من النبات والثبات عند نزول الوابل، فليس له مادة متصلة بالذي يقبل الماء وينبت الكلأ، وكذلك قلب المرائي ليس له ثبات عند وابل الأمر والنهي والقضاء والقدر، فإذا نزل عليه وابل الوحي انكشف عنه ذلك التراب اليسير الذي كان عليه، فبرز ما تحته حجرًا صلدًا لا نبات فيه، وهذا مثل ضربه الله سبحانه لعمل المرائي ونفقته، لا يقدر يوم القيامة على ثواب شيء منه أحوج ما كان إليه (٨١) .

الذين إذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس :

قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللهَ إِلَّا قَلِيلاً﴾ (٨٢)، وقال أيضا: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ، الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ سَاهُونَ، الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ﴾ (٨٣)، وقال عز وجل: ﴿وَلا يَأْتُونَ الصَّلاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ (٨٤) .

أي إذا أبصرهم الناس صلوا، وإذا لم يروهم تركوا الصلاة، قال القرطبي رحمه الله : أي يرى الناس أنه يصلي طاعة وهو يصلي تقية كالفاسق يرى أنه يصلي عبادة وهو يصلي ليقال : إنه يصلي، وقال رحمه الله في موضع آخر: وصفهم بقلة الذكر لأنهم لا يذكرون الله بقراءة ولا تسبيح، وإنما يذكرونه بالتكبير، وقيل لأن الله تعالى لا يقبله، وقيل لعدم الإخلاص فيه (٨٥) .

---

(٨١)(١ / ١٥٠ إعلام الموقعين).
(٨٢)(١٤٢ / النساء).
(٨٣)(٤ : ٦ / الماعون).
(٨٤)(٥٤ / التوبة).
(٨٥)(٢٠ / ١٦٦) (٥ / ٣٦٨) الجامع لأحكام القرآن .

الرجل يقاتل للأجر، ويقاتل ليذكر، ويقاتل ليرى مكانه :

قال عز وجل: ﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾(٨٦)، قال القرطبي رحمه الله : يعني أبا جهل وأصحابه الخارجين يوم بدر لنصرة العير خرجوا بطرين مرائين صادين عن سبيل الله(٨٧) .

وعن أَبِي مُوسَى الأشعري رضي الله عنه قَالَ : قَالَ أعرابي لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: الرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلْمَغْنَمِ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُذْكَرَ، وَيُقَاتِلُ لِيُرَى مَكَانُهُ، مَنْ فِي سَبِيلِ اللهِ؟ فَقَالَ: «**مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ**»(٨٨) .

وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه : أن رجلاً جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله أرأيتَ رجلاً غزا يلتمس الأجر والذكر ما له؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لاَ شَيءَ لهُ**» فأعادها عليه ثلاث مرات يقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لاَ شَيءَ لهُ**» ثم قال : «**إنَّ اللهَ لاَ يقبلُ مِن العملِ إلاَّ مَا كَانَ لهُ خالصًا وابتُغِي بِهِ وجهُه**»(٨٩) .

---

(٨٦) (٤٧ / الأنفال).

(٨٧) (٨ / ٢٥ الجامع لأحكام القرآن).

(٨٨) صحيح : (٣١٢٦ / فرض الخمس / البخاري) (١٩٠٤ / الإمارة / مسلم) كلاهما من حديث أبي موسى رضي الله عنه .

(٨٩) حسنه الألباني وقال (حسن صحيح) (٥٢ / الصحيحة) : (٣١٤٠ / الجهاد / النسائي) (٤٣٤٨ / النسائي في الكبرى) (٨ / ١٤٠ الطبراني في الكبير) (٢ / ٢٥ الطبراني في الأوسط) جميعهم من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه .

وفي سنن أبي داود (٢٥١٦ / الجهاد) ومسند أحمد (٢ / ٢٩٠ ، ٣٦٦) والسنن الكبرى للبيهقي (٩ / ١٦٩) وصحيح ابن حبان (٤٦٣٧) والمستدرك (٢ / ٩٥) جميعهم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ولفظه : أن رجلاً قال: يا رسول الله رجل يريد الجهاد

قال السندي رحمه الله : قوله (لا شيء له) أي : لا أجر له، وقوله (ابتغي) أي: طُلِبَ (٩٠).

وروي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قوله : (إذا أجمع أحدكم على الغزو فعوضه الله رزقًا فلا بأس بذلك، وأما إن أعطي درهمًا غزا، وإن منع درهمًا مكث، فلا خير في ذلك).

وقال الإمام أحمد رحمه الله : (التاجر والمستأجر والمكاري أجرهم على قدر ما يخلص من نيتهم في غزواتهم ولا يكون مثل من جاهد بنفسه وماله لا يخلط به غيره) (٩١).

﴿إذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا، وإذا خلوا إلى شياطينهم﴾ :

قوله تعالى في شأن المنافقين : ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ (٩٢) : أي مكذبون بما ندعى إليه، وقيل ساخرون واختلف المفسرون في المراد بالشياطين في الآية : فقال ابن

في سبيل الله وهو يبتغي عرضًا من عرض الدنيا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا أجر له فأعظم ذلك الناس وقالوا للرجل: عد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلعلك لم تفهمه فقال: يا رسول الله رجل يريد الجهاد في سبيل الله وهو يبتغي عرضًا من عرض الدنيا فقال: (لا أجر له) فقالوا للرجل: عد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له الثالثة فقال له: (لا أجر له) ، حسنه الألباني وقال: (حسن لغيره) (١٣٢٩ / صحيح الترغيب) ، وصححه الحاكم وقال: (صحيح الإسناد ولم يخرجاه) .

(٩٠)(٣ / ٣٢٧ شرح سنن النسائي).

(٩١)(٣٠ / جامع العلوم والحكم).

(٩٢)(١٤ / البقرة).

عباس رضي الله عنهما والسدي رحمه الله (هم رؤساء الكفر) وقال الكلبي رحمه الله (شياطين الجن) وقال جمع من المفسرين (هم الكهان) وقال القرطبي رحمه الله (ولفظ الشيطنة الذي معناه البعد عن الإيمان والخير، يعم جميع من ذكر) [٩٣] .

كبر مقتـا، من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر لأجل الناس :

قال الله عز وجل : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ، كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾ [٩٤] .

وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «**يُؤْتَى بِالرَّجُلِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُ بَطْنِهِ فَيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الحِمَارُ بِالرَّحَى فَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ فَيَقُولُونَ: يَا فُلاَنُ مَا لَكَ؟ أَلَمْ تَكُنْ تَأْمُرُ بِالمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنِ المُنْكَرِ؟**

فَيَقُولُ: بَلَى قَدْ كُنْتُ آمُرُ بِالمَعْرُوفِ وَلاَ آتِيهِ وَأَنْهَى عَنِ المُنْكَرِ وَآتِيهِ» [٩٥] .

قال الشاعـر :

لا تنه عن فعلٍ وتأتي مثله … عـــارٌ عليك إذا فعلت عظيـــم

---

(٩٣) (١ / ٢١١ الجامع لأحكام القرآن).

(٩٤) (٢ : ٣ / الصف).

(٩٥) سبق تخريجه .

وأقتابه : أمعاؤه ، والاندلاق : خروج الشيء من مكانه .

من تعلم العلم ليباهي به العلماء :

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «**لاَ تَعَلَّموا العلْمَ لِتُباهوا بِهِ العُلماءَ ولاَ لتُماروا بِهِ السُّفهاءَ ولا تخيرُوا بِهِ المجالسَ فمَنْ فعلَ ذلكَ فالنَّار النَّار**» (٩٦) .

---

(٩٦) حسنه الألباني (٢٠٥ / صحيح ابن ماجة) ، وقال الحاكم (إسناده صحيح) (١ / ١٦١ المستدرك) قال البوصيري في زوائد ابن ماجة (رجال إسناده ثقات) : (٢٥٤ / المقدمة / ابن ماجة) (٢٦٥٥ / العلم / الترمذي) (٧٧ / ابن حبان) جميعهم من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما .

وفي مقدمة ابن ماجة (٢٥٣) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما ، وفي سند الأخير أبو كرب الأزدي وهو مجهول (٢ / ٣٥٢ التقريب) وكذا فيه حماد بن عبد الرحمن وهو ضعيف (١ / ١٥٦ التقريب) ، قال البوصيري في زوائد ابن ماجة (إسناده ضعيف) .

وفي المستدرك (١ / ١٦١) مرسلاً من حديث ابن جريج ، وفي سنن الدارمي (١ / ٩٢ ، ١١٥) موقوفًا على ابن مسعود رضي الله عنه ، وفيه أيضا (١ / ١١٧ ، ١١٨) مرسلاً من طريق شهر بن حوشب وهو صدوق كثير الإرسال والأوهام (١ / ٢٦٨ التقريب) ، وفي سنن الدارمي أيضا (١ / ١١٨) ومصنف عبد الرزاق (٥ / ٢٨٥) مقطوعًا من قول مكحول ، وفي مسند الشاميين (٢ / ٢١٧) والمعجم الكبير للطبراني (٢٣ / ٢٨٤) كلاهما من حديث أم سلمة رضي الله عنها .

وفي سنن الترمذي (٢٦٥٤ / العلم) من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه ، وفي سند الأخير إسحاق بن يحيى بن طلحة بن عبيد الله ضعفه يحيى بن سعيد والإمام أحمد وابن معين وابن المديني والبخاري ، وهو ضعيف تكلم فيه من قبل حفظه (١ / ٦٤ التقريب) (٥ / ٣٣ سنن الترمذي) .

وفي سنن ابن ماجة (٢٥٩ / المقدمة) من حديث حذيفة رضي الله عنه ، وفي سنده أشعث ابن سوار وهو ضعيف (١ / ٧٦ التقريب) وكذا فيه بشير بن ميمون الواسطي وهو متروك متهم (١ / ٩٢ التقريب) ، قال البوصيري في زوائد ابن ماجة (إسناده ضعيف) .

وفي المعجم الكبير للطبراني (٢٠ / ٦٦) من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه ، وفي سنده شهر بن حوشب وقد بينا وجه تضعيفه ، وفي مسند أحمد (١ / ١٩٠) مرسلاً من حديث عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين .

وفي رواية كعب بن مالك رضي الله عنه : «**مَن طلبَ العلمَ ليجاريَ بِهِ العلماءَ أو ليماريَ به السُّفهاءَ أو يصرفَ به وجوهَ النَّاس إليهِ أدخلَهُ الله النار**»، وقوله: «**أو يصرف به وجوه الناس إليه**»: أي يطلب العلم بنية تحصيل الجاه والرئاسة، والتفاف العوام حوله .

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله : لأن قصد التكبر على الخلق محرمٌ في نفسه فإذا استعمل فيه آلة الآخرة كان أقبح وأفحش من أن يستعمل فيه آلات الدنيا من المال والسلطان(٩٧) .

وقال سفيان الثوري رحمه الله، يحض على إخلاص النية في طلب العلم : «زينوا العلم والحديث بأنفسكم ولا تتزينوا به»(٩٨) .

وقال شيخ الإسلام رحمه الله : (كثير من طلبة العلم ليس مقصودهم به إلا تحصيل رئاسة أو مال ولكل امرئ ما نوى، وأما أهل العلم والدين الذين هم أهله فهو مقصود عندهم لنفعه لهم وحاجتهم إليه في الدنيا والآخرة، ولهذا تجد أهل الانتفاع به يزكون به نفوسهم ويقصدون فيه اتباع الحق لا اتباع الهوى ويسلكون فيه سبيل العدل والإنصاف ويحبونه ويتلذذون به ويحبون كثرته وكثرة أهله وتنبعث هممهم على العمل به وبموجبه وبمقتضاه، بخلاف من لم

وقد حكم الشيخ الألباني رحمه الله على الحديث بالضعف أول الأمر (٦٢٤٦ / ضعيف الجامع) ، ثم عدل عن ذلك إلى التحسين (٢٥٩ / صحيح ابن ماجة) .

وللحديث شواهد تقويه : في سنن أبي داود (٣٦٦٤) وسنن ابن ماجة (٢٥٢ / المقدمة) ومسند أحمد (٢ / ٣٣٨) والمستدرك (١ / ١٦٠ ، ١٦١) وصحيح ابن حبان (٧٨) ومصنف ابن أبي شيبة (٥ / ٢٨٥) ومسند أبي يعلى (١١ / ٢٦٠ ، ٢٦١) جميعهم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

وفي سنن الترمذي (٢٦٥٥ / العلم) وسنن النسائي الكبرى (٣ / ٤٥٧) كلاهما من حديث ابن عمر رضي الله عنهما .

(٩٧) (٣١ : ٣٢ / الكواشف الجلية)

(٩٨) (٧ / ٢٤٣ سير الأعلام)

يذق حلاوته وليس مقصوده إلا مالاً أو رئاسة فإن ذلك لو حصل بطريقٍ آخر لسلكه وربما رجحه إذا كان أسهل عليه)[٩٩].

من تعلم علمًا لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضًا من الدنيا :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **«مَن تعلمَ علمًا مما يُبتغى بهِ وجهُ الله عزَّ وجلَّ لا يتعلَّمُه إلاَّ ليصيبَ بهِ عرضًا مِن الدُّنيا لم يجدْ عرفَ الجنَّة يومَ القيامةِ»**[١٠٠].

---

(٩٩)(٣٢/ الكواشف الجلية)

(١٠٠) صححه الألباني وقال (صحيح لغيره) (١٠٥ / صحيح الترغيب) ، وقال الحاكم (صحيح سنده ثقات رواته على شرط البخاري ومسلم ولم يخرجاه) (١ / ١٦٠ ، ١٦١ المستدرك) ، وقال النووي (رواه أبو داود بإسناد صحيح) (٣٣٩ / رياض الصالحين) ، وقال الحافظ العراقي (إسناده جيد) (١ / ٧٦ تخريج الإحياء) : (٣٦٦٤/ العلم / أبي داود) (٢٥٢ / المقدمة / ابن ماجة) (٢ / ٣٣٨ أحمد في المسند) (٧٨/ ابن حبان) (٥ / ٢٨٥ ابن أبي شيبة) (١١ / ٢٦٠ ، ٢٦١ أبي يعلى) جميعهم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

وله شواهد عدة تقويه :

في صحيح ابن حبان (٧٧) وسنن ابن ماجة (٢٥٤) ومسند أحمد (١ / ١٩٠) والمستدرك (١ / ١٦١) جميعهم من حديث جابر رضي الله عنه بلفـظ (من طلب العلم لغير الله أو أراد به غير الله فليتبوأ مقعده من النار) .

وفي سنن الترمذي (٢٦٥٥ / العلم) وسنن ابن ماجة (٢٥٣ / المقدمة) وسنن النسائي الكبرى (٣ / ٤٥٧) جميعهم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما ، وفي سنده خالد بن دريك وهو ثقة كان يرسل (١ / ١٦٦ التقريب) ولم يصرح بالتحديث ، قال البوصيري في زوائد ابن ماجة (إسناده ضعيف) .

وفي سنن الترمذي (٢٦٥٤ / العلم) من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه ، وفي سنده إسحاق بن يحيى بن طلحة بن عبيد الله ضعفه يحيى بن سعيد والإمام أحمد وابن معين وابن المديني والبخاري ، وهو ضعيف تكلم فيه من قبل حفظه (١ / ٦٤ التقريب)، وفي سنن ابن ماجة (٢٥٩ / المقدمة) من حديث حذيفة رضي الله عنه ، قال البوصيري في زوائد ابن ماجة (إسناده ضعيف) .

وعرف الجنة: أي ريحها، قال التروبشتي رحمه الله : (لأن العلماء الزاهدين إذا وردوا يوم القيامة، يجدون رائحة الجنة تقوية لقلوبهم، وتسلية لهمومهم، بقدر مراتبهم، وهذا البائس المبتغي للأغراض الفانية، تمنعه الأمراض الحادثة في دماغه من إدراك الروائح الطيبة، فلا يجد رائحة الجنة، ولا يهتدي لها لأمراض قلبه)[١٠١] .

وقال الحافظ ابن رجب رحمه الله : (وهو من أشد الناس حسرة يوم القيامة حيث كان معه آلة يتوصل بها إلى أعلى الدرجات وأرفع المقامات، فلم يستعملها إلا في التوصل إلى أخس الأمور وأدناها وأحقرها فهو كمن معه جوهرة نفيسة لها قيمة فباعها ببعرة أو شيء مستقذر لا ينتفع به، فهذا حال من يطلب الدنيا بعلمه، بل أقبح وأقبح من ذلك من يطلبها بإظهار الزهد فيها فإن ذلك خداع قبيح جدا)[١٠٢] .

وعن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : (يظهر هذا الدين حتى يجاوز البحار وحتى تخاض بالخيل في سبيل الله ثم يأتي أقوام يقرءون القرآن فإذا قرءوه قالوا قد قرأنا القرآن فمن أقرأ منا؟ من أعلم منا؟) ثم التفت إلى أصحابه فقال: (هل ترون في أولئك من خير؟) قالوا : لا، قال: (فأولئك منكم وأولئك من هذه الأمة وأولئك هم وقود النار)[١٠٣] .

وفي المعجم الكبير للطبراني (٢٠ / ٦٦) من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه ، وفيه أيضا (٣/ ٢٨٤) وفي مسند الشاميين (٢ / ٢١٧) من حديث أم سلمة رضي الله عنها .

(١٠١) (١ / ١٣٧ تعليق محمد فؤاد عبد الباقي على سنن ابن ماجة) .

(١٠٢) (٣١/ الكواشف الجلية) .

(١٠٣) صححه الألباني (٣٢٣٠ / الصحيحة) (٦ / ١٢١ الطبراني في الأوسط) (١٢ / ٥٧ أبو يعلى) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وفي سنده عبد الله بن زيد بن أسلم عن أبيه والأول صدوق فيه لين (١ / ٣١٢ التقريب) والثاني ثقة وكان يرسل (١ / ٢٠٨ التقريب) ، وفي مسند البزار (١٧٤) من حديث العباس رضي الله عنه ، وفي سنده

اتخاذ الخيل وربطها فخرًا وتكبرًا ورياءً :

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ - رضى الله عنه - عَنِ النَّبِىِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ «الخَيْلُ لِثَلاَثَةٍ لِرَجُلٍ أَجْرٌ، وَلِرَجُلٍ سِتْرٌ وَعَلَى رَجُلٍ وِزْرٌ . فَأَمَّا الَّذِى لَهُ أَجْرٌ، فَرَجُلٌ رَبَطَهَا فِى سَبِيلِ الله، فَأَطَالَ لَهَا فِى مَرْجٍ أَوْ رَوْضَةٍ، وَمَا أَصَابَتْ فِى طِيَلِهَا مِنَ المَرْجِ أَوِ الرَّوْضَةِ كَانَتْ لَهُ حَسَنَاتٍ، وَلَوْ أَنَّهَا قَطَعَتْ طِيَلَهَا، فَاسْتَنَّتْ شَرَفًا أَوْ شَرَفَيْنِ، كَانَتْ أَرْوَاثُهَا حَسَنَاتٍ لَهُ، وَلَوْ أَنَّهَا مَرَّتْ بِنَهَرٍ فَشَرِبَتْ، وَلَمْ يُرِدْ أَنْ يَسْقِيَهَا، كَانَ ذَلِكَ لَهُ حَسَنَاتٍ، وَرَجُلٌ رَبَطَهَا تَغَنِّيًا وَسِتْرًا وَتَعَفُّفًا، لَمْ يَنْسَ حَقَّ الله فِى رِقَابِهَا وَظُهُورِهَا، فَهِىَ لَهُ كَذَلِكَ سِتْرٌ، وَرَجُلٌ رَبَطَهَا فَخْرًا وَرِيَاءً، وَنِوَاءً لأَهْلِ الإِسْلاَمِ فَهِىَ وِزْرٌ» وَسُئِلَ النَّبِىُّ صلى الله عليه وسلم عَنِ الحُمُرِ فَقَالَ «مَا أُنْزِلَ عَلَىَّ فِيهَا إِلاَّ هَذِهِ الآيَةُ الجَامِعَةُ الفَاذَّةُ ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (١٠٤)» (١٠٥) .

قال الهيثمي رحمه الله : ومعناه أنه اتخذ الخيل تكبرًا وتعاظمًا واستعلاء على ضعفاء المسلمين وفقرائهم (١٠٦) .

قلت : وهذا المعنى يصدق فيمن اتخذوا - في عصرنا - السيارات والفلك والقصور تكبرًا وتعاظمًا واختيالاً على ضعفاء المسلمين وفقرائهم .

شرك السرائر :

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: خرج النبي صلى الله عليه وسلم

موسى بن عبيدة وهو ضعيف (٢ / ٢٢٠ التقريب) .

(١٠٤)(٧ : ٨ / الزلزلة).

(١٠٥) صحيح : (٣٦٤٦ / المناقب / البخاري) (٩٨٧ / الزكاة / مسلم مطولاً) كلاهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(١٠٦)(٢ / ٣٧٧ الزواجر).

فقال : «**أيها الناس إياكم وشرك السرائر**» قالوا : يا رسول الله ما شركُ السرائر قال : «**يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته جاهدًا لما يرى من نظر الناس إليه فذاك شرك السرائر**»(١٠٧) .

وقوله (فيصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل) : أي يعمل الرجل العمل لله، لكن يزيد فيه صفة كتحسينه وتطويله ونحو ذلك لما يرى من نظر رجل، فهذا هو الشرك الخفي وهو الرياء، والحامل له على ذلك هو حب الرياسة والجاه عند الناس(١٠٨) .

الشرك الخفي :

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نتذاكر المسيح الدجال فقال : «**ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال**» قلنا : بلى فقال : «**الشرك الخفي أن يقوم الرجل يصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل**»(١٠٩) .

قوله صلى الله عليه وسلم: «**أخوف عليكم**» :

قال الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله : (لخفائه وقوة الداعي إليه وعسر التخلص منه لما لا يزينه الشيطان والنفس الأمارة في قلب صاحبه)، وقال الشيخ ابن العثيمين رحمه الله : (لأنه قد يدخل في قلب الإنسان من غير شعور، لخفائه وتطلع النفس إليه، فإن كثيرًا من النفوس تحب أن تمدح بالتعبد لله)(١١٠) .

---

(١٠٧) سبق تخريجه .

(١٠٨) (٤٧٢ / تيسير العزيز الحميد).

(١٠٩) سبق تخريجه . وقولهم بلى : فيه الحرص على العلم وأن من عرض عليك أن يخبرك بما فيك لا ينبغي لك رده بل مقابلته بالقبول والتعلم .

(١١٠) (٤٧١ / تيسير العزيز الحميد) (٧٩ / القول المفيد) .

من التمس رضا الناس بسخط الله :

قال الله عز وجل: ﴿ضَرَبَ الله مَثَلاً رَجُلاً فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً الحَمْدُ لله بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ (١١١) ، فالمشرك لما كان يعبد آلهةً شتى شبه بعبد يملكه جماعة متنازعون مختلفون متشاحنون متنافسون في خدمته، لا يمكنه أن يبلغ رضاهم أجمعين، والموحد لما كان يعبد الله وحده فمثله كمثل عبد لرجل واحد، قد سلم له وعلم مقاصده وعرف الطريق إلى رضاه، فهو في راحة من تشاحن الخلطاء فيه، بل هو سالم لمالكه من غير تنازع فيه، مع رأفة مالكه به ورحمته له وشفقته عليه وإحسانه إليه وتوليه لمصالحه، فإن الخالص لمالك واحد يستحق من معونته وإحسانه والتفاته إليه وقيامه بمصالحه ما لا يستحق صاحب الشركاء المتشاكسين (١١٢) .

وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «**من التمس رضا الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى الناس عنه ومن التمس رضا الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس**»(١١٣) .

---

(١١١) (٢٩ / الزمر) ، و الرجل المتشاكس : ضيق الخلق .

(١١٢) (١ / ١٥١ إعلام الموقعين) بتصرف .

(١١٣) صححه الألباني (٢٣١١ / الصحيحة) (٢٤١٤ / الزهد / الترمذي) (٢٧٦ / ابن حبان) (١١ / ٢٦٨ الطبراني في الكبير) (٢ / ٦٠٢ ابن راهويه) (١ / ٤٤٠ عبد بن حميد) (١ / ٢٧٦ الشهاب) (١ / ٢٤٢ ابن الجعد) (١٩٩ / الزهد لابن المبارك) جميعهم من حديث عائشة رضي الله عنها ، والمحفوظ أن السند إليها منقطع ، فيه رجل مبهم ، وأحسن أحوال الحديث أنه موقوف على أم المؤمنين رضي الله عنها .

وفي المعجم الكبير للطبراني (١١ / ٢٦٨) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما .

من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها :

قال الله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ، أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١١٤)، وقال أيضا: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ العَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُوما مَدْحُوراً﴾ (١١٥) .

وإن كانت الآيتان ليستا صريحتين في الباب، إلا أنها تحرم الرياء وتذمه معنًى، ذلك أن المرائي إنما قصد بعمل الآخرة إما شهرةً أو ثناءً أو حمدًا أو أجرًا في الدنيا، فعمله على هذا النحو مردود عليه : فالله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصًا لوجه، فإذا كان المرائي في الآخرة، وجد عمله قد حبط عنه، وسيق إلى جهنم مذمومًا مدحورًا .

عن مجاهد رحمه الله أنه كان يقول في تفسير قول الله تعالى : ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ (هم أهل الرياء، هم أهل الرياء) (١١٦)، وقال : «مَن عَمل عَملاً مما أَمَر اللهُ به مِن صلاةٍ أو صدَقةٍ لاَ يرِيدُ بهَا وَجه اللهِ أعطَاه اللهُ في الدُّنيَا ثَوابَ ذَلك مثْل مَا أنفَقَ» (١١٧) .

---

(١١٤) (١٥ : ١٦ / هود).

(١١٥) (١٨ / الاسراء).

(١١٦) ضعيف : (١٢ / ١٧جامع البيان) : فيه انقطاع إلى مجاهد رحمه الله ، وليس بثابت عنه ، من طريق وهب بن منبه عنه ، قال (بلغني أن مجاهدًا كان يقول ..) .

(١١٧) ضعيف : (١٢ / ١٥جامع البيان) ، أرجح الأقوال أن الأثر ليس بثابت عن مجاهد رحمه الله ، حيث أنه من رواية ابن أبي نجيح عنه ، قال الحافظ (أكثر عن مجاهد وكان يدلس عنه وصفه بذلك النسائي) (٣٩ / طبقات المدلسين) ، وقال يحيى بن سعيد (لم يسمع ابن أبي نجيح التفسير من مجاهد) وقال ابن حبان (ابن أبي نجيح نظير ابن جريج في كتاب

وعن قتادة رحمه الله في قوله تعالى : ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ﴾ قال: (من كانت الدنيا همه وسدمه [١١٨] وطلبته ونيته، عجل الله له فيها ما يشاء، ثم اضطره إلى جهنم) [١١٩]، قال ابن جرير رحمه الله : (من كان طلبه الدنيا العاجلة ولها يعمل ويسعى، وإياها يبتغي لا يوقن بمعاد ولا يرجو ثوابًا ولا عقابًا من ربه على عمله) [١٢٠] :

رضيت بذي الدنيا ككل مكاثرِ ... ملحٍ على الدنيا وكل مفاخـــر
ألم ترها تسقيه حتى إذا صبا ... فرتْ حلقه منها بشفرةِ جازِرِ
ولا تعدلُ الدنيا جناح بعوضـةٍ ... لدى الله أو معشار نغْبة طائر
فلم يرض بالدنيا ثوابًا لمؤمنٍ ... ولم يرض بالدنيا عقابًا لكافرِ

لا يصعد إلى الله تعالى إلا الطيب :

عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم «**مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلاَ يَصْعَدُ إِلَى الله إِلاَّ الطَّيِّبُ، فَإِنَّ الله يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهِ كَمَا يُرَبِّى أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ، حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ**» [١٢١] .

القاسم بن أبي بزة عن مجاهد في التفسير رويًا عن مجاهد من غير سماع) (٣ / ٢٨٤ التهذيب) ، وباستقراء روايات ابن أبي نجيح عن مجاهد يتبين أن ليس فيها تصريح بالتحديث واحد ، فيما علمت ، والله أعلم .

(١١٨) السدَم : الحرص على الشيء واللهج به .

(١١٩) حسن : (١٥ / ٧١ جامع البيان) من طريق يزيد بن زريع عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة رحمهم الله .

(١٢٠) (١٥ / ٧٠ جامع البيان) .

(١٢١) صحيح : (٧٤٣٠ / التوحيد / البخاري) (١٠١٤ / الزكاة / مسلم) كلاهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

قال البيهقي رحمه الله : صعود الكلام الطيب والصدقة الطيبة عبارة عن القبول [١٢٢] .

وقال القاضي عياض رحمه الله : الطيب في صفة الله تعالى بمعنى المنزه عن النقائص [١٢٣] .

تعس عبد الدينار، والدرهم، والخميصة :

عن أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم **«تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ وَعَبْدُ الخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رضي، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلاَ انْتَقَشَ»** [١٢٤] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – تعليقًا على الحديث : «فما كان يرضى الإنسان حصوله ويسخطه فقده، فهو عبده، إذ العبد يرضى باتصاله بها، ويسخط لفقدها، والمعبود الحق الذي لا إله إلا هو إذا عبده المؤمن وأحبه حصل للمؤمن بذلك في قلبه إيمان، وتوحيد ومحبة، وذكر، وعبادة، فيرضى

---

(١٢٢) (١٣ / ٥٨٩ فتح الباري).

(١٢٣) (٤ / ١٠٨ صحيح مسلم بشرح النووي).

(١٢٤) صحيح : (٢٨٨٧ / الجهاد / البخاري) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

وقوله (تعس) بكسر العين : أي سقط ، قال الحافظ رحمه الله (هلك) وفي موضع آخر (شقي) ، وقال أبو السعادات رحمه الله (عثر وانكب على وجهه ، وهو دعاء عليه بالهلاك)، قال الإمام البخاري رحمه الله (كأنه يقول فأتعسهم الله) .

وقوله (الخميصة) : قال أبو السعادات رحمه الله (ثوب خز أو صوف معلم) .

وقوله (انتكس) : قال الحافظ رحمه الله (عاوده المرض) ، وقال أبو السعادات رحمه الله (انقلب على رأسه ، وهو دعاء عليه بالخيبة) ، قال الطيبي رحمه الله (فيه الترقي بالدعاء عليه ، لأنه إذا تعس انكب على وجهه ، وإذا انتكس انقلب على رأسه بعد أن سقط) .

وقوله (شيك) : قال أبو السعادات رحمه الله (أصابته شوكة) .

وقوله (انتقش) : قال أبو السعادات رحمه الله (فلا قدر على إخراجها بالمنقاش) .

بذلك، وإذا منع من ذلك غضب» .

وكذلك من أحب شيئا، فلابد أن يتصوره في قلبه، ويريد اتصاله به بحسب الإمكان، قال الجنيد : (لا يكون العبد عبدا حتى يكون مما سوى الله تعالى حرًّا)، وهذا مطابق لهذا الحديث فإنه لا يكون عبدا خالصًا مخلصا دينه لله كله، حتى لا يكون عبدا لما سواه، ولا فيه شعبة، ولا أدنى جزء من عبودية ما سوى الله، فإذا كان يرضيه، ويسخطه غير الله فهو عبد لذلك الغير، ففيه من الشرك بقدر محبته، وعبادته لذلك الغير زيادة .

قال الفضيل بن عياض (والله ما صدق الله عبوديته، من لأحد من المخلوقين عليه ربانية)، وقال زيد بن عمرو بن نفيل :

أربًّا واحدا، أم ألف رب أدين إذا انقسمت الأمـور؟

قال تعالى : ﴿ومَنَ النَّاسِ مَن يَتَّخذُ مِن دُونِ الله أَندَادا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ الله وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لله﴾ (١٢٥)، وطالب الرئاسة - ولو بالباطل - ترضيه الكلمة التي فيها تعظيمه وإن كان باطلاً، وتغضبه الكلمة التي فيها ذمه وإن كانت حقًّا، والمؤمن ترضيه كلمة الحق له وعليه، وتغضبه كلمة الباطل له وعليه؛ لأن الله تعالى يحب الحق، والصدق، والعدل، ويبغض الكذب، والظلم.

فإذا قيل : الحق والصدق والعدل الذي يحبه الله أحبه، وإن كان فيه مخالفة هواه؛ لأن هواه قد صار تبعا، لما جاء به الرسول، وإذ قيل : الظلم والكذب، فالله يبغضه، والمؤمن يبغضه، ولو وافق هواه .

وكذلك طالب المال - ولو بالباطل - كما قال تعالى : ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُك في الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ

---

(١٢٥)(١٦٥ / البقرة).

يَسْخَطُونَ﴾[١٢٦]، وهؤلاء هم الذين قال فيهم: «**تعس عبد الدينار**» الحديث، فكيف إذا استولى على القلب ما هو أعظم استعبادا من الدرهم والدينار، ومن الشهوات والأهواء، والمحبوبات التي تجذب القلب عن كمال محبته لله وعبادته وخشيته، لما فيها من المزاحمة والشرك بالمخلوقات، كيف تدفع القلب، وتزيغه عن كمال محبته لربه وعبادته وخشيته؛ لأنَّ كل محبوب يجذب قلب محبه إليه، ويزيغه عن محبة غيره محبوبه، وكذلك المكروه يدفعه، ويزيله، ويشغله عن عبادة الله تعالى.

ولهذا روى الإمام أحمد في مسنده وغيره: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه: «**آلفقر تخافون؟ لا أخاف عليكم الفقر، إنما أخاف عليكم الدنيا، حتى إن قلب أحدكم إذا زاغ لا يزيغه إلا هي**»[١٢٧].

وكذلك الذين يحبون العبد كأصدقائه، والذين يبغضونه كأعدائه، فالذين يحبونه يجذبونه إليهم فإذا لم تكن المحبة منهم له لله، كان ذلك مما يقطعه عن الله، ولو أحسن إليه أصدقاؤه الذين يحبونه، لغير الله أوجب إحسانهم إليه محبته لهم، وانجذاب قلبه إليهم، ولو كان على غير الاستقامة، وواجب مكافأته لهم، فيقطعونه عن الله وعبادته.

فلا تزول الفتنة عن القلب، إلا إذا كان دين العبد كله لله عز وجل،

---

(١٢٦) (٥٨ / التوبة).

(١٢٧) حسنه الألباني (٦٨٨ / الصحيحة): (٥ / ابن ماجة) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه، (٦ / ٢٤ أحمد في المسند) (١٨ / ٥٢ الطبراني في الكبير) (٢ / ١٨٢ مسند الشامين) جميعهم من حديث عوف بن مالك رضي الله عنه، ونص الحديث: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نذكر الفقر ونتخوفه فقال: (آلفقر تخافون؟ والذي نفسي بيده لتصبن عليكم الدنيا صبًّا حتى لا يزيغ قلب أحدكم إزاغة إلا هيه وايم الله لقد تركتكم على مثل البيضاء ليلها ونهارها سواء).

فيكون حبه لله ولما يحبه الله، ويبغضه لله، ولما يبغضه الله، وكذلك موالاته ومعاداته، وإلا فمحبة المخلوق تجذبه، وحب الخلق له سبب يجذبهم به إليه، ثم قد يكون هذا أقوى، وقد يكون هذا أقوى، فإذا كان هو غالبا، لهواه لم يجذبه مغلوب مع هواه، ولا محبوباته إليها : لكونه غلبا لهواه ناهيا لنفسه عن الهوى، لما في قلبه من خشية الله، ومحبته التي تمنعه عن انجذابه إلى المحبوبات [١٢٨]. انتهى

أسعد الناس بشفاعة رسول الله ﷺ من قال لا إله إلا الله بحقها :

عن أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قِيلَ : يَا رَسُولَ الله، مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ القِيَامَةِ قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: **«لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لاَ يسألني عَنْ هَذَا الحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ، لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الحَدِيثِ، أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِى يَوْمَ القِيَامَةِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله، خَالِصا مِنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ»** [١٢٩] .

والحديث الشريف يذم الرياء معنًى، ذلك أن مفهوم المخالفة يقتضي أن من قال لا إله إلا الله مرائيًا بها الناس، لم يكن له حظ من شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم .

---

(١٢٨) (١٠ / ٥٩٩ : ٦٠١ مجموع الفتاوى).

(١٢٩) صحيح : (٩٩ / العلم / البخاري) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

فصل في : خطورة الرياء وآثاره

ويكفي في خطورةِ الرياء أن النبي صلى الله عليه وسلم خافه على أصحابه وأمته حيث خرج عليهم وهم يتذاكرون المسيح الدجال فقال: «**ألاَ أخبركمْ بما هوَ أخوفُ عليكمْ عندِي مِن المسيحِ الدَّجَّال؟**» قالوا : بلى فقال «**الشرك الخفي أن يقوم الرجل يصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل**»(١٣٠).

فإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم خاف الرياء على أصحابه الذين قال الله فيهم : ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾(١٣١)، وقال هو صلى الله عليه وسلم عنهم: «**لاَ تَسُبُّوا أصحابي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَباً مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلاَ نَصِيفَهُ**»(١٣٢)، فكيف الحال بأمة قال فيها «**يُوشك الأممُ أن تَداعَى عليكمْ كَما تَداعَى الأكَلَة إلى قَصْعتِها**» فقال قائل : ومن قلة نحن يومئذ قال: «**بل أنتمْ يومئذٍ كثيرٌ ولكنَّكم غثَاءٌ كغثاءِ السَّيل وليَنزعنَّ الله مِن صدورِ عدوِّكم المهابة مِنكم وليَقذفنَّ الله في قلوبِكم الوهَنَ**» فقال قائل : يا رسول الله وما الوهن؟ «**قالَ حُبُّ الدُّنيا وكراهيةُ الموتِ**»(١٣٣) .

---

(١٣٠) سبق تخريجه .

(١٣١) (٢٣ / الأحزاب).

(١٣٢) صحيح : (٣٦٧٣ / فضائل الصحابة / البخاري) (٢٥٤١ / فضائل الصحابة / مسلم) كلاهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

(١٣٣) صححه الألباني (٩٥٨ / الصحيحة) (٤٢٩٧ / أبو داود) (٥ / ٢٧٨ أحمد في المسند) (٢ / ١٠٣ الطبراني في الكبير) (١ / ١٣٣ الطيالسي) (٧ / ٤٦٣ عبد الرزاق) (١ / ٣٤٥ مسند الشاميين) جميعهم من حديث ثوبان رضي الله عنه .

وفي مسند أحمد (٢/ ٣٥٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وفي سند الأخير : عبد الصمد=

قال الطيبي رحمه الله : (وهو من أضر غوائل النفس وبواطن مكايدها - يقصد الرياء - يبتلى به العلماء والعباد والمشمرون عن ساق الجد لسلوك طريق الآخرة فإنهم مهما قهروا أنفسهم وفطموها عن الشهوات وصانوها عن الشبهات عجزت نفوسهم عن الطمع في المعاصي الظاهرة الواقعة على الجوارح فطلبت الاستراحة إلى الظاهر بالخير وإظهار العلم والعمل فوجدت مخلصًا من مشقة المجاهدة إلى لذة القبول عند الخلق ولم تقتنع باطلاع الخالق تبارك وتعالى وفرحت بحمد الناس ولم تقنع بحمد الله وحده فأحبت مدحهم وتبركهم بمشاهدته وخدمته وإكرامه وتقديمه في المحافل فأصابت النفس في ذلك أعظم اللذات وأعظم الشهوات وهو يظن أن حياته بالله تعالى وبعباداته وإنما حياته هذه الشهوة الخفية التي تعمى عن دركها العقول النافدة قد أثبت اسمه عند الله من المنافقين وهو يظن أنه عند الله من عباده المقربين وهذه مكيدة للنفس لا يسلم منها إلا الصديقون ولذلك قيل آخر ما يخرج من رءوس الصديقين حب الرياسة)(١٣٤) .

وقال الإمام الذهبي رحمه الله : (فكم من رجل نطق بالحق وأمر بالمعروف فيسلط الله عليه من يؤذيه لسوء قصده وحبه للرئاسة الدينية فهذا

ابن حبيب بن عبد الله الأزدي عن أبيه والأول ضعفه أحمد وقال ابن معين (لا بأس به) (١ / ٣٧٩ التقريب) والثاني مجهول (١ / ١٢٣ التقريب) .

قوله صلى الله عليه وسلم (قصعتها) : ما يتناولون فيه بلا مانع أو منازع ، والضمير للأكلة .

وقوله (غثاء) ما يحمله السيل من زبد وشوائب .

وقوله (المهابة) الخوف والرعب .

وقوله (الوهن) الضعف .

(١٣٤) (٤٧٢ : ٤٧٣ / تيسير العزيز الحميد)

داء خفي سار في نفوس الفقهاء كما أنه داء سار في نفوس المنفقين من الأغنياء وأرباب الوقوف والترب المزخرفة وهو داء خفي يسري في نفوس الجند والأمراء والمجاهدين فتراهم يلتقون العدو ويصطدم الجمعان وفي نفوس المجاهدين مخبآت وكمائن من الاختيال، وإظهار الشجاعة ليقال، والعجب، ولبس القراقل المذهبة والخوذ المزخرفة والعدد المحلاة على نفوس متكبرة وفرسان متجبرة وينضاف إلى ذلك إخلال بالصلاة وظلم للرعية وشرب للمسكر فأنى ينصرون وكيف لا يخذلون؟ اللهم فانصر دينك ووفق عبادك فمن طلب العلم للعمل كسره العلم وبكى على نفسه ومن طلب العلم للمدارس والإفتاء والفخر والرياء تحامق واختال وازدرى بالناس وأهلكه العجب ومقتته الأنفس)[١٣٥] .

وللرياء، كما بيَّن الطيبي والذهبي رحمهما الله : آثار عظيمة وأخطار مهلكة، فهو يجلب على الإنسان مصائب شتى، نكتفي بذكر طرف منها :

أولاً: يضاعف له العذاب يوم القيامة :

معاملةً بنقيض قصْده لأنه أراد أن يجمع بين يديه خيري الدنيا والآخرة، فأما الدنيا : فبالرياء أراد أن يقال إنـه مجاهدٌ جريء، أو متصدقٌ جواد، أو قارئٌ للقرآن، وظن أنه ناج من عذاب الله عز وجل بعمله الذي أُحبط ثوابه فيأتي يوم القيامة ويقول لربه عز وجل: (كنت أصل الرحم وأتصدق) أو يقول: (أمرت بالجهاد فقاتلت في سبيلك حتى قتلت) أو يقول: (كنت أقوم بالقرآن آناء الليل والنهار)، ولكن هيهات هيهات أن ينجو بفعلته منه عز

(١٣٥) (١٨ / ١٩٢ سير الأعلام) .

وجل وهو القائل عن نفسه: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ (١٣٦) وقال أيضا: ﴿وَنَضَعُ المَوَازِينَ القِسْطَ لِيَوْمِ القِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ (١٣٧)، لذا يقول الله عز وجل له: (كذبت) وتقول الملائكة: (كذبت) ويكون أول من يسعر به النار فعذابه مضاعف، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**أولئك أولُ خلقِ الله تسعرُ بهمُ النارُ يومَ القيامةِ**» (١٣٨) .

فكما أن لحاملِ القرآن والمُجاهد بنفسه والمتصدق بماله أجر ما ليس لغيرهم، فكذلك يلزمهم من التحفظ ما لا يلزم غيرهم، هكذا قال العلماء وروي عن أبي جعفر محمد بن علي في قول الله تعالى: ﴿فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ

---

(١٣٦) (١٩ / غافر).

(١٣٧) (٤٧ / الأنبياء).

(١٣٨) سبق تخريجه .

وفي الباب حديث ضعيف :

(تعوذوا بالله من جب الحزن أو وادي الحزن) قيل : يا رسول الله وما جب الحزن أو وادي الحزن؟ قال (واد في جهنم تعوذ منه جهنم كل يوم سبعين مرة أعده الله للقراء المرائين وإن من شرار القراء من يزور الأمراء) (٢٣٨٣ / الزهد / الترمذي) (٢٥٦ / المقدمة / ابن ماجة) (٣ / ٢٩١ الطبراني في الأوسط) جميعهم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، قال الإمام الترمذي (حسن غريب) ، وضعفه عدد من العلماء منهم : العلامة ابن الجوزي (٣ / ٢٦٣ الموضوعات) والإمام ابن عدي (٥ / ٧١ الكامل) والشيخ الألباني (٥٠٢٤ / الضعيفة) ، وفي سند الترمذي وابن ماجة عمار بن سيف الضبي وهو ضعيف الحديث ، ضعفه البخاري وأبو زرعة وأبو حاتم (٢ / ٣٨ التقريب) ، وفيه أيضا أبو معاذ (سليمان بن أرقم) البصري ، وهو ضعيف (١ / ٢٤٣ التقريب) ، وفي سند الطبراني مهدي بن جعفر الرملي وهو صدوق له أوهام (٢ / ٢١٥ التقريب) ، وفيه أيضا رواد بن الجراح وهو صدوق اختلط بآخره فترك (١ / ١٩٤ التقريب) وفيه بكير بن شهاب الدامغاني وهو منكر الحديث (١ / ٩٥ التقريب) .

وَالغَاوُونَ﴾ [١٣٩]، قوله: (قوم وصفوا الحق والعدل بألسنتهم، وخالفوه إلى غيره) [١٤٠].

لا تنه عن فعل وتأتي مثله عـــار عليك إذا فعلت عظيـــم

ثانيًا : يُحشر مع المنافقين :

من المعلوم أن كل قوم يُحشرون مع أشباههم، وكل امرئٍ يُحشر مع مثيله، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «**من تشبَّه بقوم فهو منهُم**» [١٤١]، وقال: «**ليسَ مِنَّا مَن تشبَّه بغيرنا**» [١٤٢]، وعن علي رضي الله عنه قال : قال

---

(١٣٩) (٩٤ / الشعراء).

(١٤٠) (١ / ٣٨ الجامع لأحكام القرآن).

(١٤١) صححه الألباني (١٢٦٩ / إرواء العليل) وقال ابن حجر في الفتح (إسناده حسن) (٤٠٣١ / اللباس / أبو داود) (٢ / ٥٠ ، ٩٢ أحمد في المسند) (٤ / ٢١٢ عبد الرزاق) (١ / ١٣٥ الشاميين) (١ / ٢٦٧ عبد بن حميد) (٦ / ٤٧١ ابن أبي شيبة) جميعهم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما .

وفي مسند الشهاب (١ / ٢٤٤) ومصنف عبد الرزاق (٤ / ٢١٦) ومصنف ابن أبي شيبة (٦ / ٤٧٠) والجهاد لابن المبارك (١ / ٩١) مرسلا من حديث طاوس رحمه الله .

وله شاهد : في المعجم الأوسط للطبراني (٨ / ١٧٩) وفي مسند الشاميين (٣ / ٩٤) من حديث حذيفة رضي الله عنه مرفوعا .

(١٤٢) حسنه الألباني وقال (صحيح بشواهده) (٢١٩٤ / الصحيحة) ، وضعفه الإمام الترمذي وقال (وهذا حديث إسناده ضعيف : روى ابن المبارك هذا الحديث عن ابن لهيعة فلم يرفعه) (٢٦٩٥ / الاستئذان والآداب / الترمذي) (٢ / ٢٠٥ الشهاب) (٧ / ٢٣٨ الطبراني في الأوسط) جميعهم من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مرفوعا ، ولفظ الحديث (ليس منا من تشبه بغيرنا ، لا تشبهوا باليهود ولا بالنصارى فإن تسليم اليهود الإشارة بالأصابع وإن تسليم النصارى بالأكف) ، وزاد الطبراني : (ولا تقصوا النواصي وأحفوا الشارب وأعفوا اللحى ولا تمشوا في المساجد والأسواق وعليكم القمص إلا وتحتها الأزر) .

رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ثلاثٌ هنَّ حقٌّ : لاَ يجعلُ الله مَن له سهمٌ في الإسلامِ كمَن لاَ سهمَ لهُ، ولاَ يتولَّى الله عبدًا فيوليه غيرَه، ولاَ يحبُّ رجلٌ قومًا إلاَّ حُشر مَعهم**»(١٤٣).

أما المرائي، فلما شابه المنافق : فصلى كصلاته وذكر كذكره ألحق به، وقد قال الله تعالى في صفة صلاة المنافقين وإنفاقهم ﴿وَلا يَأْتُونَ الصَّلاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ﴾(١٤٤)، وقال أيضًا في صفة صلاتهم وذكرهم ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ الله وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ الله إِلَّا قَلِيلاً﴾(١٤٥).

قال الإمام القرطبي رحمه الله: (الرئاء من النفاق)(١٤٦)، فلما كان المرائي كذلك، استحق جزاء المنافق وتُوعد بوعيده قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾(١٤٧).

وفي مسند الشاميين (١ / ٢٨٩) من حديث جابر رضي الله عنه .

(١٤٣) صححه الألباني وقال (صحيح لغيره) وقال (رواه الطبراني في الصغير والأوسط بإسناد جيد) (٣٠٣٧ / صحيح الترغيب) ، وقال الحاكم (صحيح الإسناد ولم يخرجاه) (١ / ٦٨ المستدرك) (٦ / ٢٩٣ الطبراني في الأوسط) (٢ / ١١٤ الطبراني في الصغير) جميعهم من حديث علي رضي الله عنه .
وله شواهد تقويه :
في مسند أحمد (٦ / ١٤٥) ومسند ابن راهويه (٢ / ٣٣٨) ومسند أبي يعلى (٨ / ٥٠) والمستدرك (١ / ٦٨) جميعهم من حديث عائشة رضي الله عنها ، وفي المعجم الكبير للطبراني (٩ / ١٦٠) موقوفا على ابن مسعود رضي الله عنه ، وفي كنز العمال (٢٤٧٣٠) من حديث جابر رضي الله عنه .

(١٤٤) (٥٤ / التوبة).

(١٤٥) (١٤٢ / النساء).

(١٤٦) (٥ / ١٦٨ الجامع لأحكام القرآن).

(١٤٧) (١٤٥ / النساء).

عن المرء لا تسلْ وسلْ عن قرينهِ (١٤٨) فكـــل قريـــنٍ بالمقـــارن يقتـــدي

ثالثًا : مقته من الله عز وجل :

الرياء من كبائر المُهلكات، يجلب على صاحبه المقت من الله عز وجل، عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**مَن التمسَ رضَا الله بسخطِ الناسِ رضيَ الله عنهُ وأرضَى الناسَ عنهُ ومن التمسَ رضَا الناس بسخطِ الله سَخطَ الله عليه وأسخطَ عليه الناسَ**»(١٤٩).

قال سفيان بن عيينة رحمه الله : بلغنا عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: (لو أن حملة القرآن أخذوه بحقه وما ينبغي، لأحبهم الله تعالى، ولكن طلبوا به الدنيا فأبغضهم الله وهانوا على الناس)(١٥٠).

رابعًا : افتضاح أمره في الدنيا وسوء عاقبته :

ومن معاملة المرائي بنقيض قصده، أنه يفتضح أمره في الدنيا فيسقط من أعين الناس، فالخُلق الذي بات يخفيه عن أعين الناس ويظهره لربه عز وجل، ويخشى الناس فيظهر لهم عكسه، هذا الخلق يكشفه الله عز وجل فيفتضح أمره ولو بعد حين، كما أنه يكون سببًا في سوء خاتمته : قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم : «**مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ الله بِهِ وَمَنْ رَاءَى رَاءَى الله بِهِ**»(١٥١).

وقد أرسل عُمَر رضي الله عنه رَجُلاً إِلَى الكُوفَةِ، يسأل عَن سعد بن أبي

---

(١٤٨) لعدي بن زيد.

(١٤٩) سبق تخريجه .

(١٥٠) ضعيف : (١ / ٣٧ : ٣٨ الجامع لأحكام القرآن) الأثر منقطع إلى ابن عباس رضي الله عنهما ، من هذا الوجه .

(١٥١) سبق تخريجه .

وقاص رضي الله عنه أَهْلَ الكُوفَةِ بعدما شكوه إلى أمير المؤمنين، فلَمْ يَدَعْ مَسْجِدا إلاَّ سَأَلَ عَنْهُ، ويثني عليه، حَتَّى دَخَلَ مَسْجِدا، فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ أُسَامَةُ بْنُ قَتَادَةَ فقَالَ أما إِذْ نَشَدْتَنَا فَإِنَّ سَعْدا كَانَ لاَ يَسِيرُ بِالسَّرِيَّةِ، وَلاَ يقْسمُ بِالسَّوِيَّةِ، وَلاَ يَعْدِلُ فِي القَضِيَّةِ، قَالَ سَعْدٌ: (أَمَا وَالله لأَدْعُوَنَّ بِثلاَثٍ، اللهمَّ إِنْ كَانَ عَبْدُكَ هَذَا كَاذِبا، قَامَ رِيَاءً وَسُمْعَةً فَأَطِلْ عُمرَهُ، وَأَطِلْ فَقْرَهُ، وَعَرِّضْهُ بِالفِتَنِ) وَكَانَ بَعْدُ إِذَا سُئِلَ يَقُولُ شَيْخٌ كَبِيرٌ مَفْتُونٌ، أَصَابَتْنِي دَعْوَةُ سَعْدٍ، فما رئي بعدُ إلا وقَدْ سَقَطَ حَاجِبَاهُ عَلَى عَيْنَيْهِ مِنَ الكِبَرِ، وَيَتَعَرَّضُ لِلْجَوَارِي فِي الطُّرُقِ يَغْمِزُهُنَّ (١٥٢) .

عن عثمان رضي الله عنه قال : (ما أسر أحد سريرة إلا أظهرها الله عز وجل على صفحات وجهه وفلتات لسانه)، وقال ابن عقيل رحمه الله : (للإيمان روائح ولوائح لا تخفى على إطلاع مكلف بالتلمح للمتفرس، وقل أن يضمر شيئا إلا وظهر مع الزمان على فلتات لسانه وصفحات وجهه)(١٥٣) .

وصدق من قال :

ومهما تكن عند امرئ من خليقةٍ (١٥٤) وإن خالها تَخفى على الناس تُعلم

خامسًا : افتضاح أمره على رءوس الأشهاد يوم القيامة :

عن معاذ بن جبل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**مَا مِن عبدٍ يقوم في الدنيا مقامَ رياءٍ وسمعةٍ إلا سمَّع الله به على رءوس الخلائقِ يومَ**

(١٥٢) سبق تخريجه .

(١٥٣) (١ / ١١٠ الآداب الشرعية).

(١٥٤) لزهير بن أبي سلمى .

القيامةِ»[١٥٥]، وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**يُؤْتَى بِالرَّجُلِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُ بَطْنِهِ فَيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الحِمَارُ بِالرَّحَى فَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ فَيَقُولُونَ يَا فُلاَنُ مَا لَكَ أَلَمْ تَكُنْ تَأْمُرُ بِالمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنِ المنْكَرِ؟ فَيَقُولُ بَلَى قَدْ كُنْتُ آمُرُ بِالمَعْرُوفِ وَلاَ آتِيهِ وَأَنْهَى عَنِ المنْكَرِ وَآتِيهِ**»[١٥٦] .

سادسًا : بطلان أعماله وردها عليه :

فخطورة الرياء الحقيقية تكمن في أنه مُحبطٌ للعمل مضيعٌ لثوابه، ويسبب للمُرائي الخذلان في الآخرة، فلا يرى ثواب أعمال كثيرة قد عملها في الدنيا، أنفق في سبيلها الأموال، واقتطع من أجلها الأوقات، وبذل لها الجهد، لكنها قد دخلها شيء لغير الله فأحبطها الله تعالى ولم يتقبلها، وقد قال عز وجل: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ، أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[١٥٧].

---

(١٥٥) سبق تخريجه .

(١٥٦) سبق تخريجه .

وأقتابه : أي أمعاؤه ، والاندلاق : خروج الشيء من مكانه .

وفي الباب حديث ضعيف :

(لا تخادع الله فإنه من يخادع الله يخدعه الله ونفسه يخدع لو يشعر) قالوا يا رسول الله : وكيف يخادع الله قال (تعمل بما أمرك الله به ، وتطلب به غيره ، واتقوا الرياء فإنه الشرك وإن المرائي يدعى يوم القيامة على رءوس الأشهاد وبأربعة أسماء : يا كافر يا خاسر يا غادر يا فاجر ، ضل عملك وبطل أجرك فلا اختلاق لك اليوم فالتمس أجرك ممن كنت تعمل له يا مخادع) سبق تخريجه .

(١٥٧)(١٥ : ١٦ / هود)

وعن رافع بن خديج رضي الله عنه أن رسـول الله صلى الله عليه وسلم قال : «**إنَّ أخوفَ مَا أخافَ عليكم الشركُ الأصغرُ**» قالوا يا رسول الله : وما الشرك الأصغر؟ قال: «**الرِّياءُ، يُقال لمن يفعلُ ذلكَ إذا جاءَ الناسُ بَأعمالهم اذهبوا إلى الذِين كنتم تراءون فاطلبوا ذلك عندهم**»(١٥٨) .

وقال صلى الله عليه وسلم: «**قَالَ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**»(١٥٩) :

ولله در الإمام الشافعي رحمه الله حين قال :

يُريد المرء أن يُعطى مناه	ويـأبـى الله إلا مـا أرادا
يقول المرء فائدتي ومالي	وتقوى الله أفضل ما استفادا

سابعًا : أول من تُسعر به النار :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إنَّ الله تباركَ وتعالى إذا كان يومُ القيامة ينزلُ إلى العباد ليقضيَ بينهم وكلُّ أمة جاثية فأولُ مَن يدعو به رجلٌ جمعَ القرآنَ ورجلٌ يقتتلُ في سبيلِ الله ورجلٌ كثيرُ المالِ فيقول الله للقارئ ألم أعلمك ما أنزلت على رسولي؟ قال بلى يا رب قال فماذا عملت فيما علمتَ قال كنتُ أقوم به آناء الليل وآناء النهار فيقول الله له كذبتَ وتقول له الملائكة كذبتَ ويقولُ الله بل أردتَ أن يُقال إن فلانا قارئ فقد قِيل ذلك ويُؤتى بصاحب المال فيقول الله له ألم أُوسع عليك حتَّى لم أدعك تحتاجُ إلى أحد؟ قال بلى يا رب قال فماذا عملت فيما آتيتك؟ قال كنتُ أصلُ الرحمَ وأتصدقُ فيقول الله له كذبت وتقول له الملائكةُ كذبتَ ويقول الله تعالى بل أردتَ أن يقال فلانٌ جوادٌ فقد**

---

(١٥٨) سبق تخريجه .

(١٥٩) سبق تخريجه .

قيلَ ذاك ويؤتى بالذي قُتل في سبيل الله فيقولُ الله له في ماذا قتلت؟ فيقول أُمرت بالجهاد في سبيلك فقاتلتُ حتَّى قُتلتُ فيقولُ الله تعالى له كذبتَ وتقول له الملائكةُ كذبتَ ويقول الله بل أردتَ أن يُقال فلانٌ جريء فقد قيل ذاك» ثم قال: «أولئك الثلاثةُ أولُ خلقِ الله تُسعر بهم النارُ يومَ القيامةِ»(١٦٠) .

ثامنًا : سخط الناس جزاء من جنس عمل المرائي :

فالرياء : إظهار العبادة لقصد رؤية الناس لها فيحمدوا صاحبها، وهو أمر لا يستقيم للمرائي، فرضا الناس غاية لا تدرك، قال الله عز وجل ﴿ضَرَبَ الله مَثَلاً رَجُلاً فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَماً لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً الحَمْدُ لله بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾(١٦١) .

فالمشرك لما كان يعبد آلهةً شتى شبه بعبد يملكه جماعة متنازعون مختلفون متشاحنون متنافسون في خدمته، لا يمكنه أن يبلغ رضاهم أجمعين، والموحد لما كان يعبد الله وحده فمثله كمثل عبد لرجل واحد، قد سلم له وعلم مقاصده وعرف الطريق إلى رضاه، فهو في راحة من تشاحن الخلطاء فيه، بل هو سالم لمالكه من غير تنازع فيه، مع رأفة مالكه به ورحمته له وشفقته عليه وإحسانه إليه وتوليه لمصالحه، فإن الخالص لمالك واحد يستحق من معونته وإحسانه والتفاته إليه وقيامه بمصالحه ما لا يستحق صاحب الشركاء المتشاكسين(١٦٢) .

وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله

---

(١٦٠) سبق تخريجه .
(١٦١) (٢٩ / الزمر) .
والرجل المتشاكس : ضيق الخلق .
(١٦٢) (١ / ١٥١ إعلام الموقعين) بتصرف .

عليه وسلم: «**من التمسَ رضا الله بسخطِ الناسِ رضيَ الله عنه وأرضى الناسَ عنه ومن التمسَ رضا الناسِ بسخطِ الله سخطَ الله عليه وأسخطَ عليه الناسَ**»[١٦٣].

وعن أنس رضي الله عنه قال : (من أكل بأخيه المسلم أكلة أطعمه الله بها أكلة من النار، ومن لبس بأخيه المسلم ثوبًا ألبسه الله به ثوبًا من النار، ومن قام بأخيه المسلم مقام سمعة ورياء أقامه الله مقام رياء وسمعة)[١٦٤] .

قال السلف رحمهم الله : (وقد يفضي الرياء بصاحبه إلى استهزاء الناس به)، وقد حُكي أن معاوية قال لرجلٍ : من سيد قومك ؟ قال : أنا قال : لو كنت كذلك لم تقله[١٦٥]، وقال طاهر بن الحسين رحمه الله لأبي عبد الله المروزي

---

(١٦٣) سبق تخريجه .

ومن الأحاديث الضعيفة في الباب :

(لا ترضين أحدًا بسخط الله ولا تحمدن أحدًا على فضل الله ولا تذمن أحدًا على ما لم يؤتك الله فإن رزق الله لا يسوقه إليك حرص حريص ولا يرده عنك كراهية كـاره وإن الله بقسطه وعدله جعل الروح والفرج في الرضا واليقين وجعل الهم والحزن في السخط) (١٠ / ٢١٦ الطبراني في الكبير) (٢ / ٩١ الشهاب) كلاهما من حديث ابن مسعود رضي الله عنه ، ضعفه الألباني وقال (موضوع) (١٤٨٢ / الضعيفة) .

(من أرضى سلطانا بسخط ربه عز وجل خرج من دين الله تبارك وتعالى) (٧٠٧١ / المستدرك) من حديث جابر رضي الله عنه ، ضعفه الألباني وقال (موضوع) (٥١٩٩ / الضعيفة) ، وفي سنده عنبسة بن عبد الرحمن وهو متروك ، رماه أبو حاتم بالوضع (٢ / ٧٠ التقريب) .

(اتقوا أبواب السلطان وحواشيها فإن أقرب الناس من السلطان وحواشيها أبعدهم من الله ومن آثر سلطانًا على الله جعل الله الفتنة في قلبه ظاهرة وباطنة) (١٤٨٨٧ / كنز العمال) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما ، ضعفه الألباني وقال (موضوع) (١٦٩٨ / الضعيفة) .

(١٦٤) (١٥٧ / الصمت).

(١٦٥) (٣/ ١٦٨ العقد الفريد)

رحمه الله : منذ كم صرت إلى العراق يا أبا عبد الله؟ قال : دخلت العراق منذ عشرين سنة وأنا منذ ثلاثين سنة صائم، فقال : يا أبا عبد الله سألناك عن مسألة فأجبتنا عن مسألتين [١٦٦] .

ولله در القائل :

ما الناسُ إلا مع الدنيا وصاحبِها فحيثُما انقلبت يومًا به انقلبوا
يُعظمون أخا الدنيا وإن وثبت يومًا عليه بما لا يشتهي وثبوا

تاسعًا : سهولة تسرب الرياء للقلوب وصعوبة التخلص منه إذا تمكن منها :

من أشد مخاطر الرياء سهولة تسلله إلى القلوب خاصة المؤمنة، وصعوبة التخلص منه إذا تمكن منها، وقد قدمنا أن النبي صلى الله عليه وسلم لذا خاف الرياء على أصحابه وهم من هم؟ ثم من بعدهم خاف التابعون والسلف على أنفسهم منه، وحذروا منه تحذيرًا شديدًا، لذا أفرد الإمام القرطبي رحمه الله له جزءًا كبيرًا في مقدمة تفسيره، فضلاً عما تناوله في تفسير الآيات، وكذا أفرد له الحافظ ابن رجب رحمه الله في جامع العلوم والحكم، مثل ذلك .

قال الطيبي رحمه الله فيه : (وهو من أضر غوائل النفس وبواطن مكايدها يبتلى به العلماء والعباد والمشمرون عن ساق الجد لسلوك طريق الآخرة فإنهم مهما قهروا أنفسهم وفطموها عن الشهوات وصانوها عن الشبهات عجزت نفوسهم عن الطمع في المعاصي الظاهرة الواقعة على الجوارح فطلبت الاستراحة إلى الظاهر بالخير وإظهار العلم والعمل فوجدت مخلصًا من مشقة المجاهدة إلى لذة القبول عند الخلق ولم تقتنع باطلاع الخالق

(١٦٦) (١١ / ٦١ الجامع لأحكام القرآن).

تبارك وتعالى وفرحت بحمد الناس ولم تقنع بحمد الله وحده فأحبت مدحهم وتبركهم بمشاهدته وخدمته وإكرامه وتقديمه في المحافل فأصابت النفس في ذلك أعظم اللذات وأعظم الشهوات وهو يظن أن حياته بالله تعالى وبعباداته وإنما حياته هذه الشهوة الخفية التي تعمى عن دركها العقول النافذة قد أثبت اسمه عند الله من المنافقين وهو يظن أنه عند الله من عباده المقربين وهذه مكيدة للنفس لا يسلم منها إلا الصديقون ولذلك قيل آخر ما يخرج من رءوس الصديقين حب الرياسة) [١٦٧].

عاشرًا : إصابة المرائي بالفقر والخوف والغم وضيق الصدر وظلمة القلب وتعرضه للفتن :

قال ابن القيم رحمه الله : (الشركُ والكذبُ والرياءُ غصن من شجرة في القلب ثمرها في الدنيا الخوف والهم والغم وضيق الصدر وظلمة القلب، وثمرها في الآخرة الزقوم والعذاب المقيم) [١٦٨].

أما تعرضه للفتن فروى البخاري من حديث جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رضي الله عنه قَالَ شَكَا أَهْلُ الكُوفَةِ سَعْدا إِلَى عُمَرَ رضي الله عنه فَعَزَلَهُ وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ عَمَّارا، فَشَكَوْا حَتَّى ذَكَرُوا أَنَّهُ لاَ يُحْسِنُ يُصَلِّي، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فَقَالَ يَا أَبَا إِسْحَاقَ إِنَّ هَؤُلاَءِ يَزْعُمُونَ أَنَّكَ لاَ تُحْسِنُ تُصَلِّي قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ أَمَّا أَنَا وَالله فَإِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي بِهِمْ صَلاَةَ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم مَا أَخْرِمُ عَنْهَا، قَالَ ذَاكَ الظَّنُّ بِكَ يَا أَبَا إِسْحَاقَ، فَأَرْسَلَ مَعَهُ رَجُلاً إِلَى الكُوفَةِ، فَسَأَلَ عَنْهُ أَهْلَ الكُوفَةِ، وَلَمْ يَدَعْ مَسْجِداً إِلاَّ سَأَلَ عَنْهُ، ويثني مَعْرُوفاً، حَتَّى دَخَلَ مَسْجِداً لِبَنِي عَبْسٍ، فَقَامَ

---

(١٦٧) (٤٧٢ : ٤٧٣ / تيسير العزيز الحميد).
(١٦٨) (٢٢٦ / الفوائد).

رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ أُسَامَةُ بْنُ قَتَادَةَ يُكْنَى أَبَا سَعْدَةَ قَالَ أَمَّا إِذْ نَشَدْتَنَا فَإِنَّ سَعْداً كَانَ لاَ يَسِيرُ بِالسَّرِيَّةِ، وَلاَ يَقْسِمُ بِالسَّوِيَّةِ، وَلاَ يَعْدِلُ فِي القَضِيَّةِ، قَالَ سَعْدٌ: (أَمَا وَالله لأَدْعُوَنَّ بِثَلاَثٍ، اللهمَّ إِنْ كَانَ عَبْدُكَ هَذَا كَاذِباً، قَامَ رِيَاءً وَسُمْعَةً فَأَطِلْ عُمرَهُ، وَأَطِلْ فَقْرَهُ، وَعَرِّضْهُ بِالفِتَنِ) وَكَانَ بَعْدُ إِذَا سُئِلَ يَقُولُ: شَيْخٌ كَبِيرٌ مَفْتُونٌ، أَصَابَتْنِي دَعْوَةُ سَعْدٍ، قَالَ عَبْدُ المَلِكِ بن عمير فَأَنَا رَأَيْتُهُ بَعْدُ قَدْ سَقَطَ حَاجِبَاهُ عَلَى عَيْنَيْهِ مِنَ الكِبَرِ، وَإِنَّهُ لَيَتَعَرَّضُ لِلْجَوَارِي فِي الطُّرُقِ يَغْمِزُهُنَّ (١٦٩).

---

(١٦٩) سبق تخريجه .

وفي الباب حديث ضعيف : (يخرج في آخر الزمان رجال يختلون الدنيا بالدين يلبسون للناس جلود الضأن من اللين ألسنتهم أحلى من السكر وقلوبهم قلوب الذئاب يقول الله: أبي يغترون أم علي يجترئون؟ فبي حلفت لأبعثن على أولئك منهم فتنة تدع الحليم فيهم حيران) (سبق تخريجه) .

فصل في : الإخلاص ترك الرياء

الإخلاص : الإفراد وتصفية الشيء مما ينافيه أو يفسده .

وقد سُئل أحد السلف عن الإخلاص فأجاب : (ما لا يحب أن يحمده عليه إلا الله عز وجل) [١٧٠] .

وقيل الإخلاص : استواء أحوال العبد في الظاهر والباطن، والرياء أن يكون ظاهر العبد خيرًا من باطنه، أي لملاحظة الخلق والصدق في الإخلاص أن يكون باطنه أعمر من ظاهره [١٧١] .

والأدلة على اعتبار الأعمال بقدر النية فيها كثيرة جدًّا، وقد أُفردت لها كتب وأبحاث ونكتفي بذكر طرف منها :

قال الله عز وجل: ﴿فَادْعُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [١٧٢] وقال أيضا: ﴿قُلِ اللهَ أَعْبُدُ مُخْلِصا لَهُ دِينِي﴾ [١٧٣] وقال: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللهَ مُخْلِصا لَهُ الدِّينَ﴾ [١٧٤] وقال: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الكِتَابَ بِالحَقِّ فَاعْبُدِ اللهَ مُخْلِصا لَهُ الدِّينَ﴾ [١٧٥] وقال أيضا: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ [١٧٦] ، مخلصين له الدين : أي العبادة .

---

(١٧٠) (٩٦ / مختصر شعب الإيمان).
(١٧١) (٤٧٢ / تيسير العزيز الحميد).
(١٧٢) (١٤ / غافر).
(١٧٣) (١٤ / الزمر).
(١٧٤) (١١ / الزمر).
(١٧٥) (٢ / الزمر).
(١٧٦) (٥ / البينة).

وفي الآيات دليل على وجوبِ النية في العبادات، ذلك أن الإخلاصَ من عمل القلب، وهو الذي يُراد به وجه الله تعالى، وهذه هي النية .

وإذا أحسنَ المرء نيته في أعماله على النحو الوارد في قول النبي صلى الله عليه وسلم في الإحسان : «**أنْ تعبدَ اللهَ كأنَّكَ تَراهُ فَإن لم تكُنْ تَراهُ فإنَّه يراكَ**»(١٧٧)، أيقنَ حقيقة الإخلاص، وإن أيقن حقيقة الإخلاص عرف الرياء فـإذا ما داخله يومًا شعر به فدفعه، قال سهل بن عبد الله رحمه الله : (لا يعرف الرياء إلا مخلص ولا النفاق إلا مؤمن ولا الجهل إلا عالم ولا المعصية إلا مطيع) (١٧٨)، ونحو ذلك قول أبي موسى رضي الله عنه : (نية المؤمن خير من عمله، وإن الله عز وجل ليعطي العبد على نيته ما لا يعطيه على عمله، وذلك أن النية لا رياء فيها والعمل يخالطه الريــاء) (١٧٩)، وقــول مطرف بن عبدالله رحمه الله : (صلاح القلب بصلاح العمل، وصلاح العمل، بصلاح النية)، وقول ابن المبارك رحمه الله (رُب عمل صغير تعظمه النية، ورُب عمل كبير تصغره النية) (١٨٠)، ومنه قول السلف : النية عبادة مستقلة لا تفتقر إلى غيرها، وكل العبادات تفتقر إليها .

لذا كان شأن المخلص تحري الخير والصلاح في كل عمل من أعماله، ويطلب الكمالَ في ذلك، ثم يتحرى أن يموت ميتةً مُرضيةً لله تعالى، ولا يخاف الموت فيمنعه من الجهاد في سبيل الله لإحقاق الحق وإبطال الباطل وإقامة

---

(١٧٧) صحيح : (٥٠ / الإيمان / البخاري) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، (٨ / الإيمان / مسلم) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

(١٧٨) (٩٦ / مختصر شعب الإيمان).

(١٧٩) (٧٢٧٠ / كنز العمال).

(١٨٠) (٧٢٧٠ / كنز العمال).

العدل والأخذ على أيدي الجور والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهذا مقتضى الدين يقوم به من يأخذه بقوة [١٨١]، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لله رَبِّ العَالَمِينَ﴾[١٨٢] .

كأن رقيبا منك يرعى خواطري — وآخر يرعى ناظري ولساني
وإخوان صدق قد سئمت لقاءهم — وأغضيت طرفي عنهم ولساني
وما الغض أسلى عنهم غير أنني — أراك كما كل الجهات تراني

---

(١٨١)(٨/ ٢٤٤ المنار) .
(١٨٢)(١٦٢ / الأنعام).

فصل في : فضل الإخلاص

شرط قبول العمل أن يكون خالصا لوجه الله عز وجل موافقا لسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، كما قال الفضيل بن عياض في قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ (١٨٣)، قال: (أيكم أخلصه وأصوبه، قيل : يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه، قال إن العمل إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يقبل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يقبل حتى يكون خالصًا صوابًا، فالخالص ما كان لله تعالى والصواب ما كان على السنة)(١٨٤) .

ولما كان الإخلاص شاقًّا على المرء لكونه مجاهدة للنفس فضلاً عن الشيطان فإنه لا يناله إلا القليل من الناس، ولذا جعل الله عز وجل للمخلصين بشريات جمة، وعلى قدر إخلاصهم تزداد هذه البشريات، ونكتفي بذكر طرف منها لكونها أكثر من أن تحصى، وكيف يدرك عقل إنسان ثوابًا كتبه الله عز وجل لمن أحبهم واصطفاهـم، جل فـي علاه؟ .

أولاً : استجابة الدعاء :

فكلما استقامت النفس إلى ربها، واتجهت إليه، وأخلصت له العبادة، كان جزاؤها إذا لجأت إليه في طلب ما ورفعت أكف الضراعة، استجابة ندائها، ذلك أن عبدًا مملوكًا يعمل عند سيده لا يكل ولا يمل، يطيعه في أوامره ولا يفعل ما يكدره، فأنى لسيده إذا سأله هذا العبد حاجة ما ألا يلبيها له؟ ولله تعالى المثل الأعلى، قال تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ

---

(١٨٣) (٢ / الملك).
(١٨٤) (٣٠٥/ فتح المجيد).

فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾[١٨٥] .

قال بكر بن خنيس رحمه الله : خرجنا مرة لنستقي وخرج الأمير والقاضي فدعا القاضي ثم أذِنَ الأمير للناس بالانصراف قال وما نرى في السماء سحابًا وإلى جنبي أسود عليه كسالة قال فالتفت إليه فسمعته يدعو وأعجبت بدعائه فقال في دعائه لما نظر إلى الناس منصرفين اللهم اسقنا الساعة واقلب عبادك مسرورين قال فوالله إن كان إلا انقضاء قوله حتى أقبلت السماء بأشد ما يكون من المطر قال بكر فحرصت على أن أعرفه أو أدركه فلم أقدر على ذلك[١٨٦] .

ثانيًا : النجاة من المهالك :

وكما أن جزاءَ إخلاص العبادة استجابة دعاء المخلصين، كذلك لهم من ربهم عز وجل فضل وهو إحاطتهم بالعناية الإلهية وتخليصهم من المهالك، قال تعالى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾[١٨٧] .

ثالثًا : كسب رضا الناس :

وقد يظن بعض الناس عكس هذا، بل أكثرهم يظنون أنهم إذا أحسنوا العبادة وأظهروها للناس نالوا رضاهم واحترامهم، لذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**يقومُ الرَّجلُ فيصلِّي فيزيِّنُ صَلاَتَهُ جاهدًا لما يَرى مِن نظرِ النَّاس**

---

(١٨٥) (٦٥ / العنكبوت).
(١٨٦) (٥٣ / الأولياء).
(١٨٧) (٣٢ / لقمان).

إليهِ» [١٨٨]، وليس كما يظنون، إنما هم إذا أظهروا كمال العبادة لاستحسان الناس لا لاتباع أمر الله تعالى سخط الله عليهم، وإذا سخط عليهم أسخط عليهم الناس، عن أم المؤمنين عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **«مَن التَمسَ رضِا الله بسخَطِ النَّاس رضِيَ الله عنَه وأرضَى النَّاس عنهُ ومَن التمسَ رضا النَّاس بسخَطِ الله سخِطَ الله عليهِ وأسْخطَ عليهِ النَّاس»** [١٨٩]، وفي رواية : **«مَن آثرَ محبةَ الله علَى محبةِ النَّاس كَفاه الله مُؤنة النَّاس»** [١٩٠] .

قال العلامة ابن الجوزي رحمه الله : (الإنسان قد يخفي ما لا يرضاه الله عز وجل، فيظهره الله سبحانه عليه ولو بعد حين، وينطق الألسنة به وإن لم يشاهده الناس ... وكذلك يخفي الطاعـة فتظهر عليه، ويتحدث الناس بها وبأكثر منها، حتى إنهم لا يعرفون له ذنبًا ولا يذكرونه إلا بالمحاسن، ليعلم أن هنالك ربًّا لا يضيع عمل عامل) [١٩١] .

رابعًا : إحاطة الملائكة للمخلصين :

فعَنْ حَنْظَلَةَ الأُسَيِّدِيِّ رضي الله عنه قَالَ : لقيني أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ : كَيْفَ أَنْتَ يَا حَنْظَلَةُ؟ قُلْتُ : نَافَقَ حَنْظَلَةُ، قَالَ : سُبْحَانَ الله مَا تَقُولُ؟، قَالَ : قُلْتُ نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّا رَأْيَ عَيْنٍ فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم عَافَسْنَا الأَزْوَاجَ وَالأَوْلاَدَ وَالضَّيْعَاتِ فَنَسِينَا كَثِيرا، قَالَ أَبُو بَكْرٍ : فَوَالله إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم قُلْتُ :

---

(١٨٨) سبق تخريجه .

(١٨٩) سبق تخريجه .

(١٩٠) سبق تخريجه .

(١٩١) (٥٨ / صيد الخاطر).

نَافَقَ حَنْظَلَةُ يَا رَسُولَ الله، فَقَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم «**وَمَا ذَاكَ؟**» قُلْتُ : يَا رَسُولَ الله نَكُونُ عِنْدَكَ تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّا رَأْىَ عَيْنٍ فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ عَافَسْنَا الأَزْوَاجَ وَالأَوْلاَدَ وَالضَّيْعَاتِ نَسِينَا كَثِيرا، فَقَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «**والذي نفسي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عندي وَفِى الذِّكْرِ لَصَافَحَتْكُمُ المَلاَئِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِى طُرُقِكُمْ وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً**»(١٩٢) .

وقد كانت الملائكةُ تسلم على عمران بن حصين رضي الله عنه في مرضه، فلما اكتوى تركت الملائكة مصافحته، فلما ترك عادت تسلم عليه(١٩٣) .

خامسًا : الفوزُ بشفاعةِ النبي صلى الله عليه وسلم يوم القيامة :

فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قِيلَ : يَا رَسُولَ الله، مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «**لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لاَ يسألني عَنْ هَذَا الحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ، لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الحَدِيثِ، أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِى يَوْمَ القِيَامَةِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله، خَالِصا مِنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ**»(١٩٤) .

إذ كيف يشفع النبي صلى الله عليه وسلم في عبد أشرك مع الله عز وجل غيره في عبادته وملاحظته ومراقبته ؟.

سادسا : يظلهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظله :

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**سَبْعَةٌ**

---

(١٩٢) صحيح : (٢٧٥٠ / التوبة / مسلم) من حديث حنظلة الأسيدي رضي الله عنه .

(١٩٣) صحيح : (١٢٢٦ / الحج / مسلم) .

(١٩٤) سبق تخريجه .

يُظِلُّهُمُ الله فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ: الإِمَامُ العَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَسَاجِدِ، وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي الله اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِني أَخَافُ الله، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ أَخْفَى حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ الله خَالِيا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ»(١٩٥) .

ومحل الشاهد : وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِني أَخَافُ الله، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ أَخْفَى حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ الله خَالِيا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ .

---

(١٩٥) صحيح : (٦٦٠ / الآذان / البخاري) (١٠٣١ / الزكاة / مسلم) كلاهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

فصل في : الشرك والرياء

الشرك نوعان : شرك أكبر وشرك أصغر

والفرق :

أولاً : أن الأكبر لا يغفر لصاحبه، وأما الأصغر فرهن المشيئة .

ثانيًا : الأكبر محبط لجميع الأعمال، وأما الأصغر فلا يحبط إلا العمل الذي قارنه .

ثالثًا : الأكبر مخرج عن ملة الإسلام، وأما الأصغر فلا يخرج منها .

رابعًا : صاحب الشرك الأكبر خالد في النار، وأما الأصغر فكغيره من الذنوب .

أما الشركُ الأكبر : فهو اتخاذ الند لله تعالى بأن يدعوه أو يرجوه أو يخافه أو يحبه كمحبة الله عز وجل أو يذبح له أو ينذر [١٩٦] :

والشرك فاحذره فشرك ظاهر ذا القسم ليس بقابلِ الغفران

وهو اتخاذ الند للرحمن أيًّا كان من حجر ومن إنسان

يدعوه أو يرجوه ثم يخافه ويحبه كمحبة الديان [١٩٧]

وأما الشرك الأصغر :

فعن رافع بن خديج رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «**إنَّ أخوفَ ما أخَاف عليكمْ الشركُ الأصغرُ**» قالوا يا رسول الله : وما

---

(١٩٦) (٣٢٠، ٣٢٢/ الكواشف الجلية).

(١٩٧) من نونية العلامة ابن القيم رحمه الله .

الشرك الأصغر؟ قال: «الرِّياءُ، يقالُ لمنْ يفعلُ ذلكَ إذَا جَاءَ النَّاسُ بأعمَالهم اذهبُوا إلى الذينَ كنتمْ تُراءُونَ فاطلبُوا ذلكَ عندَهم»[١٩٨] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «قَالَ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ معي غيري تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ»[١٩٩] وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : خرج النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «أيُّها النَّاس إيَّاكُم وشِركَ السَّرائِر» قالوا: يا رسول الله ما شرك السرائر؟ قال: «يَقومُ الرَّجل فيصلِّي فيزيِّن صلاتَهُ جاهدًا لما يَرى مِن نَظَر النَّاس إليه فذاكَ شركُ السَّرائر»[٢٠٠]، وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نتذاكر المسيح الدجال فقال: «ألاَ أخبرُكم بما هوَ أخوفُ علَيكم عِندي مِن المسِيح الدَّجَّال؟» قلنا : بَلَى فقال: «الشِّركُ الخفيُّ أن يقومَ الرَّجلُ يُصلِّي فيزيِّنُ صلاتَه لما يَرى مِن نَظرِ رجُلٍ»[٢٠١].

---

(١٩٨) سبق تخريجه .

(١٩٩) سبق تخريجه .

(٢٠٠) سبق تخريجه .

(٢٠١) سبق تخريجه .

وفي الباب عدة أحاديث ضعيفة :

(من صام يرائي فقد أشرك ومن صلى يرائي فقد أشرك ومن تصدق يرائي فقد أشرك إن الله تعالى يقول أنا خير قسيم لمن أشرك بي من أشرك بي شيئا فإن عمله قليله وكثيره لشريكه الذي أشرك بي أنا عنه غني) (٧ / ٢٨١ الطبراني في الكبير) (٤ / ١٢٥ أحمد في المسند مرفوعا) (٤ / ٣٦٦ المستدرك) (١ / ١٥٣ الطيالسي) جميعهم من حديث شداد ابن أوس رضي الله عنه ، ضعفه الألباني (١٩ / ضعيف الترغيب) ، وفي سنده شهر بن حوشب وهو صدوق كثير الإرسال والأوهام (١ / ٢٦٨ التقريب) ، وفيه أيضا عبد الحيد بن بهرام وهو صدوق (١ / ٣٤٩ التقريب) .

=(إن اليسير من الرياء شرك) (٣٩٨٩ / الفتن / ابن ماجة) (٤ / ٣٦٤ المستدرك) (٢٠ / ١٥٤ الطبراني في الكبير) (٣٠ / التواضع والخمول) (١١ / الأولياء) جميعهم من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه ، صححه الحاكم وقال (صحيح الإسناد ولم يخرجاه)، وضعفه البوصيري في زوائد ابن ماجة ، وضعفه الألباني (١٨٦٦ / ضعيف الترغيب) ، والمحفوظ أنه من طريق عيسى بن عبد الرحمن بن فروة وهو متروك (٢ / ٧٨ التقريب) .

وللحديث طريق آخر لم تسلم من الضعف عند الطبراني في الأوسط (٧ / ١٤٥) والصغير (٢ / ١٢٣) من حديث معاذ رضي الله عنه .

وفي رواية عن معاذ رضي الله عنه (إن أدنى الرياء شرك) (٣ / ٣٠٤ المستدرك) (٢٠ / ٣٧ الطبراني في الكبير) (٢ / ٢٥٢ الشهاب) ، ضعفه الألباني وقال (ضعيف جدا) (٢٩٧٥ / الضعيفة) ، وفي سند الحديث أبو قلابة (عبد الله بن زيد الجرمي) وهو ثقة وكان كثير الإرسال (١ / ٣١٢ التقريب) ، وفيه أيضا شاذ بن الفياض وهو صدوق له أوهام (١ / ٢٦٠ التقريب) .

(إن الاتقاء على العمل أشد من العمل وإن الرجل ليعمل العمل فيكتب له عمل صالح معمول به في السر يضعف أجره سبعين ضعفًا فلا يزال به الشيطان حتى يذكره للناس ويعلنه فيكتب علانية ويمحى تضعيف أجره كله ثم لا يزال به الشيطان حتى يذكره للناس الثانية ويحب أن يذكر به ويحمد عليه فيمحى من العلانية ويكتب رياء فاتقى الله امرؤ صان دينه ، وإن الرياء شرك) (٤ / ١١٠ الترمذي مختصرًا) (١٠٣ / الذهبي في الكبائر مختصرًا) وكلاهما معلقا دون سند ، ضعفه الألباني (٢٤ / ضعيف الترغيب) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه .

عن شداد بن أوس رضي الله عنه قال : بينما أنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ رأيت بوجهه أمرًا ساءني فقلت بأبي وأمي يا رسول الله ما الذي أرى بوجهك ؟ قال (أمرًا أتخوفه على أمتي الشرك وشهوة خفية) قلت وتشرك أمتك من بعدك قال (يا شداد إنهم لا يعبدون شمسًا ولا وثنًا ولا حجرًا ولكن يراءون الناس بأعمالهم) قلت يا رسول الله الرياء شرك هو قال (نعم) قلت فما الشهوة الخفية ؟ قال (يصبح أحدهم صائمًا فتعرض له شهوة من شهوات الدنيا فيفطر) (٤٢٠٥ / ابن ماجة) (٧ / ٢٨٤ ، ٢٨٥ الطبراني في الكبير) (٤ / ١٢٤ أحمد في المسند) (٤ / ٣٦٦ المستدرك) جميعهم من حديث شداد رضي الله عنه ، قال البوصيري في زوائد ابن ماجة (في إسناده عامر بن عبد الله ، لم أر من تكلم فيه ، وباقي رجال الإسناد ثقات) ، وصححه الحاكم وقال (صحيح الإسناد ولم=

وعن شداد بن أوس رضي الله عنه قال : (كنا نعد الرياء على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشرك الأصغر) (٢٠٢) .

وفسر الطيبي رحمه الله الشرك الأصغر بالرياء (٢٠٣)، وفسره العلامة ابن القيم رحمه الله فقال : (كيسير الرياء، والتصنع للخلق، والحلف بغير الله تعالى، وقول الرجل للرجل : ما شاء الله وشئت وهذا من الله ومنك وأنا بالله وبك وما لي إلا الله وأنت وأنا متوكل على الله وعليك ولولا الله وأنت لم يكن كذا وكذا، وقد يكون هذا شركًا أكبر بحسب حال قائله ومقصده) (٢٠٤)، وقال أيضا : (الرياء كله شرك) (٢٠٥) .

ووضع شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في كتابه (التوحيد) بابًا بعنوان : الخوف من الشرك، وبعد أن أورد الأدلة، قال : فيه مسائل : (الأولى) الخوف من الشرك، (الثانية) أن الرياء من الشرك، (الثالثة) أنه من الشرك الأصغر، (الرابعة) أنه أخوف ما يخاف منه على الصالحين .

قال الشيخ عبد الله بن جار الله صاحب كتاب " الجامع الفريد للأسئلة والأجوبة على كتاب التوحيد " (وعلاقة هذا الباب بكتاب التوحيد : أن الرياء

يخرجاه) ، ورده الذهبي ، وضعفه الألباني وقال (ضعيف جدًا) (ضعيف الترغيب) ، والمحفوظ أنه من طريق عبد الواحد بن زيد وهو متروك ، وفي سند ابن ماجة رواد بن الجراح وهو صدوق اختلط بآخره فترك (١ / ١٩٤ التقريب) ، وفيه أيضًا عامر بن عبدالله شيخ رواد وهو مجهول (١ / ٢٩١ التقريب) ، وفيه الحسن بن ذكوان وهو صدوق يخطئ كان يدلس (١ / ١٣٤ التقريب) ولم يصرح بالتحديث .

(٢٠٢) سبق تخريجه .

(٢٠٣) (١ / ٩٨ فتح الباري)

(٢٠٤) (٣٠٤ : ٣٠٥ / فتح المجيد)

(٢٠٥) (١٨٤ / الداء والدواء)

شرك أصغر منافٍ لكمال التوحيد) [٢٠٦].

جماع ما تقدم دل على أن أهم أبواب الشرك الأصغر : الرياء وما يلحق به من يسير الرياء والتصنع للخلق والسمعة والعمل لغرض من الدنيا كأجر أو منفعة .

قال الهيثمي رحمه الله : يتضح الفرق بين الرياء (كشرك أصغر) وبين الشرك الأكبر بمثال هو أن المصلي مراءاة يكون رياؤه سببًا باعثًا على العمل، وهو تارة يقصد بعمله تعظيم الله تعالى، وتارة لا يقصد شيئًا، وفي كل منهما لا يصدر عنه مكفر، بخلاف الشرك الأكبر الذي لا يحدث لا إذا قصد تعظيم غير الله تعالى، وعلم بذلك أن المرائي إنما حدث له هذا النوع من الشرك بتعظيمه قدر المخلوق عنده حتى حمله ذلك على الركوع والسجود، فكان المخلوق هو المعظم بالسجود من وجه، وذلك غاية الجهل [٢٠٧].

وقد ذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله في فتح الباري – تعليقًا على حديث الإيمان بضع وسبعون شعبة – ما أورده العلماء من شعب الإيمان وقسمها إلـى ثلاثة أقسام :

(١) أعمال القلب : وفيها المعتقدات والنيات وتشمل على أربع وعشرين خصلة، ذكر فيها ترك الرياء .

(٢) أعمال اللسان : وتشمل على سبع خصال .

---

(٢٠٦)(١٤٥ / الجامع الفريد)

(٢٠٧)(١ / ٤٤ الزواجر) بتصرف .

(٣) أعمال البدن : وتشمل على ثمان وثلاثين خصلة [٢٠٨].

---

(٢٠٨)(١ / ٧٩ : ٨٠ فتح الباري) قال الحافظ رحمه الله :
قال القاضي عياض : (تكلف جماعة حصر هذه الشعب بطريق الاجتهاد وفي الحكم بكون ذلك هو المراد صعوبة ولا يقدح عدم معرفة حصر ذلك على التفصيل في الإيمان) .
ولم يتفق من عد الشعب على نمط واحد وأقربها إلى الصواب طريقة ابن حبان لكن لم نقف على بيانها من كلامه وقد لخصت مما أوردوه ما أذكره وهو أن هذه الشعب تتفرع عن أعمال القلب وأعمال اللسان وأعمال البدن فأعمال القلب فيه المعتقدات والنيات وتشتمل على أربع وعشرين خصلة: الإيمان بالله ويدخل فيه الإيمان بذاته وصفاته وتوحيده بأنه ليس كمثله شيء واعتقاد حدوث ما دونه والإيمان بملائكته وكتبه ورسله والقدر خيره وشره والإيمان باليوم الآخر ويدخل فيه المسألة في القبر والبعث والنشور والحساب والميزان والصراط والجنة والنار ومحبة الله والحب والبغض فيه ومحبة النبي صلى الله عليه وسلم واعتقاد تعظيمه ويدخل فيه الصلاة عليه واتباع سنته والإخلاص ويدخل فيه ترك الرياء والنفاق والتوبة والخوف والرجاء والشكر والوفاء والصبر والرضا بالقضاء والتوكل والرحمة والتواضع ويدخل فيه توقير الكبير ورحمة الصغير وترك الكبر والعجب وترك الحسد وترك الحقد وترك الغضب. وأعمال اللسان وتشتمل على سبع خصال التلفظ بالتوحيد وتلاوة القرآن وتعلم العلم وتعليمه والدعاء والذكر ويدخل فيه الاستغفار واجتناب اللغو وأعمال البدن وتشتمل على ثمان وثلاثين خصلة: منها ما يختص بالأعيان وهي خمس عشرة خصلة التطهير حسًا وحكمًا ويدخل فيه اجتناب النجاسات وستر العورة والصلاة فرضًا ونفلاً والزكاة كذلك وفك الرقاب والجود ويدخل فيه إطعام الطعام وإكرام الضيف والصيام فرضًا ونفلاً والحج والعمرة كذلك والطواف والاعتكاف والتماس ليلة القدر والفرار بالدين ويدخل فيه الهجرة من دار الشرك والوفاء بالنذر والتحري في الإيمان وأداء الكفارات ومنها ما يتعلق بالاتباع وهي ست خصال: التعفف بالنكاح والقيام بحقوق العيال وبر الوالدين وفيه اجتناب العقوق وتربية الأولاد وصلة الرحم وطاعة السادة أو الرفق بالعبيد ومنها ما يتعلق بالعامة وهي سبع عشرة خصلة: القيام بالإمرة مع العدل ومتابعة الجماعة وطاعة أولي الأمر والإصلاح بين الناس ويدخل فيه قتال الخوارج والبغاة والمعاونة على البر ويدخل فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة الحدود والجهاد ومنه المرابطة وأداء الأمانة ومنه أداء الخمس والقرض مع وفائه وإكرام الجار وحسن المعاملة وفيه جمع المال من حله

وإذا كان الرياء من الشرك الأصغر .

فهل يمكن أن يصل إلى الأكبر ؟

قال الشيخ ابن العيثمين رحمه الله : ظاهر الحديث [٢٠٩] : لا يمكن لأنه قال (الشرك الأصغر)، لكن في عبارات ابـن القيم رحمه الله، أنه إذا ذكر الشرك الأصغر قال : كيسير الرياء، فهذا يدل على أن كثيره ليس من الأصغر، لكن إن أراد به الكمية : فنعم، لأنه لو كان يرائي في كل عمل لكان مشركًا شركًا أكبر لعدم وجود الإخلاص في عمل يعمله، أما إذا أراد الكيفية : فظاهر الحديث أنه أصغر مطلقًا [٢١٠] .

وإنفاق المال في حقه ومنه ترك التبذير والإسراف ورد السلام وتشميت العاطس وكف الأذى عن الناس واجتناب اللهو وإماطة الأذى عن الطريق فهذه تسع وستون خصلة ويمكن عدها تسعًا وسبعين خصلة باعتبار إفراد ما ضم بعضه إلى بعض مما ذكر والله أعلم. فائدة في رواية مسلم من الزيادة أعلاها لا إله الا الله وأدناها إماطة الأذي عن الطريق وفي هذا إشارة إلى أن مراتبها متفاوتة . والله أعلم .

(٢٠٩) يريد حديث رافع بن خديج رضي الله عنه .

(٢١٠)(٧٩/ القول المفيد) .

فصل في الفرق بين الرياء والنفاق

عد بعض أهل العلم الرياء صفة من صفات المنافقين، مستدلين بالآيات الواردة في تشبيه عمل المنافق بالمرائي، قال الله تعالى في صفة صلاة المنافقين وإنفاقهم: ﴿وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ﴾(٢١١)، وقال أيضًا في صفة صلاتهم وذكرهم: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾(٢١٢).

قال قتادة رحمه الله: (والله لولا الناس ما صلّى المنافق، ولا يصلي إلا رياءً وسمعة)(٢١٣)، وقال عبد الرحمن بن زيد رحمه الله: (لولا الرياء ما صلوا)(٢١٤) قال الإمام القرطبي رحمه الله: (الرياء من النفاق)(٢١٥).

وعده الإمام الذهبي رحمه الله شعبة من شعب النفاق وقال: (وكذلك شعب النفاق من الكذب والخيانة والفجور والغدر والرياء وطلب العلم ليقال وحب الرئاسة والمشيخة وموادة الفجار والنصارىٰ فمن ارتكبها كلها وكان في قلبه غل للنبي صلى الله عليه وسلم أو حرج من قضاياه أو يصوم رمضان غير محتسب أو

---

(٢١١) (٥٤/ التوبة).

(٢١٢) (١٤٢/ النساء).

(٢١٣) حسن: (٥/ ٤٠٨ جامع البيان) من طريق يزيد بن زريع عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة رحمهم الله.

(٢١٤) صحيح: (٥/ ٤٠٨ جامع البيان) من طريق يونس بن عبد الأعلىٰ عن ابن وهب عن ابن زيد رحمهم الله، وعبد الرحمن بن زيد، ضعيف في الحديث (١/ ٣٤٠ التقريب)، إلا أنه معتبر في التفسير، أكثر عنه ابن جرير وابن كثير رحمهما الله في تفسيريهما.

(٢١٥) (٥/ ١٦٨ الجامع لأحكام القرآن).

يجوز إلى دين النصارى أو اليهود دين مليح ويميل إليهم فهذا لا تَرتَبْ في أنه كامل النفاق وأنه في الدرك الأسفل من النار وصفاته الممقوتة عديدة في الكتاب والسنة من قيامه إلى الصلاة كسلان وأدائة الزكاة وهـو كاره وإن عامل الناس فبالمكر والخديعة قد اتخذ إسلامه جنة نعوذ بالله من النفاق فقد خافه سادة الصحابة على نفوسهم، فإن كان فيه شعبة من نفاق الأعمال فله قسط من المقت حتى يدعها ويتوب منها)(٢١٦) .

وهذا يبين خطورة الرياء، وأن المتلبس به على مقربة شديدة من المنافق الذي هو في الدرك الأسفل من النار .

والفرق بين النفاق والرياء يتمثل في أن الأصلَ في الرياء الإظهار، والأصلَ في النفاق : الإخفاء إذ المرائي يظهر نيته الحقيقية في طلب المنزلة عند الناس، أما المنافق فإنه يخفي على الناس ما بداخله ويظهر خلافه، وقد يلتقي الأمران : الرياء والنفاق في عمل المنافق، كما قال عز وجل في شأن المنافقين: ﴿يُرَاءُونَ النَّاسَ﴾، أي بإظهار مجرد الطاعة، وقد يختلفان كما في قيام المنافقين إلى الصلاة كسالى وعدم ذكرهم الله إلا قليلاً، فالمرائي يظهر النشاط ويكثر من الذكر لينال مكانه عند الناس بخلاف المنافق (٢١٧) .

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن النفاق ينقسم إلى نفاق أكبر وهو: أن يظهر الإنسان الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ويبطن ما يناقض ذلك كله أو بعضه وهذا هو النفاق الذي كان على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ونزل القرآن بذم أهله وتكفيرهم وأخبر أن

---

(٢١٦) (١١ / ٣٦٣ سير الأعلام)
(٢١٧) (١١ / ٤٥٥٢ نضرة النعيم)

أهله في الدرك الأسفل من النار، ونفاق أصغر وهو نفـاق العمل وهو أن يظهر الإنسان علانية صالحة ويبطن ما يخالف ذلك [٢١٨]، وإذا كان الرياء داخلاً في النفاق (المتعلق بالأعمال) فيكون بينهما عموم وخصوص، إذ يجتمعان في النفاق الأصغر، ويفترقان : إذ ينفرد النفاق بإظهار الإيمان وإبطان الكفر : وهو النفاق الأكبر، وينفرد الرياء بأنه قد يكون في غير العبادات لطلب جاه أو مال، وليس هذا النوع بحرام إلا إذا حملته كثرة الجاه على ما لا يجوز [٢١٩]، وهو الرياء المباح الذي أشرنا إليه سلفًا وسنفصل فيه فيما بعد .

(٢١٨) (٦١٠/ جامع العلوم والحكم)
(٢١٩) (٣/ ٢٩٩ الإحياء) (١ / ٤٥ الزواجر)

فصل في : أقسام العمل

* **الأعمال على خمسة أقسام :**

(الأول) ما كان خالصًا لله تعالى موافقًا لسنة نبيه صلى الله عليه وسلم :

سئل الفضيل بن عياض رحمه الله : ما أخلص العمل وأصوبه؟ قال: (إن العمل إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يقبل، وإذا كان صوابا ولم يكن خالصًا لم يقبل، حتى يكون خالصًا صوابًا، فالخالص أن يكون لله عز وجل، والصواب أن يكون على السنة (٢٢٠) .

وهذا العمل هو المقبول .

(الثاني) ما كان رياء محضًا :

والمراد بالرياء المحض، الرياء المذموم شرعًا - أي بعمل الدين - عن رافع بن خديج رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «**إنَّ أخْوفَ ما أخافُ عليكمُ الشّركُ الأصغرُ**» قالوا يا رسول الله: وما الشرك الأصغر؟ قال : «**الرِّياءُ، يقُالُ لمن يَفعلُ ذلكَ إذَا جَاء النَّاس بأعْمالهم اذْهبوا إلى الَّذينَ كُنتم تُراءونَ فاطْلبوا ذلكَ عندَهم**» (٢٢١) .

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله : (وهذا الرياء المحض لا يكاد يصدر عن مؤمن في فرض الصلاة والصيام، وقد يصدر في الصدقة الواجبة أو الحج

---

(٢٢٠) (٢/ ٤٣٣ إعلام الموقعين)

(٢٢١) سبق تخريجه .

أو غيرهما من الأعمال الظاهرة أو التي يتعدى نفعها، فإن الإخلاص فيها عزيز وهذا العمل لا يشك مسلم أنه حابط، وأن صاحبه يستحق المقت من الله والعقوبة) [٢٢٢]، وقال الشيخ ابن العثيمين رحمه الله : (أن يكون في أصل العبادة : أي ما قام يتعبد إلا للرياء : فهذا عمله باطل مردود عليه) [٢٢٣].

فهذا القسم من الأعمال كما بين الحافظ مردود على صاحبه وقد يكون سببًا في هلاكه واستحقاقه العقوبة في الدنيا قبل الآخرة، والأدلة عليه كثيرة :

قال الله عز وجل : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُ بِالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدا﴾ [٢٢٤].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «**قَالَ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**» [٢٢٥]، وقال أيضا : «**إنَّ الله تباركَ وتعالَى إذَا كَانَ يومُ القِيامةِ يَنزلُ إلى العبادِ ليقضيَ بينهم وكلُّ أمةٍ جاثيةٌ فأولُ مَن يدْعو به رجلٌ جمعَ القرآنَ ورجلٌ يقتتلُ في سبيلِ الله ورجلٌ كثيرُ المالِ فيقولُ الله للقارئِ ألم أعلمكَ ما أنزلتُ على رَسولي؟ قالَ بلى يا ربِّ قالَ فماذا عملتَ فيمَا علمتَ؟ قالَ كنتُ أقومُ به آناءَ اللَّيل وآناءَ النهار فيقولُ الله له كذبتَ وتقولُ له الملائكةُ كذبتَ ويقولُ الله بل أردت أن يقال: إنَّ فلانًا قارئٌ فقد قِيل ذلكَ ويؤتَى بصاحبِ المال فيقولُ الله له ألم أوسعْ عليكَ حتى لم أدعكَ تحتاجُ إلى أحدٍ؟ قالَ بلى يا رب قالَ فماذا عملتَ فيما**

---

(٢٢٢) (٢٧ : ٢٨ / جامع العلوم والحكم)

(٢٢٣) (٧٤ / القول المفيد)

(٢٢٤) (٢٦٤ / البقرة)

(٢٢٥) سبق تخريجه .

آتيتُك؟ قالَ: كنتُ أصلُ الرَّحِم وأتصدقُ فيقولُ الله له كذبتَ وتقولُ له الملائكةُ كذبتَ ويقولُ الله تعالى بل أردتَ أن يقال فلانٌ جوادٌ فقد قيلَ ذاكَ ويؤتَى بالَّذي قُتل في سبيلِ الله فيقولُ الله له في ماذا قتلتَ؟ فيقولُ أمرتُ بالجهادِ في سبيلكَ فقاتلتُ حتى قتلتُ فيقولُ اللهُ تعالى لهُ كذبتَ وتقولُ له الملائكةُ كذبتَ ويقولُ الله بل أردتَ أن يُقالَ فلانٌ جريءٌ فقد قِيلَ ذاك» ثم قال : «أولئكَ الثلاثةُ أولُ خلقِ الله تسعرُ بهمُ النَّار يومَ القيامةِ»(٢٢٦) .

والأدلة في هذا الباب وافرة سبق ذكرها تفصيلاً في باب : تحريم الرياء وذمه، وأغلبها صحيح وصريح في بطلان عمل المرائي، وخذلان صاحبه .

(الثالث) أن يكون العمل لله عز وجل، بيد أن صاحبه يطمع من ورائه في منفعة كأجرة أو غنيمة :

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله : (فإن خالط نية الجهاد مثلاً نية غير الرياء مثل أخذ أجرة للخدمة أو أخذ شيء من الغنيمة أو التجارة نقص بذلك أجر جهاده، ولم يبطل بالكلية)(٢٢٧) .

ومن هذا الباب قول النبي صلى الله عليه وسلم : «مَا مِنْ غَازِيَةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ الله فَيُصِيبُونَ الغَنِيمَةَ إِلاَّ تَعَجَّلُوا ثُلُثَيْ أَجْرِهِمْ مِنَ الآخِرَةِ وَيَبْقَى لَهُمُ الثُّلُثُ وَإِنْ لَمْ يُصِيبُوا غَنِيمَةً تَمَّ لَهُمْ أَجْرُهُمْ»(٢٢٨) .

---

(٢٢٦) سبق تخريجه .

(٢٢٧) (٢٩ / جامع العلوم والحكم)

(٢٢٨) صحيح : (١٩٠٦ / الإمارة / مسلم) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما .

(الرابع) أن يكون العمل خالصًا لله تعالى لكن صاحبه يصيب من ورائه منفعة عارضة فيأخذها :

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم : «**مَا مِنْ غَازِيَةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ الله فَيُصِيبُونَ الغَنِيمَةَ إِلاَّ تَعَجَّلُوا ثُلُثَيْ أَجْرِهِمْ مِنَ الآخِرَةِ وَيَبْقَى لَهُمُ الثُّلُثُ وَإِنْ لَمْ يُصِيبُوا غَنِيمَةً تَمَّ لَهُمْ أَجْرُهُمْ**» (٢٢٩) .

قال الإمام أحمد رحمه الله : (التاجر والمستأجر والمكاري أجرُهم على قدر ما يخلص من نيتهم في غزواتهم ولا يكون مثل من جاهد بنفسه وماله لا يخلط به غيره) وقال أيضا فيمن يأخذ جعلاً على الجهاد : (إذا لم يخرج لأجل الدراهم فلا بأس أن يأخذ، كأنه خرج لدينه فإن أعطي شيئًا أخذه)، وروي عن عبد الله ابن عمرو رضي الله عنهما قال : (إذا أجمع أحدكم على الغزو فعوضه الله رزقًا فلا بأس بذلك، وأما إن أعطي درهمًا غزا وإن منع درهمًا مكث، فلا خير في ذلك)، وكذا قال الأوزاعي رحمه الله : (إذا كانت نية الغازي على الغزو فلا أرى بأسًا، وهكذا يقال فيمن أخذ شيئًا في الحج، ليحج به إما عن نفسه أو غيره)، وقد روي عن مجاهد رحمه الله أنه قال في حج الجمال وحج الأجير وحج التاجر : (هو تام لا ينقص من أجورهم شيء)، قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: (وهذا محمول على أن قصدهم الأصلي كان هو الحج دون التكسب) (٢٣٠).

ويدخل تحت هذا القسم : الرجل يعمل العمل من الخير يحمده الناس عليه، قال النبي صلى الله عليه وسلم : «**تلك عاجل بشرى المؤمن**» (٢٣١) .

---

(٢٢٩) سبق تخريجه .
(٢٣٠) (٣٠/ جامع العلوم والحكم)
(٢٣١) صحيح : (٢٦٤٢/ البر والصلة والأدب/ مسلم) من حديث أبي ذر رضي الله عنه .

قال الإمام النووي رحمه الله : (معناه هذه المعجلة له بالخير، وهي دليل على رضاء الله تعالى عنه، ومحبته له، فيحببه إلى الخلق، ثم يوضع له القبول في الأرض، هذا كله إذا حمده الناس من غير تعرض منه لحمدهم، وإلا فالتعرض مذموم) [٢٣٢] .

(الخامس) ما كان لله عز وجل، ثم طرأ عليه الرياء إلا أن صاحبه دفعه ولم يسترسل معه :

من عرض له الرياء بعد أن شرع في أداء عمل لله عز وجل فدفعه، فحكمه حكم من وسوس له الشيطان فاستعاذ بالله تعالى فدفع عنه الشيطان، وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «**إِنَّ الله تَجَاوَزَ لأمتي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا مَا لَمْ يَتَكَلَّمُوا أَوْ يَعْمَلُوا بِهِ**» [٢٣٣]، والاستدلال بهذا الحديث في هذا الباب لا يسلم من مقال، كما قال الصنعاني رحمه الله : (الكفر والرياء لا يخفى أنهما من أعمال القلب، فهما مخصوصان من الحديث) [٢٣٤]، بيد أن المؤاخذة على الآثام القلبية رهين بالإصرار عليها، واسترسال النفس معها وارتياح القلب لها، فأما إن دفعت ولم تسلم النفس لها ولم يسكن القلب إليها، فلا شك أنه حديث للنفس غير مجزوم بعقد نية، كما أن الله تعالى متجاوز عنه ما لم يصاحبه إصرار أو عقد نية أو سكون وتسليم .

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله : (وأما إن كان أصل العمل لله ثم طرأت عليه نية الرياء، فإن كان خاطرًا ودفعه فلا يضره بغير خلاف) وكذا قال

---

(٢٣٢) (٨/ ٤٣٩ صحيح مسلم بشرح النووي) بتصرف

(٢٣٣) صحيح : (٥٢٦٩ / الطلاق / البخاري) (١٢٧ / الإيمان / مسلم) كلاهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢٣٤) (٣/ ١٧٦سبل السلام)

بمضمونه الشيخ ابن العثيمين رحمه الله [٢٣٥] .

(السادس) ما كان لله عز وجل وطرأ عليه الرياء، فخالطه في بعضه :

إذا بدأ العمل خالصًا لوجه الله تعالى ثم طرأ عليه الرياء، كما لو اعتاد شخص قراءة جزء معين من كتاب الله تعالى، وفي إحدى المرات التي كان يقرأ فيها، دخل عليه داخل فزاد على الجزء الذي اعتاد قراءته جزء آخر ليظهر صلاحًا، ونحو ذلك لو اعتاد أن يتصدق بدينار كل يوم، فلما لازمه صاحب له تصدق بدينارين ليظهر جودًا : فالعلماء في هذا الفرض على أربعة أقوال :

الأول : يصح العمل ويجازى المرء بنيته الأولى، قال بذلك الحسن والإمام أحمد رحمهما الله، وجملة من أهل العلم [٢٣٦] .

الثاني : يصح منه جزء العمل الذي لم يدخله الرياء، ويبطل الجزء الآخر الذي شابه الرياء، قال بذلك جملة من العلماء، واستندوا في ذلك لقول الله عز وجل ﴿وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [٢٣٧] .

والثالث : يبطل العمل إذا ابتدأ لله ثم طرأ عليه الرياء، فاستراحت له النفس وسكنت إليه، نص على ذلك أكثر أهل العلم [٢٣٨]، قال العلامة ابن القيم رحمه الله : (يجازى على نيته الأولى ما لم يفسخ العمل بإرادة جازمة لغير الله تعالى فيكون حكمه حكم قطع النية في أثناء العبادة وفسخها) [٢٣٩]، وقال الحافظ ابن رجب رحمه الله : (ومن يروى عنه هذا المعنى : أن العمل إذا خالطه

---

(٢٣٥) (٣٠ / جامع العلوم والحكم) (٧٤ / القول المفيد).
(٢٣٦) (٣٠ / جامع العلوم والحكم) .
(٢٣٧) (١٨ / فاطر) .
(٢٣٨) (٢٠ / محرمات استهان بها الناس) .
(٢٣٩) (٢ / ٤٣٣ إعلام الموقعين) .

شيء من الرياء كان باطلاً، طائفة من السلف منهم : عبادة بن الصامت وأبو الدرداء والحسن وسعيد بن المسيب وغيرهم، ولا نعرف عن السلف في هذا خلافًا، وإن كان فيه عن بعض المتأخرين)[٢٤٠] .

وأصحاب هذا القول استدلوا بحديث النبي صلى الله عليه وسلم : «**قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**»[٢٤١] .

والرابع : أصحابه فرقوا بين نوعين من العمل :

النوع الأول : إذا كان العمل متصل الأركان : فيبطل كله ما دخله الرياء وما لم يدخله، كما لو اعتاد المرء أن يصلي نافلة معينة بقصار السور، فلما دخل عليه جمع من الناس صلى بطوال السور ليظهر طول صلاة، ففي هذا الفرض لا يمكن الفصل بين صلاته التي اعتادها ولم يدخلها في حد ذاتها الرياء وإطالته للقراءة والتي شابها الرياء، فعند أصحاب هذا الرأي عمله لا يصح .

النوع الثاني : إذا كان العمل غير متصل الأركان : فيصح الجزء منه الذي لم يدخله الرياء، ويبطل الآخر الذي شابه الرياء، وكل جزء بحسبه وعلى قدر نية المرء فيه، ونحو ذلك لو اعتاد المرء أن يتصدق بدينار كل يوم، فلما كان أمام الناس تصدق بدينارين، فأما الدينار الذي اعتاد إخراجه بغير رياء فلا تثريب عليه، وأما الآخر والذي دفعه ليظهر كرمًا فلا اعتبار له .

ومن الذين فرقوا من المتقدمين العلامة ابن جرير رحمه الله فقال : (إن هذا الاختلاف إنما هو عمل يرتبط آخره بأوله كالصلاة والصيام والحج فأما ما

---

(٢٤٠) (٢٩ / جامع العلوم والحكم) بتصرف
(٢٤١) سبق تخريجه .

لا ارتباط فيه كالقراءة والذكر وإنفاق المال ونشر العلم فإنه ينقطع بنية الرياء الطارئة عليه ويحتاج إلى تجديد نية)[٢٤٢] .

ومن الذين فرقوا من المتأخرين الشيخ ابن العثيمين رحمه الله فقال : (الحالة الأولى : أن يكون آخر العبادة مبنيًا على أولها، بحيث لا يصح أولها مع فساد آخرها : فهذه كلها فاسدة، وذلك مثل الصلاة، فالصلاة مثلاً لا يمكن أن يفسد آخرها ولا يفسد أولها، وحينئذ تبطل الصلاة كلها إذا طرأ الرياء في أثنائها ولم يدافعه .

الحالة الثانية : أن يكون أول العبادة منفصلاً عن آخرها بحيث يصح أولها دون آخرها، فما سبق الرياء فهو صحيح وما كان بعده فهو باطل)[٢٤٣] .

(السابع) ما تم لله خالصًا، إلا أن صاحبه باهى به عقب تمامه قاصدًا الشهرة أو ما شابه :

وهذا لا يعد رياء بالمعنى الشرعي، وإن اندرج تحت أبواب أُخر، قد تلحق بالرياء كالسمعة، أو لا تلحق به كالعجب، فيُلم صاحب العمل بسيئات، قد تطيح بثواب العبادة، فيخرج من ذلك لا له ولا عليه، والله أعلم.

قال العلامة ابن الجوزي رحمه الله : (لأنه قد تم على نعت من الإخلاص، فلا ينعطف ما طرأ عليه بعده لا سيما إذا لم يتكلف هو إظهاره، والتحدث به فأما إذا تحدث بعد فراغه وأظهره، فهذا مخوف)[٢٤٤] .

---

(٢٤٢) (٣٠/ جامع العلوم والحكم) (٤٧٠ / تيسير العزيز الحميد)

(٢٤٣) (٧٤ : ٧٥ / القول المفيد) بتصرف .

(٢٤٤) (١ / ١٠٧ الآداب الشرعية)

(الثامن) أن يبدأ العمل لغير الله تعالى، ثم يعرض له تغيير النية لله عز وجل :

وهو عكس الأخير، فالراجح أنه لا يحتسب له ما مضى من عمله، ويحتسب له من حين تغيير نيته لله عز وجل، كمن أحرم لغير الله تعالى ثم غير نيته عند الوقوف بعرفة، اللهم إلا إذا كانت العبادة لا يصح آخرها إلا بصحة أولها وجبت الإعادة كالصلاة [٢٤٥] .

---

(٢٤٥) (٢ / ٤٣٣ إعلام الموقعين) .

فصل في: مظاهر الرياء

ولهذا الباب أهمية خاصة : ذلك أن الإنسان، إذ شعر بالمرض يهاجمه، استشار الطبيب أو ذوي الخبرة، الذين حتمًا يسألونه عن أعراض مرضه ومظاهره، فإذا أخبرهم، أخبروه عن الداء الذي أصابه، وأسبابه وطرق علاجه لزومًا، فإذا علم أسبابه وطرق علاجه، وخشي على نفسه الهلاك، قطع دابر هذه الأسباب، وتعاطى الدواء فبرئ بإذن الله من الداء :

ترجو النجاةَ ولم تَسلك مسالِكَها   إن السفينةَ لا تجري على اليَبِس

والمرائي إنسان معروف : وجهه وحركاته، مشيته وسكناته، كلها تخبر عنه وتنبئ الناس بصفاته .

وعن عثمان رضي الله عنه قال : (ما أسر أحد سريرة إلا أظهرها الله عز وجل على صفحات وجهه وفلتات لسانه)، وقال ابن عقيل رحمه الله : (للإيمان روائح ولوائح لا تخفى على اطلاع مكلف بالتلمح للمتفرس، وقل أن يضمر شيئًا إلا وظهر مع الزمان على فلتات لسانه وصفحات وجهه)[٢٤٦] .

ورغم ذلك في الغالب لا يعرف هو نفسه، ويظن أنه مخلص وهو في الرياء غارق :

لا تسأل المرء عن خلائقه   في وجهه شاهد من الخبر

وسبب ذلك كما قال سهل بن عبد الله رحمه الله (لا يعرف الرياء إلا مخلص ولا النفاق إلا مؤمن ولا الجهل إلا عالم ولا المعصية إلا مطيع)[٢٤٧] .

---

(٢٤٦) (١ / ١١٠ الآداب الشرعية)

(٢٤٧) (٩٦ / مختصر شعب الإيمان)

لذا نذكر بأهم أعراض هذا المرض، ونلحقها بأهم أسبابه، ونرجئ سرد طرق العلاج إلى نهاية البحث، كي تحصل الفائدة المرجوة من الكتابة في الموضوع، وقد التزمنا في جمع هذه الأعراض والأسباب وطرق العلاج بما وجدناه مشارًا إليه في كتب السلف وكتب علمائنا، وعلقنا عليه بما نرجو أن تحصل به الفائدة، وبالله نستعين .

أولاً: التكاسل في أداء العبادات ونقص الهمة في الطاعات :

أول مظاهر الرياء : التكاسل في أداء العبادات ونقص الهمة في الطاعات، فالمصابون بمرض الرياء إذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى ولا يذكرون الله إلا قليلاً، وهذا هو شأن المنافقين، قال الله تعالى : ﴿إِنَّ المنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ الله وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ الله إِلَّا قَلِيلاً﴾[٢٤٨]، وقال أيضًا في صفة صلاة المنافقين وإنفاقهم : ﴿وَلا يَأْتُونَ الصَّلاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ﴾[٢٤٩] .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفة صلاة المنافق : «**يَجْلِسُ يَرْقُبُ الشَّمْسَ حَتَّى إِذَا كَانَتْ بَيْنَ قَرْنَيِ الشَّيْطَانِ قَامَ فَنَقَرَهَا أَرْبَعا لاَ يَذْكُرُ الله فِيهَا إِلاَّ قَلِيلاً**»[٢٥٠] .

قال القرطبي رحمه الله : وصفهم بقلة الذكر لأنهم لا يذكرون الله بقراءة ولا تسبيح، وإنما يذكرونه بالتكبير، وقيل لأن الله تعالى لا يقبله، وقيل لعدم الإخلاص فيه[٢٥١] .

---

(٢٤٨) (١٤٢ / النساء).

(٢٤٩) (٥٤ / التوبة).

(٢٥٠) صحيح : (٦٢٢ / المساجد / مسلم) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٢٥١) (٥ / ٣٦٨ الجامع لأحكام القرآن).

وأكثر العبادات التي يقوم بها من أصابه الرياء : عبادات ظاهرة يراها الناس لأن مبتغاه دائمًا رؤية الناس ونيل ثنائهم وحمدهم، أما ما سواها من عبادات خفية لا تظهر للناس بالضرورة كقيام الليل، فإن المرائي نادرًا ما يقوم بها، وإذا قام بها فإنها لا تسلم من التسميع بها .

عن علي رضي الله عنه قال : (للمرائي ثلاث علامات، يكسل إذا كان وحده، وينشط إذا كان في الناس، ويزيد في العمل إذا أثني عليه، وينقص إذا ذم) (٢٥٢) .

ثانيًا : الكذب :

الكذب أول دافع للرياء، وقرينه وصاحبه الودود، لذا كان أهم مظاهره بل هو قرين كل معصية .

عن ابن مسعود رضى الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «**إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِى إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِى إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صِدِّيقا، وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِى إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِى إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ، حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ الله كَذَّابا**»(٢٥٣) .

قال العلامة ابن القيم رحمه الله : ولهذا كان أصل أعمال القلوب كلها : الصدق، وأضدادها : الرياء والعجب والكبر، والفخر والخيلاء، والبطر والأشر، والعجز والكسل، والجبن والمهانة وغيرها أصلها الكذب، فكل عمل صالح ظاهر أو باطن فمنشؤه : الصدق، وكل عمل فاسد ظاهر أو باطن

---

(٢٥٢) (٣/ ٢٩٦ الإحياء) .

(٢٥٣) صحيح : (٦٠٩٤ / الأدب / البخاري) (٢٦٠٧ / البر والصلة والأدب / مسلم) كلاهما من حديث ابن مسعود رضي الله عنه .

فمنشؤه : الكذب [٢٥٤] .

لهذا قال العلماء : (رأس كل خطيئة : الكذب)، وقالوا أيضا : (الكذب جماع كل شر، وأصل كل ذم) وقالوا : (الكذب أساس الفجور) .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : (الكذب) هو الإخبار بالشيء على خلاف ما هو عليه سواء كان عمدا أم خطأ [٢٥٥]، وقال الجاحظ : هو الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو به [٢٥٦]، وقال الجُرجاني : إخبار لا على ما عليه المخبر عنه، وكذب الخبر عدم مطابقته للواقع [٢٥٧] .

والكذب كما يكون في الأقوال يكون في الأفعال، قال الله عز وجل ﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَالله المُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾[٢٥٨] .

قال العلامة ابن القيم رحمه الله : إن أول ما يسري الكذب من النفس إلى اللسان فيفسده، ثم يسري إلى الجوارح فيفسد عليها أعمالها، يعم الكذب أقواله وأعماله وأحواله، فيستحكم الفساد ويترامى داؤه إلى الهلكة [٢٥٩] .

فأما بالنسبة للأول (الكذب بالقول) : إذا كان في عمل الدين وقصد منه نيل ثناء الناس أو الفرار من ذمهم، فهذه هي السمعة، وفي البخاري : أرسل عُمَر رضي الله عنه رَجُلاً إِلَى الكُوفَةِ، يسأَل عَن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه

---

(٢٥٤) (١٦٨ : ١٦٩ / الفوائد).
(٢٥٥) (٦ / ٢٤٢ فتح الباري).
(٢٥٦) (٣٢/ تهذيب الأخلاق).
(٢٥٧) (١٨٣ / التعريفات) بتصرف .
(٢٥٨) (١٨ / يوسف).
(٢٥٩)(١٦٨ / الفوائد).

أَهْلَ الكُوفَةِ بعدما شكوه إلى أمير المؤمنين، فلَمْ يَدَعْ مَسْجِدا إلاَّ سَأَلَ عَنْهُ، ويثني عليه، حَتَّى دَخَلَ مَسْجِدا، فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ أُسَامَةُ بْنُ قَتَادَةَ فقَالَ أَمَّا إِذْ نَشَدْتَنَا فَإِنَّ سَعْدا كَانَ لاَ يَسِيرُ بِالسَّرِيَّةِ، وَلاَ يَقْسِمُ بِالسَّوِيَّةِ، وَلاَ يَعْدِلُ فِي القَضِيَّةِ، قَالَ سَعْدٌ: (أَمَا وَالله لأَدْعُوَنَّ بِثَلاَثٍ: اللهمَّ إِنْ كَانَ عَبْدُكَ هَذَا كَاذِباً، قَامَ رِيَاءً وَسُمْعَةً فَأَطِلْ عُمْرَهُ، وَأَطِلْ فَقْرَهُ، وَعَرِّضْهُ بِالفِتَنِ) وَكَانَ بَعْدُ إِذَا سُئِلَ يَقُولُ: شَيْخٌ كَبِيرٌ مَفْتُونٌ، أَصَابَتْنِي دَعْوَةُ سَعْدٍ، فما رئي بعدُ إلا وقَدْ سَقَطَ حَاجِبَاهُ عَلَى عَيْنَيْهِ مِنَ الكِبَرِ، وَيَتَعَرَّضُ لِلْجَوَارِي فِي الطُّرُقِ يَغْمِزُهُنَّ [٢٦٠] .

وأما بالنسبة للثاني (الكذب في الأفعال) : فإذا كان بعمل الدين وقصد منه نيل ثناء الناس أو الفرار من ذمهم، فهذا هو الرياء .

وفي الحالين إذا قصد من الكذب : جلب مصلحة في عمل الدنيا، كالبيع والشراء، أو درء مفسدة كالفرار من الحد أو التعزير، فهذا لا يدخل في معنى الرياء، وإن كان مذمومًا تحت أبواب أُخر كالكذب والغش وشهادة الزور، أو لم يكن كذلك في أبواب أُخر كالخديعة في الحرب وإصلاح ذات البين .

وما شيءٌ إذا فكـــرتَ فيـــهِ بأذهبَ للمروءةِ والجمـــال
من الكذب الذي لا خيرَ فيهِ وأبعدَ بالبهاء من الرجـــال

وقد لخص الماوردي رحمه الله دواعي الكذب قائلاً :

اجتلابُ النفع واستدفاعُ الضر، فيرى أن الكذب أَسلم وأغنم فيرخص لنفسه فيه اغترارًا بالخدع، واستشفافًا للطمع، وربما كان الكذب أبعد لما يُؤمل، وأقرب لما يخاف، لأن القبيح لا يكون حسنًا والشر لا يصير خيرا، قال بعض الحكماء : الصدقُ منجيك وإن خفته، والكذبُ مُرديك وإن أمنته .

---

(٢٦٠) سبق تخريجه .

أن يؤثر أن يكون حديثه مستعذبًا وكلامه مستظرفًا، فلا يجد صدقًا يعذُب ولا حديثًا يستظرف، فيستحلي الكذب، وهذا النوع أسوأ حالا مما قبلُ، لأنه يصدر عن مهانة النفس ودناءة الهمة، قال الجاحظ : لم يكذب أحدٌ قط إلا لصغر قدر نفسه عندهُ (٢٦١) .

أن يقصد بالكذب التشفي من عدوه، فيسميه بقبائح يخترعها عليه، ويصفه بفضائح ينسبها إليه، ولذلك ورد الشرع برد شهادة العدو على عدوه .

أن تكون دواعي الكذب قد ترادفت عليه حتى ألفها، فصار الكذب له عادة، ونفسه إليه منقادة، وقد قال الحكماء : من استحلى رضاع الكذب عَسِرَ

---

(٢٦١) قلت : وهذا حال الذي أخذ (النكت) مطية ليجمع الناس حوله ، ليس عنده من الصدق مخبوء ، وكل ما يملكه هذه الألفاظ الرثة والمعاني الغثة التي لا طائل من ورائها ، لذا لا يتورع عن أن يسوق الكلام الذي تنبو عن قبوله الطباع وتتجافى عن استماعه الأسماع ، إذا اقتضى الحال ذلك ، فالناس على قدر هممهم مختلفون فيما يضحكهم ويبكيهم .

وهذا نشأ من قصر همته على ما يستهجن ذكره ، وعدم وجود قضية تشغله عن الخلق ، لذا تراه إذا عدل إلى الحق لم يقبل قوله ، وإذا غير من الهزل إلى الجد نفر الناس من حوله :

حَسبُ الكذوب من البَلية ... بعضُ ما يُحكى عَليهِ

فإذا سمِعت بكِذبةٍ ... من غَيرهِ نُسِبتْ إليهِ

ولو علم صاحب (النكت) أنه جمع بين : الكذب والغيبة والبهتان وقول الزور ودناءة الهمة وبذاءة اللسان فضلا عن الجهل والسخف والخُرق وخبث الطوية ، لعلم أن الصمت له فضيلة .

ولو تأمل قول الله عز وجل: ﴿وَوُضِعَ الكِتَابُ فَتَرَى المجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرا وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً﴾ (٤٩ / الكهف) لأحصى كل كلمة خرجت من فيه ، ولأقسم ألا يعود .

فِطامُهُ[٢٦٢].

واختر صديقًا واصطفيه تفاخـرًا إن القرين إلى المقارن يُنسبُ
ودع الكذوب ولا يكن لك صاحبًا إن الكذوب لبئس خلاًّ يُصحبُ[٢٦٣]

ثالثا : امتطاء الأماني ومعاقرة التسويف :

فالمرائي يركب أضاليل الهوى وأباطيل المنى ويرعى مراتع الظنون، يوهم وفاقًا ويضمر نفاقًا، ينشر صدق طاعة وولاء، مُظهرًا المعاضدة مُبطنًا المعاندة، دائم القول نادر الفعل، لأنه يحب ثناء الناس، أما الإخلاص فهو ثقيل على قلبه، لذا دائما ما يقول سأفعل، سأعمل، سأفعل حتى يأتيه الموت بغتة ولم يفعل ولم يعمل :

تُروعُنـــا الجنائـــزُ مُقبلات فَنلهو حين تَذهَبُ مُدبراتِ
كروعةِ ثُلـةٍ[٢٦٤] لُمغارِ سَبعٍ فلما غابَ عادت راتِعـاتِ

رابعًا : المن في الصدقات :

المن : تذكير المُنعِم المنعَمَ عليه بإنعامه[٢٦٥]، ومننت عليه منًّا : عددت له ما فعلت له من الصنائع[٢٦٦]، وهو قد يكون بالفعل أو القول، والأول لا يكون إلا لله تعالى ومنه قوله عز وجل ﴿بَلِ الله يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ

---

(٢٦٢) (٣٢٢/ أدب الدنيا والدين) بتصرف.
(٢٦٣) لصالح بن عبد القدوس.
(٢٦٤) الروع : الحرب.
والثلة : جماعة من الناس.
(٢٦٥) (٢٩ / ٢٩٨ التحرير والتنوير).
(٢٦٦) (٥٨١ / المصباح المنير).

إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٢٦٧)، وقوله: ﴿كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ الله عَلَيْكُمْ﴾ (٢٦٨)، ومنة الله عليهم بالفعل هدايتهم، لذلك كان المنان اسمًا من أسماء الله تعالى، قال عز وجل: ﴿لَقَدْ مَنَّ الله عَلَى المؤْمِنِينَ﴾ (٢٦٩)، وقال أيضًا: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ الله يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ (٢٧٠).

والثاني يكون بين الناس ومنه قوله عز وجل ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾ (٢٧١)، والمنُّ بالقول مستقبح لأن فيه تكسيرًا للقلوب وتكديرًا للتمتع بالعطية، فلهذا نهينا عنه بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالمَنِّ وَالأَذَى﴾ (٢٧٢)، وقوله عز وجل ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ الله ثُمَّ لا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلا أَذىً لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٢٧٣)، والمنُّ من الكبائر لما ثبت في صحيح مسلم وغيره أن المان أحد الثلاثة الذين لا ينظر الله إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم (٢٧٤)، اللهم في كل ما سبق إلا عند كفران النعمة وفي أضيق الحدود، قالت العرب : إذا كفرت النعمة حسنت المنة .

والمنُّ من صفات النساء، قالت العرب : لا تتزوجن حنانة ولا منانة،

---

(٢٦٧)(١٧ / الحجرات).

(٢٦٨)(٩٤ / النساء).

(٢٦٩)(١٦٤ / آل عمران).

(٢٧٠)(١١ / إبراهيم) .

(٢٧١)(١٧ / الحجرات).

(٢٧٢)(٢٦٤ / البقرة).

(٢٧٣)(٢٦٢ / البقرة).

(٢٧٤) صحيح : (١٠٦ / الإيمان / مسلم) من حديث أبي ذر رضي الله عنه .

والمنانة التي تتزوج لمالها، فهي دائمًا تمن بمالها[٢٧٥]، وهو من صفات البخلاء والمعجبين بأعمالهم، قال القرطبي رحمه الله: فالبخيل تعظم في نفسه العطية وإن كانت حقيرة في نفسها، والمعجب يحمله العجب على النظر لنفسه بعين العظمة وأنه منعم بماله على المعطى.

وهو أيضًا من صفات المرائين، قال الله عزَّ وجلَّ ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا** ﴾[٢٧٦]، فالمرائي يدفع أمواله رغبة في الشهرة وحب الثناء من الناس.

خامسًا: العجب:

العجب علامة على إصابة المرء بمرض الرياء، فالمرائي معجب بعمله الذي شابه الرياء وغيره، بل إن العجب في كثير من الأحياء يكون دافعًا على الرياء، ذلك أن المعجب يريد أن يظهر صنعه الذي بدا جميلاً في عينيه للناس، وذلك من دواعي إعجابه به، وذاك هو الرياء.

وقد كان السلف رحمهم الله يخافون العجب ويحذرونه دومًا، ويعلمونه إذا تسلل إلى نفوسهم، فعن مطرف بن عبد الله بن الشخير رحمه الله قال: «لأن أبيت نائمًا وأصبح نادمًا أحب إليَّ من أن أبيت قائمًا فأصبح معجبًا»[٢٧٧]،

---

(٢٧٥) (٨/ ٣٧٧ لسان العرب).

وفي الباب حديث لا أصل له فيما علمت:

(إياكم والامتنان بالمعروف فإنه يبطل الشكر ويمحق الأجر)، ذكره الإمام القرطبي رحمه الله في تفسيره (٣/ ٢٧١)، والذهبي في الكبائر (١٥٢) وكلاهما دون سند، ولم أجده في غيرهما ولا أعلم له سندًا.

(٢٧٦) (٢٦٤/ البقرة).

(٢٧٧) (١٥١ / الزهد لابن المبارك) (٢٤١/ الزهد لابن أبي عاصم).

قديما : (ضاحك معترف بذنبه، خير من باك مدل على ربه)، وكان بعضهم يقول : (منْ منّ بمعروفه سقط شكره، ومن أعجب بعمله حبط أجره) .

وللعجب أسباب : فمن أقوى أسبابه كثرة مديح المتقربين وإطراء المتملقين، روي: رجل مدح رَجُلاً عَنْدَ النبي صلى الله عليه وسلم فَقَالَ : «وَيْحَكَ قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ» وما زال يكرر حتى قال : «إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ مَادِحا صَاحِبِهِ لاَ مَحَالَةَ فَلْيَقُلْ أَحْسِبُ فُلاَنا وَالله حَسِيبُهُ وَلاَ أُزَكِّي عَلَى الله أَحَدا أَحْسِبُهُ إِنْ كَانَ يَعْلَمُ ذَاكَ كَذَا وَكَذَا» [٢٧٨]، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : (المدح الذبح) [٢٧٩]، وليس المدح علامة حب الإخوان، وإنما علامة الحب ألا يذكر المؤمن أخاه بسوء وأن يلتمس له الأعذار بعد الأعذار، وأن يرى العيب فيه فيصلحه، فعن جَرِير بن عبد الله رضي الله عنه قال (بَايَعْتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم فَاشْتَرَطَ عَلَيَّ وَالنُّصْح لِكُلِّ مُسْلِمٍ)[٢٨٠]، وعن عمر رضي الله عنه قال: (رحم الله امرءًا أهدى إلينا مساوئنا) [٢٨١] .

فهكذا لما قل ثناء أن يكون كله صدقًا وقل إطراء كان جُله حقًّا، كره أهل الفضل أن يقبلوه، بل وأن يطلقوا لألسنهم العنان فيه تحرزًا من التجاوز وتنزيهًا عن التملق والنفاق، وخشية أن يؤول كثرته بصاحبه إلى مدح نفسه :

---

(٢٧٨) صحيح : (٦٠٦١ / الأدب / البخاري) (٣٠٠٠ / الزهد والرقائق / مسلم) كلاهما من حديث أبي بكرة رضي الله عنه .

(٢٧٩) (٢٩٢ : ٢٩٣ / أدب الدنيا والدين).

(٢٨٠) صحيح : (٢٧١٤ / الشروط / البخاري) (٥٦ / الإيمان / مسلم) كلاهما من حديث جرير رضي الله عنه .

(٢٨١) (٢٩٥ / أدب الدنيا والدين).

وما شرف أن يمدح المرء نفسه ولكن أعمالا تذم وتمدح
وما كل حين يصدق المرء ظنه ولا كل أصحاب التجارة يربح
ولا كل من ترجو لغيبك حافظًا ولا كل من ضم الوديعة يصلح

ولما كان حب الثناء طبيعة الإنسان، كان وازع العجب، ومن قبله الرياء، وهو أقوى داعيًا لهما :

يهوى الثناء مبرز ومقصر حب الثناء طبيعة الإنسان

ومن الطرائف التي يذكرونها في باب : العجب والرياء : قصة فخ الإسرائيلي والعصفورة : ساقها ابن عبد ربه رحمه الله بسنده إلى وهب بن منبه رحمه الله قال : نصب رجل من بني إسرائيل فخًّا، فجاءت عصفورة، فوقعت عليه فقالت : ما لي أراك منحنيًا ؟ قال : لكثرة صلاتي انحنيت، قالت : فما لي أراك باديةً عظامُك ؟ قال : لكثرة صيامي بدت عظامي، قالت : فما لي أرى هذا الصوف عليك ؟ قال : لزهادتي في الدنيا لبست الصوف، قالت : فما هذه العصا عنك ؟ قال : أتوكأ عليها وأقضي بها حوائجي، فما هذه الحبة في يدك ؟ قال : قربان إن مر بي مسكين ناولته إياه، قالت : فإني مسكينة ! قال : فخذيها، فقبضت على الحبة فإذا الفخ في عنقها، فجعلت تقول : قعِي قعِي ! قال الخُشني رحمه الله : أي لا غرني ناسك مراءٍ بعدك أبدًا[٢٨٢] .

سادسًا : الحزن على نقص في الدنيا، وعدم المبالاة في نقص عمل الآخرة :

من أهم مظاهر الرياء أن المرائي لا يستشعر نقص العبادة عنده ولا يحزن على فواتها، بيد أنه شديد الحزن إذا أصابه نقص مال أو ولد أو سلطان، ذلك

---

(٢٨٢) (٣/ ١٧١ العقد الفريد).

أنه لا يعمل إلا لرؤية الناس بغية حمدهم وثنائهم :

ما لي أرى الناس والدنيا مولية ... وكل جمع عليها سوف ينتشر
لا يشعرون إذا ما دينهم نقصوا ... يومًا وإن نقصت دنياهم شعروا

ورحم الله أبـا العتاهية حين قال :

رضيت بذي الدنيا ككل مكاثرٍ ... ملح على الدنيا وكل مفاخر
ألم ترها تسقيه حتى إذا صبا ... فرتْ حلقه منها بشفرةِ جازِر
ولا تعدلُ الدنيا جناح بعوضةٍ ... لدى الله أو معشار نغْبة طائر
فلم يرض بالدنيا ثوابًا لمؤمنٍ ... ولم يرض بالدنيا عقابًا لكافرِ

فصل في : أسباب الرياء

أولاً : الكــذب :

قدمنا أن الكذب أهم مظاهر الرياء، ولعلنا أشرنا إلى أنه أول دافع له، ووجه ذلك أن الكذاب يعمد إلى الكذب إما لجلب مصلحة أو دفع شبهة أو ضرر، وهو يريد أن يتحصل على ذلك دومًا ولو بالكذب، وقد يئول به الأمر – وحتمًا – إلى أن يسوق الأيمان ثم الأيمان ثم الأيمان المغلظة لنيل منفعة أو درء مفسدة، ثم يئول به الأمر إلى أن يتاجر بالدين ويتصنع بالعبادة، كالمنافقين، لينال احترام الناس وتقديرهم وثناءهم والمنزلة في قلوبهم – وهي أعلى المصالح – وهذا هو الرياء بعينه، وهذا النوع من المرائين هو أشرهم، فقد أشرب قلبه بالكذب حتى مثله بجسده .

وكقاعدة فإن كل مراءٍ كذاب، وليس العكس بصحيح، والأول شرٌّ من الثاني، فقد يصلي مع الناس على غير طهارة، وقد يرتكب الكبيرة ومن قبلها الصغيرة وهو مُحرم، وهذا سُوء عاقبته أليمة إن لم يبادر بالتوبة إلى الله عز وجل.

ثانيًا : الأمن من عذاب الله :

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (والنوع الواحد من العمل قد يفعله الإنسان على وجه يكمل فيه إخلاصه وعبوديته لله، فيغفر الله به كبائر الذنوب كما في حديث البطاقة، فهذه حال من قالها بإخلاص وصدق، كما قالها هذا الشخص، وإلا فأهل الكبائر الذين دخلوا النار كلهم يقولون التوحيد، ولم يترجح قولهم على سيئاتهم كما ترجح قول صاحب البطاقة، ثم ذكر رحمه الله حديث المرأة البغي التي سقت كلبا فغفر الله لها، والرجل الذي أماط الأذى

عن الطريق فغفر الله له، ثم قال: (هذه سقت الكلب بإيمان خالص كان في قلبها فغفر لها، وإلا فليس كل بغي سقت كلبا يغفر لها، فالأعمال تتفاضل بتفاضل ما في القلوب من الإيمان والإجلال) .

وهكذا فالمرائي دومًا يضع حديث بغي بني إسرائيل نصب عينيه، متجاهلاً حديث المرأة التي حبست القطة لا هي أطلقتها ولا هي أطعمتها، تراه ترك الجماعة ولا يحافظ على الصلاة، يتمتع ويأكل ويشرب وقد نصب العداء لأولياء الله، وفاتته السنن ثم السنن ثم هو يقول : من قال لا إله إلا الله دخل الجنة .

نعم : من قال لا إله إلا الله خالصًا من قلبه دخل الجنة، لكن من أشرك مع الله عز وجل في عبادته غيره، تركه الله تعالى وما أشرك، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**قَالَ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ معي غيري تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**» (٢٨٣) .

وقال الله عز وجل: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (٢٨٤)، قال الماوردي رحمه الله : المعنى (لا يرائي بعمله أحدًا)، وقال عبد الواحد لقيت الحسن فقلت : يا أبا سعيد، أخبرني عن الرياء أشرك هو؟ قال : نعم أما تقرأ ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ﴾ وتلا الآية (٢٨٥) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «**إنَّ اللهَ تباركَ وتعالى إذَا كانَ يومُ القيامةِ ينزلُ إلى العبادِ ليقضيَ بينهمْ وكلُّ أمة جاثيةٌ فأولُ مَن يدعو به رجلٌ جمعَ القرآنَ ورجلٌ يقتتلُ في سبيلِ الله ورجلٌ**

(٢٨٣) سبق تخريجه .

(٢٨٤) (١١٠ / الكهف)

(٢٨٥) (١١ / ٦٠ الجامع لأحكام القرآن)

كثيرُ المالِ فيقولُ الله للقارئ ألم أعلمكَ ما أنزلتُ على رسولي قالَ بلى يا ربِّ قالَ فماذا عملتَ فيما علمتَ؟ قَال كنتُ أقومُ به آناءَ الليلِ وآناءَ النَّهار فيقولُ الله له كذبتَ وتقولُ له الملائكةُ كذبتَ ويقولُ الله بلْ أردتَ أن يقالَ إنَّ فلانًا قارئٌ فقد قيلَ ذلك ويؤتَى بصاحبِ المالِ فيقولُ الله له ألم أوسعْ عليكَ حتى لم أدعْكَ تحتاجُ إلى أحدٍ قالَ بلى يا ربِّ قالَ فماذا عملتَ فيما آتيتك؟ قالَ كنتُ أصلُ الرَّحم وأتصدقُ فيقولُ الله لهُ كذبتَ وتقول له الملائكةُ كذبتَ ويقولُ الله تعالى بل أردتَ أن يقالَ فلانٌ جوادٌ فقدْ قيلَ ذاكَ ويؤتى بالَّذي قتلَ في سبيلِ الله فيقولُ الله له في مَاذا قتلتَ؟ فيقولُ أمرتُ بالجهادِ في سبيلكَ فقاتلتُ حتى قتلتُ فيقولُ الله تعالى له كذبتَ وتقولُ له الملائكةُ كذبت ويقولُ الله بلْ أردتَ أن يقالُ فلانٌ جريءٌ فقدْ قيلَ ذاكَ» ثم قال: «أولئِكَ الثَّلاثةُ أولُ خلقِ الله تُسعرُ بهمُ النَّار يومَ القيامةِ» (٢٨٦) .

فهذا الحال بمن نراه في الدنيا – والله أعلم بسريرته – جمع القرآن وقاتل في سبيل الله وتصدق ووصل الرحم، أول من تسعر بهم النار، فكيف الحال بك يا من أمنت مكر الله، قال الله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ الله فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ الله إِلَّا الْقَوْمُ الخَاسِرُونَ﴾ (٢٨٧) .

قال بلال بن سعد رحمه الله : (رب مسرور مغبون، يأكل ويشرب ويضحك وقد حق له في كتاب الله عز وجل أنه من وقود النار) (٢٨٨) .

ثالثًا : حب الذات :

قدمنا أن العجب في كثير من الأحيان يكون دافعًا على الرياء، وبينا في

---

(٢٨٦) سبق تخريجه .
(٢٨٧) (٩٩ / الأعراف)
(٢٨٨) (٤ / ١٥٠ صفة الصفوة)

مظاهر الرياء أن المرائي شديد الإعجاب بنفسه لذا فهو محب لها لا يعمل إلا لمنفعتها، حتى إنه إذا قضى حاجة من حوائج الناس فإنها لا تسلم من نية في نفسه دفينة يلتمس بها منزلة أو عرضًا من الدنيا .

يقول علماء النفس في هذا الباب : يتشابه المرائي مع النرجسي الذي يراه علماء النفس الحديث عابدًا لذاته لا يعمل إلا لمنفعته الشخصية أو لإشباع غروره وتعجبه بنفسه أو مداراة أمراضه الدفينة من نقص وعجز باستظهار العظمة والاستعلاء والغطرسة وطلب مدح الناس له (٢٨٩) .

رابعًا : الطمع فيما بأيدي الناس من مال أو جاه وغيره .

خامسًا : حب لذة الحمد والثناء من الناس، والفرار من ذمهم :

فالمرائي أكثر العاصين بعدًا عن حقيقة أن الناس لا يملكون لبعضهم نفعًا ولا ضرًّا، ومن ثم فليس هناك دافع للعمل لأجلهم، ولو علم هذه الحقيقة ووعاها جيدًا، وعلم أنه يموت وحده، ويلج القبر وحده، ويبعث وحده، ويحاسب وحده، لما فرح لحمد الناس عمله في الدين، ولأخلص النية لله وما انتظر المكافأة من أحد .

قال العلامة ابن الجوزي رحمه الله : (وقد يدخل إبليس على هؤلاء - أي العلماء والزُّهاد والعُباد - بشبهة ظريفة فيقول : طلبكم للرفعة ليس بتكبر لأنكم نواب الشرع، فإنكم تطلبون إعزاز الدين ودحض أهل البدع، وإطلاقهم اللسان، وما تظنونه رياء فليس برياء لأن من تخاشع منكم تباكى، اقتدى به الناس، كما يقتدون بالطبيب إذا احتمى، أكثر من اقتدائهم بقوله إذا وصف) (٢٩٠) .

---

(٢٨٩)(١٠٨ / نحو علم نفس إسلامي)
(٢٩٠)(١٤٦ / تلبيس إبليس)

سادسًا : الكبر والغرور :

قدمنا أن العجب من أعراض الرياء، وفي كثير من الأحيان يكون دافعًا عليه، وأما الكبر والغرور فهما دومًا قرينا العجب، وسبب من أسبابه، لذا فالمرائي متكبر مغرور، كأن يوسف عليه السلام لا ينظر إلا بمقلته، ولقمان عليه السلام لم ينطق إلا بحكمته، وقد احترت في سبب هـذا كثيرًا، ولم أجد إلا إجابة واحدة، ألا وهي أن المرائي لا يشعر بحجم البلية التي أصيب بها حيث يعتقد أنه على الحق دوما، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الكِبْرُ بَطَرُ الحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ)[٢٩١] .

ومن شدة غرور المرائي أنه أحيانا يرائي بمعصيته بل وارتكابه الكبائر، قال الله عز وجل في صناديد قريش يوم بدر: ﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾[٢٩٢] .

أي لا تكونوا كأولئك الذين خرجوا من ديارهم مغرورين بما لهم من قوة ونعمة ومفاخرين متظاهرين بهما أمام الناس يريدون الثناء عليهم بالشجاعة والغلبة، وهم بذلك يصدون عن سبيل الله[٢٩٣]

يا مظهرَ الكبر إعجَابا بصورته ... أنظـرْ خـلاك فإن النتنَ تثريـبُ
لو فكَّر الناس فيها في بُطونهم ... ما استشعر الكبرَ شبانٌ ولا شيبُ

وللكبر أسباب : من أقواها كما ذكر الماوردي رحمه الله : قلة مخالطة الأكفاء وعلو اليد، ونفوذ الأمر، قال بعض البلغاء : (الناس في الولاية رجلان، رجلٌ يُجِل العمل بفضله ومروءته، ورجُلٌ يجل بالعمل لنقصه

(٢٩١) صحيح : (٩١ / الإيمان / مسلم) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .
(٢٩٢) (٤٧ / الأنفال).
(٢٩٣) (٢٥٠ / المنتخب).

ودناءته، فمن جل عن عمله ازداد به تواضعا وبشرا، ومن جَل عنه عمله ازداد به تجبرا وتكبرا)، وكذا فإن للكبر مذامًّا أهمها : أنه يكسب المقت، ويلهي عن التآلف، ويوغر صدور الإخوان، ومنه الحكمة : (من دام تواضعه، كثُر صديقه) [٢٩٤]، ومن مذامه أيضا أنه يمنع الآداب، ويحجب العلم .

سابعا : كثرة مخالطة الناس :

فمخالطة الناس باعثٌ على الرياء، قال إبراهيم بن الأشعث رحمه الله : سمعت الفضيل يقول في مرضه : (من استوحش من الوَحدة واستأنس بالناس لم يسلم من الرياء) [٢٩٥]، وقالوا قديما : (من عاشر الناس داراهم، ومن داراهم راءاهم) لأنه يريهم أنه متصف بالخير والصلاح على خلاف ما هو عليه.

قال أيوب السختياني رحمه الله : (ما أحب الله عبدا إلا أحب أن لا يُشعَر به)، وقال ابن مُحيريز رحمه الله : (إن استطعتَ أن تَعرف ولا تُعرف، وتَسأل ولا تُسأل، وتمشي ولا يُمشى إليك، فافعل) [٢٩٦] .

قد بلوت الناس طُـرًّا لم أجد في الناس حُرًّا
صار أحلى الناس فـي العين إذا ما ذيق مُـرًّا

وليس المقصود ترك الخلطة مع الناس، ولكن المقصود الحذر أن تكون هذه الخلطة عذرا أو سببا للمراءاة، فإذا خاف المرء منها والرياء، وعلم من نفسه أنها تزيد هذا المرض الخبيث عنده كان من أهم طرق العلاج: (العزلة) .

---

(٢٩٤) (٢٨٩ ، ٢٩١ ، ٢٩٥ / أدب الدنيا والدين).
(٢٩٥) (٨/ ٤٣٦ سير الأعلام) .
(٢٩٦) (٣/ ١٦٦ العقد الفريد) .

فصل في : أقسام الرياء

ذكر الغزالي أن الرياء بحسب ما يراءى به خمسة أقسام : الرياء بالبدن وبالهيئة والزي وبالقول وبالعمل وبالأصحاب والمعارف، قال الغزالي رحمه الله: (فهذه الخمسة هي مجامع ما يرائي به المراءون، وكلهم يطلبون بذلك الجاه والمنزلة في قلوب العباد) .

والرياء كما يكون في الدين فإنه يكون في الدنيا والعمل لها والتنافس على متعها، فأما الأول: فهو المحرم شرعا وأما الثاني: فغير محرم، قاله الغزالي في (الإحياء)، والهيتمي في (الزواجر) [٢٩٧]، والشرط ألا يؤدي إلى مباشرة ما لا يجوز نحو إسراف أو مخيلة أو غيرهما، وسيأتي بيان ذلك بإذن الله .

ورأس الأمر فيما سبق النية فقد يرتكب المرء فعلا هو رياء محض لا إخلاص فيه، وقد يصنعه غيره أو هو ذاته بذات الهيئة في ذات الوقت خالصا لوجه الله لا رياء فيه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ**»[٢٩٨]، وقال يحيى بن أبي كثير رحمه الله: (تعلموا النية، فإنها أبلغ من العمل)[٢٩٩] .

أولاً : الرياء بالبدن :

كالمتخشع في جلسته ومشيته: الذي يمشي على الأرض هونا،

---

(٢٩٧) (٣/ ٢٩٧ الإحياء للغزالي) و (١ / ٤٥ الزواجر للهيتمي).

(٢٩٨) سبق تخريجه .

(٢٩٩) (٢٢ / جامع العلوم والحكم).

ويجلس عـليها هـونـا ليظهر تواضعـا ويضمر تكبرا .

وقد رأى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، رجلاً يطأطئ رقبته فقال : (يا صاحب الرقبة ارفع رقبتك، ليس الخشـوع في الرقاب، إنما الخشوع في القلوب) [٣٠٠] .

أما إن كان المرء مجبولا على تلك المشية أو الجلسة وكانت من طبيعته، فلا تثريب عليه فعـن قيلـة بنت مخرمة قالت: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم قاعدا القرفصاء فلما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم المتخشع في الجلسة أرعدت من الفرق [٣٠١] .

ومنه: تحسين السمت: وهو من أجزاء النبوة، والمرائي يعمد إلى تحسين سمته يريد بذلك المنزلة في قلوب الناس والثناء عليه .

ومن أبواب الرياء بالبدن: إظهار المرء النحول والاصفرار: ليوهم بذلك ـ كما قال الصنعاني رحمه الله ـ (شدة الاجتهاد والحزن على أمر الدين

---

(٣٠٠) (٣/ ٢٩٦ الإحياء).

(٣٠١) صححه الألباني وقال: (صحيح بشواهده) وقال: (إسناده حسن في الشواهد) (٢١٢٤/ الصحيحة) : (٤٨٤٧ / أبو داود) (٢٨١٤ / الترمذي) (١١٧٨ / الأدب المفرد) (٣ / ٢٣٦ البيهقي في الكبرى) من حديث قيلة بنت مخرمة رضي الله عنها ، وفي سند الحديث عبد الله بن حسان العنبري وهو لين (١ / ٣٠٦ التقريب) .

وله شواهد في المعجم الكبير للطبراني (٢٤ / ٤٤٥) من حديث هند بنت سعيد بن أبي سعيد ، مطولا ، وفي سنده إبراهيم بن حمزة عن عبد العزيز بن محمد عن محمد بن أبي حميد، والأول: صدوق (١ / ٨٩ التقر يب) والثاني: صدوق كان يحدث من كتب غيره فيخطئ (١ / ٣٥٨ التقريب) والثالث: ضعيف (١ / ٤٧٥ التقريب) .

وأيضا في المعجم (١ / ٢٧٣) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه ، وفي سنده عبد الله بن المنيب ، قال الحافظ: لا بأس به (١ / ٣٢٥ التقريب) ، ولفظه: (كان النبي صلى الله عليه وسلم يجلس القرفصاء) وليس فيه محل الشاهد .

وخوف الآخرة وليدل بالنحول على قلة الأكل) [٣٠٢] .

هذا في الدين أما رياء الدنيا، فيكون بإظهار القوة واعتدال القامة وحسن الوجه ونظافة البدن، لنيل الجوائز وتقلد الوظائف .

ثانيًا : الرياء بالقول :

الحق أن الرياء بالقول من قبيل السمعة التي تأخذ حكم الرياء وليس رياء محضا، وهو لا تنحصر أبوابه، ومنه:

إظهار التسخط على أهل الدنيا وإظهار الوعظ والتأسف على ما يفوت من الخير والطاعة : ويكون بذكر حكايات الصالحين للدلالة على العناية بأخبار السلف والتبحر في العلم والتأسف على مقارفة الناس للمعاصي والتأوه من ذلك [٣٠٣] .

ومن أقبح أنواع الرياء بالقول – أو السمعة على ما قدمنا – ما ذكره الله عز وجل في ادعاء المنافقين الإيمان، في قوله تعالى : ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [٣٠٤]، وقوله : ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ [٣٠٥]، أي مكذبون بما ندعى إليه، وقيل: ساخرون واختلف المفسرون في المراد بالشياطين في الآية فقال ابن عباس رضي الله عنهما والسدي رحمه الله : (هم رؤساء الكفر) وقال الكلبي رحمه الله : (شياطين الجن) وقال جمع من المفسرين : (هم الكهان) وقال القرطبي رحمه الله :

---

(٣٠٢)(٤ / ١٨٥ سبل السلام)
(٣٠٣)(٤ / ١٨٥ سبل السلام)
(٣٠٤)(١١ / الفتح)
(٣٠٥)(١٤ / البقرة)

(ولفظ الشيطنة الذي معناه البعد عن الإيمان والخير، يعم جميع من ذكر) [٣٠٦].

وتوصيف ادعاء الإيمان على النحو السالف بأنه درب من دروب الرياء، لا يحجب عنه وصف الكفر والشرك الأكبر أحيانا، ووصف النفاق أحيانا أخر.

وفي باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : قال الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ، كَبُرَ مَقْتا عِنْدَ الله أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾ [٣٠٧]، و قِيلَ لأُسَامَةَ بن زيد رضي الله عنهما: أَلاَ تَدْخُلُ عَلَى عُثْمَانَ فَتُكَلِّمَهُ فَقَالَ أَتَرَوْنَ أَنِّى لاَ أُكَلِّمُهُ إِلاَّ أُسْمِعُكُمْ؟ وَالله لَقَدْ كَلَّمْتُهُ فِيمَا بيني وَبَيْنَهُ، مَا دُونَ أَنْ أَفْتَتِحَ أَمْرا لاَ أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ فَتَحَهُ وَلاَ أَقُولُ لأَحَدٍ يَكُونُ عَلَيَّ أَمِيرا إِنَّهُ خَيْرُ النَّاسِ، بَعْدَ مَا سَمِعْتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: **«يُؤْتَى بِالرَّجُلِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُ بَطْنِهِ فَيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الحِمَارُ بِالرَّحَى فَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ فَيَقُولُونَ يَا فُلاَنُ مَا لَكَ أَلَمْ تَكُنْ تَأْمُرُ بِالمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنِ المنكَرِ فَيَقُولُ: بَلَى قَدْ كُنْتُ آمُرُ بِالمَعْرُوفِ وَلاَ آتِيهِ وَأَنْهَى عَنِ المنْكَرِ وَآتِيهِ»** [٣٠٨].

الشاهد أن أسامة رضي الله عنه آثر أن يكون نصحه لأمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه فيما بينهما، لخوفه على نفسه السمعة وخوفه على المسلمين الفتنة.

وفي باب تلاوة القرآن : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **«إن اللهَ تبارك وتعالى إذا كان يومَ القيامة ينزلُ إلى العباد ليقْضي بينهم وكل أمة جاثية**

---

(٣٠٦)(١ / ٢١١ الجامع لأحكام القرآن)

(٣٠٧)(٢ : ٣ / الصف)

(٣٠٨)سبق تخريجه.

وأقتابه : أمعاؤه، والاندلاق : خروج الشئ من مكانه.

فأول من يدعو به رجلٌ جمع القرآنَ ورجل يقتتل في سبيل الله ورجلٌ كثيرُ المال فيقول الله للقارئ: ألم أعلِّمكَ ما أنزلتُ على رسولي؟ قال: بلى يا رب قال فماذا عملت فيما علمت؟ قال: كنتُ أقومُ به آناء الليل وآناء النهارِ فيقول الله لهُ: كذبتَ وتقولُ لهُ الملائكةُ: كذبتَ ويقول الله: بل أردت أن يقال: إن فلانًا قارئ فقد قيل ذلك» ثم قال: «أولئك الثلاثةُ أول خلقِ الله تسعرُ بهم النارُ يومَ القيامة»(٣٠٩).

ورياء أهل الدنيا يكون بترديد الأمثال وحفظ الأشعار والأبيات، والتحدث باللغات، والتفاصح بالعبارات وذكر الغرابات .

ثالثًا : الرياء بالعمل :

كإسباغ الوضوء لأجل رؤية الناس، لا للسنة والثواب .

وتحسين الصلاة وتطويل القيام والركوع والسجود لأجل رؤية الناس، بل وربما صلى أحدهم على غير طهارة لأجل ذلك .

قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ المُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ الله وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ الله إِلَّا قَلِيلاً﴾(٣١٠)، وقال أيضا: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ، الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ سَاهُونَ، الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ﴾(٣١١)، وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : خرج النبي صلى الله عليه وسلم فقال : «أيها الناسُ إياكُم وشرك السرائر» قالوا : يا رسولَ الله ما شركُ السرائر؟ قال : «يقوم الرجل فيصلي فَيزيِّن صلاته جاهدا لما

(٣٠٩) سبق تخريجه .
(٣١٠)(١٤٢ / النساء)
(٣١١)(٤ : ٦ / الماعون)

يرى من نَظَر الناس إليه فذاك شركُ السَّرائر» [٣١٢]، وقال صلى الله عليه وسلم: «الشركُ الخفي أن يقوم الرجلُ يصلي فيزيِّن صلاته لما يَرَى من نظر رجلٍ» [٣١٣].

ومنه: الرياء بالصدقات والنفقات: قال الله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُونَ بِالله وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِيناً فَسَاءَ قَرِينا﴾ [٣١٤]، وقال أيضا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُ بِالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدا﴾ [٣١٥]، وقال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث أول من تسعر بهم النار: «**ويُؤتَى بصاحبِ المالِ فيقولُ الله لهُ ألم أوسِّع عليكَ حتَّى لم أدَعْك تحتاجُ إلى أحدٍ قال: بلى يا رب قال: فماذا عملتَ فيما آتيتُك قال: كنتُ أصلُ الرَّحمَ وأتصدقُ فيقول الله له: كذبتَ وتقول لهُ الملائكة: كذبتَ ويقول الله تعالى: بل أردت أنْ يقالَ فلانٌ جوادٌ فقدْ قيلَ ذاكَ**» [٣١٦]، وروي عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: «لا يقبل الله صلاة بغير طهور، ولا صدقة من غلول، ولا نفقة في رياء» [٣١٧].

ومن الرياء بالعمل: الرياء ببر الوالدين: ويكون بإظهار الإحسان إليهما أمام الناس، والحقيقة والواقع عقوق وإيذاء.

وفي باب الجهاد: حديث أول من تسعر بهم النار، وفيه قول النبي

---

(٣١٢) سبق تخريجه.
(٣١٣) سبق تخريجه.
(٣١٤) (٣٨/ النساء).
(٣١٥) (٢٦٤/ البقرة).
(٣١٦) سبق تخريجه.
(٣١٧) (٢٦٧٩٤/ كنز العمال).

صلى الله عليه وسلم: «ويؤتى بالذي قتل في سبيل الله فيقولُ الله له: في ماذا قتلتَ؟ فيقول: أمرتُ بالجهادِ في سَبيلكَ فقاتلتُ حتَّى قُتلت فيقولُ الله تعالى لهُ كذبتَ وتقولُ له الملائكة: كذبتَ ويقولُ الله بل أردتَ أن يقال: فلانٌ جريءٌ فقد قيلَ ذاك» [٣١٨] .

وفي أبواب الإطعام والإيلام [٣١٩] والعقيقة والأضاحي قد يذبح المرء

---

(٣١٨) سبق تخريجه .

(٣١٩) وفي الباب حديث ضعيف :

(الوليمة أول يوم حق والثاني معروف والثالث رياء وسمعة) : (١٠٩٧ / الترمذي) وقال (غريب) ، (٧ / ٢٦٠) (البيهقي في الكبرى) (١٠ / ١٦٤ الطبراني في الكبير) جميعهم من حديث ابن مسعود رضي الله عنه ، والحديث : المحفوظ أنه من طريق زياد بن عبد الله البكائي وهو مختلف فيه وشيخه عطاء بن السائب وقد اختلط وسماعه منه بعد اختلاطه ، قال الإمام الترمذي : (وهو كثير الغرائب والمناكير) وقال وكيع: (مع شرفه يكذب في الحديث) .

وفي سنن البيهقي الكبرى (٧/ ٢٦٠) من حديث أنس رضي الله عنه ، وفي سنده بكر بن خنيس وهو صدوق له أغلاط (١ / ٩٣ التقريب) ، وأيضا الأعمش وهو ثقة كان يدلس (١ / ٢٤٩ التقريب) ولم يصرح بالتحديث .

وعند ابن ماجة (١٩١٥ / النكاح) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، ضعفه البوصيري في زوائد ابن ماجة ، وفي سنده عبد الملك بن حسين وهو ضعيف .

وفي سنن أبي داود (٣٧٤٥) ومسند أحمد (٥ / ٢٨ ، ٣٧١) و سنن النسائي الكبرى (٤ / ١٣٧) والمعجم الكبير للطبراني (٥ / ٢٧٣) وسنن البيهقي الكبرى (٧ / ٢٦٠) وسنن الدارمي (٢ / ١٤٣) جميعهم مرسلا ، والمحفوظ أنه من طريق عبد الله بن عثمان الثقفي وهو مجهول (١ / ٣٣٤ التقريب) .

وعلى هذا فكل طرق الحديث لا تسلم من الإعلال ، وقد ضعفه جملة من أهل العلم : قال الإمام الصنعاني: (ضعيف) وقال الشيخ الألباني: (ضعيف) (١٩٥٠ / إرواء الغليل) .

وفي الباب عن قتادة : =

ويوزع اللحم سرًّا، وقد يظهر الشعيرة ويباهي بها الناس ليُعلمهم أنه من أهل الخير وهذا رياء، وقد يقصد حث الناس عليها أو تعليمهم إياها، وهذا مستحب ولا يدخل في أبواب الرياء وسيأتي بيان ذلك تفصيلا إن شاء الله .

ويدخل في أبواب الرياء بالعمل غير ذلك من الأبواب التي تتطلب فعل من المكلف .

رابعًا : الرياء بالهيئة والزى :

ويكون بارتداء المرء ملابس حشوها المداراة والمداهنة: كارتداء ملابس العلماء لأخذ مكانتهم، وارتداء الملابس النفيسة مع عدم القدرة عليها لإظهار المكانة والسلطان، وارتداء الصوف والملابس الخشنة مع القدرة على ما يعلوها لإظهـار الزهد في الدنيا .

عن مكحول ـ رحمه الله ـ عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : (لا

وحدثني رجل أن سعيد بن المسيب دعي أول يوم فأجاب ودعي اليوم الثاني فأجاب ودعي اليوم الثالث فلم يجب وقال: أهل سمعة ورياء (٣ / ٣٤٢ أبي داود) (٧ / ٢٦٠ البيهقي في الكبرى) (٢ / ١٤٣ الدارمي) جميعهم بسند فيه انقطاع إلى سعيد رحمه الله .
وقد أورد الصنعاني رحمه الله كلام العلماء على الحديث المتقدم وأجاب عنه بما حاصله: (قال النووي : إذا أولم ثلاثًا فالإجابة في اليوم الثالث مكروهة وفي اليوم الثاني لا تجب مطلقًا ولا يكون استحبابها فيه كاستحبابها في اليوم الأول ، وذهب جماعة إلى أنه لا تكره في الثالث لغير المدعو في اليوم الأول والثاني لأنه إذا كان المدعوون كثيرين ويشق جمعهم في يوم واحد فدعا في كل يوم فريقًا لم يكن في ذلك رياء ولا سمعة وهذا قريب ، وجنح البخاري إلى أنه لا بأس بالضيافة ولو إلى سبعة أيام حيث قال: باب حق إجابة الوليمة والدعوة ومن أولم سبعة أيام ونحوه ولم يوقت النبي صلى الله عليه وسلم يومًا ولا يومين، وأشار بذلك إلى ما أخرجه ابن أبي شيبة من طريق حفصة بنت سيرين قالت : لما تزوج أبي دعا الصحابة سبعة أيام ، وفي رواية ثمانية أيام) (٣ / ١٥٧ سبل السلام).

تذهب الدنيا حتى يأتي أمراء كذبة ووزراء فجرة وعرفاء ظلمة وقراء فسقة أهواؤهم مختلفة ليست لهم زعة يلبسون ثياب الرهبان وقلوبهم أنتن من الجيف فيلبسهم الله فتنة ظلماء يتهوكون فيها تهوك اليهود) [٣٢٠] .

ودخل فرقد السنجي على الحسن وعليه كساء صوف وعلى الحسن حلة فجعل يلمسها، فقال له الحسن : (مالك، ثيابي ثياب أهل الجنة وثيابك ثياب أهل النار بلغني أن أكثر أهل النار أصحاب الأكسية) ثم قال الحسن : (جعلوا الزهد في ثيابهم والكبر في صدورهم والذي يحلف به لأحدهم أعظم كبرا من صاحب الطرف بمطروفه) [٣٢١] .

وقد أحسن الماوردي رحمه الله إذ قال : وأما جنس الملبوس وقيمته فمعتبر من وجهين أحدهما : بالمكنة من اليسار والإعسار فإن للموسر في الزي قدرًا وللمعسر دونه، والثاني: بالمنزلة والحال فإن لذي المنزلة الرفيعة في الزي قدرًا وللمنخفض عنه دونه، فإنْ عدل الموسر إلى زي المعسر كان شحًّا وبخلاً، وإنْ عدل الرفيع إلى زي المنخفض عنه كان مهانة وذلا، وإنْ عدل المعسر إلى زي الموسر كان تبذيرًا وسرفًا، وإنْ عدل المنخفض إلى زي الرفيع كان جهلاً وتخلفاً [٣٢٢] .

ومن الرياء بالهيئة والزى: تقصير الثياب وإعفاء اللحية إذا لم يكن القصد العبادة كمن قصد بتقصير الثياب وإعفاء اللحية إظهار الإتباع والسنية للتوصل إلى احترام الناس أو نيل وظيفة بالمسجد، فمقصد المرء ليس العبادة وإنما المراءاة، وهذا بخلاف من قصد بالتقصير وإعفاء اللحية العبادة أو تعليم

---

(٣٢٠)(٩٤ / الورع).

(٣٢١)(٣٣٣٣ / فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي).

(٣٢٢)(٤٢٣ / أدب الدنيا والدين) .

الناس سنة النبي صلى الله عليه وسلم و حثهم عليها فهذا مأجور إن شاء الله .

ومنه: **اختيار المساكن الضيقة والمبتذلة** مع القدرة على أرفع منها، وترك المراكب مع القدرة عليها، إذا كان القصد نيل مراتب الزاهدين، وأن يُشار إلى المرء كأحد الناسكين .

قال سفيان الثوري رحمه الله : (الزهد زهدان زهد فريضة وزهد نافلة فالفرض أن تدع الفخر والكبر والعلو والرياء والسمعة والتزين للناس، وأما زهد النافلة فأن تدع ما أعطاك الله من الحلال فإذا تركت شيئا من ذلك صار فريضة عليك ألا تتركه إلا لله)[٣٢٣] .

ورياء أهل الدنيا بالثياب النفيسة والمراكب الرفيعة والمساكن المبسوطة إذا تطلبتها طبيعة الوظيفة أو عادة القوم، بلا إسراف أو مخيلة، وإلا فقد ذم النبي صلى الله عليه وسلم من اتخذ الخيل ورَبَطَهَا فخرًا وتكبرًا ورياء فعن أَبِى هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - عَنِ النَّبِىِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «الْخَيْلُ لِثَلاَثَةٍ: لِرَجُلٍ أَجْرٌ، وَلِرَجُلٍ سِتْرٌ وَعَلَى رَجُلٍ وِزْرٌ . فَأَمَّا الَّذِى لَهُ أَجْرٌ، فَرَجُلٌ رَبَطَهَا فِى سَبِيلِ الله، فَأَطَالَ لَهَا فِى مَرْجٍ أَوْ رَوْضَةٍ، وَمَا أَصَابَتْ فِى طِيَلِهَا مِنَ الْمَرْجِ أَوِ الرَّوْضَةِ كَانَتْ لَهُ حَسَنَاتٍ، وَلَوْ أَنَّهَا قَطَعَتْ طِيَلَهَا، فَاسْتَنَّتْ شَرَفا أَوْ شَرَفَيْنِ، كَانَتْ أَرْوَاثُهَا حَسَنَاتٍ لَهُ، وَلَوْ أَنَّهَا مَرَّتْ بِنَهَرٍ فَشَرِبَتْ، وَلَمْ يُرِدْ أَنْ يَسْقِيَهَا، كَانَ ذَلِكَ لَهُ حَسَنَاتٍ، وَرَجُلٌ رَبَطَهَا تَغَنِّيًا وَسِتْرًا وَتَعَفُّفًا، لَمْ يَنْسَ حَقَّ الله فِى رِقَابِهَا وَظُهُورِهَا، فَهِىَ لَهُ كَذَلِكَ سِتْرٌ، وَرَجُلٌ رَبَطَهَا فَخْراً وَرِيَاءً، وَنِوَاءً لأَهْلِ الإِسْلاَمِ فَهِىَ وِزْرٌ» وَسُئِلَ النَّبِىُّ صلى الله عليه وسلم عَنِ الْحُمُرِ فَقَالَ: «مَا أُنْزِلَ عَلَىَّ فِيهَا إِلاَّ هَذِهِ الآيَةُ الْجَامِعَةُ الْفَاذَّةُ ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرا يَرَهُ، وَمَنْ

---

(٣٢٣) (٧/ ٢٤٣ سير الأعلام) .

﴿يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [٣٢٤] [٣٢٥].

قال الهيثمي رحمه الله : ومعناه أنه اتخذ الخيل تكبرًا وتعاظمًا واستعلاء على ضعفاء المسلمين وفقرائهم [٣٢٦].

قلت : وهذا المعنى يصدق فيمن اتخذوا - في عصرنا - السيارات والفلك والقصور تكبرًا وتعاظمًا واختيالاً على ضعفاء المسلمين وفقرائهم .

خامسًا : الرياء بالأصحاب والمعارف :

كملازمة العلماء والجادين في العبادة لأخذ مكانتهم بين الناس، ومن ذلك أيضا تبادل الزيارات معهم، ومنه: التسميع بمرافقتهم لنيل احترام الناس واهتمامهم - اللهم إلا إذا كانت ملازمتهم في باب التعلم، فهذا مستحب .

عن خالد بن معدان رحمه الله أنه كان إذا كثرت حلقته قام مخافة الشهرة[٣٢٧]، وعن ثابت البناني رحمه الله قال : قال لي محمد بن سيرين - رحمه الله: (كنت أمتنع من مجالستكم مخافة الشهرة) [٣٢٨]، وعن عبد الرحمن بن يزيد رحمه الله قال : قلنا لعلقمة بن قيس بن عبد الله : لو صليت في المسجد وجلسنا معك فتسأل، قال : (أكره أن يقال : هذا علقمة)[٣٢٩] .

---

(٣٢٤)(٧ : ٨ / الزلزلة).
(٣٢٥)سبق تخريجه .
(٣٢٦)(٢ / ٣٧٧ الزواجر).
(٣٢٧)(٧١ / التواضع والخمول) (٣ / ١٠٢ تهذيب التهذيب).
(٣٢٨)(٩ / ١٩١ تهذيب التهذيب).
(٣٢٩)(١ / ٣٣١ نزهة الفضلاء) .

فصل في : صور الرياء المذموم وما يلحق به

وقد انتهج علماء السلف رحمهم الله في كتبهم إلحاق ما ليس برياء كالسمعة والعمل لغرض من الدنيا كأجر أو منفعة ـ والتصنع للخلق ـ بالرياء والسبب في ذلك أمور منها :

(الأول) وحدة الأسباب التي تولد الرياء أو السمعة أو غيرهما مما ألحق بهما وكذا المظاهر التي يعرف من خلالها المرء أنه يعاني من مرض من هذه الأمراض .

(الثاني) وحدة الأثر والنتيجة المترتبة على هذه الأمراض .

(الثالث) وحدة الهدف والغاية من البحث في هذا الموضوع وهو علاج هذه الأمراض وبيان مدى خطورتها وتحذير الناس منها .

(الرابع) متابعة لما انتهجه علماء السلف في كتبهم، حيث ربطوا بين هذه الأمراض وأدرجوها تحت مسمى الرياء .

(الخامس) التعبير بالرياء من باب التعبير بالأغلب .

أولاً : الرياء المحض :

وهو الرياء الصراح المقصود به العمل لأجل رؤية الناس .

وفيه قول النبي صلى الله عليه وسلم : «**يقالُ لمن يَفعلُ ذلك إذا جاء الناسُ بأعمالهم اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون فاطلبوا ذلك عندهم**» (٣٣٠) وقوله: «**قَالَ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلاً**

(٣٣٠) سبق تخريجه .

أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ» (٣٣١)، وقوله صلى الله عليه وسلم : **«الشِركُ الخفيُّ أنْ يقومَ الرَّجل يصلِّي فيزيِّن صلاته لما يَرَى من نظرِ رجلٍ»** (٣٣٢) .

وهو على ثلاثة أقسام :

(الأول) ما كان مجردا عن قصد الثواب بأن يعمل لرؤية الناس، فإذا انفرد ترك العمل : كمن يصلي ليراه غيره خوفًا من المذمة، قال الغزالي رحمه الله: (وربما دفعه الرياء إلى الصلاة بغير طهر) (٣٣٣)، وهذا إذا انفرد بخلوة لم يصل، ومثله من أخرج الصدقة لئلا يقال إنه بخيل، وهو كما قال الإمام الصنعاني رحمه الله : (أغلظ أنواع الرياء وأخبثها وهو عبادة للعباد) (٣٣٤) .

(الثاني) ما كان مصحوبًا بإرادة الثواب، إلا أن إرادة الثواب أضعف بحيث لا يحمله على العمل إلا مراءاة النـاس، وهو رياء كالأول وصاحبه آثم مثله، هكذا قال الصنعاني رحمه الله في «سبل السلام» والغزالي رحمه الله في (الإحياء) وجملة من أهل العلم .

(الثالث) ما تساوى فيه القصدان : قصد الثواب وقصد الرياء، قال الغزالي رحمه الله (بحيث أن أحدهما وحده لا يبعثه على العمل، ولكن لما اجتمع القصدان انبعثت فيه الرغبة في العمل، وهذا قد أفسد بمقدار ما أصلح، وظواهر الأخبار تدل على أنه لا يسلم) (٣٣٥) أي من العقاب .

---

(٣٣١) سبق تخريجه .
(٣٣٢) سبق تخريجه .
(٣٣٣) (٣ / ٣٠١ الإحياء) .
(٣٣٤) (٤ / ١٨٦ سبل السلام) .
(٣٣٥) (٣ / ٣٠١ الإحياء) .

ثانيًا : اليسير من الرياء :

العمل المصحوب باليسير من الرياء ما كان مصحوبًا بإرادة الثواب التي هي أرجح من قصد الرياء بحيث يكون اطلاع الناس مقويًّا لنشاطه ولو لم يكن اطلاعهم لما ترك العبادة، وحكمه حكم ما يحرم كثيره، يحرم قليله [٣٣٦] .

وهذا النوع لا يحبط أصل الثواب ولكنه يهبط به أو يعاقب صاحبه على مقدار قصد الرياء، ويثاب على مقدار قصد الثواب، قاله الإمامان الغزالي والصنعاني رحمهما الله .

ثالثًا : المُتزين بما ليس فيه :

قال الله عز وجل : ﴿لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ العَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [٣٣٧]، وعَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قَالَ : «**مِنْ أَفْرَى الفِرَى أَنْ يُرِيَ عَيْنَيْهِ مَا لَمْ تَرَ**» [٣٣٨]، وقال أيضا : «**المُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ كَلابِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ**» [٣٣٩]، ولا شك أن من تزين بما لـيـس فيه من عمل الدين ـ مراء .

قال الفضيل بن عياض رحمه الله : (كانوا يراءون بما يعملون، وصاروا

---

(٣٣٦) وفي الباب من الضعيف :

(إن اليسير من الرياء شرك) وفي رواية (إن أدنى الرياء شرك) (سبق تخريجه) .

وفي مراسيل القاسم بن مخيمر عن النبي صلى الله عليه وسلم (لا يقبل الله عملا فيه مثقال حبة من خردل من رياء)، ضعفه الألباني (٢٢ / ضعيف الترغيب) .

(٣٣٧)(١٨٨ / آل عمران).

(٣٣٨) صحيح : (٧٠٤٣ / التعبير / البخاري) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما .

(٣٣٩) صحيح : (٥٢١٩ / النكاح / البخاري) (٢٩٣٠ / اللباس والزينة / مسلم) وكلاهما من حديث أسماء رضي الله عنها .

اليوم يراءون بها لا يعملون) [٣٤٠].

ومن ناحية أخرى :

فإن من تزين بما ليس فيه لنيل احترام الناس وحبهم شانه الله عز وجل بينهم، معاملة له بنقيض قصده، قال العلامة ابن القيم رحمه الله: (فإن المعاقبة بنقيض القصد ثابتة شرعًا وقدرًا، وهذا موجب أسماء الرب الحسنى وصفاته العليا وحكمته في قضائه وشرعه، ولما كان من تزين للناس بما ليس فيه من الخشوع والدين والنسك والعلم وغير ذلك قد نصب نفسه للوازم هذه الأشياء ومقتضياتها فلا بد أن تطلب منه، فإذا لم توجد عنده افتضح فيشينه ذلك من حيث ظن أنه يزينه) [٣٤١].

وتزين المرء بما ليس فيه من قبيل السمعة التي أفردنا لها فيما بعد .

رابعًا : إرادة الإنسان بعمل الآخرة عرضًا من الدنيا :

شرط قبول العمل أن يكون خالصًا لوجه الله عز وجل موافقًا لسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، كما قال الفضيل بن عياض في قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ [٣٤٢]، قال (أيكم أخلصه وأصوبه) قيل : يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه، قال (إن العمل إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يقبل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يقبل حتى يكون خالصًا صوابًا، فالخالص ما كان لله تعالى والصواب ما كان على السنة) [٣٤٣] .

---

(٣٤٠)(٣/ ٢٩٦ الإحياء).
(٣٤١)(٢/ ٤٣٢ إعلام الموقعين) .
(٣٤٢)(٢/ الملك).
(٣٤٣)(٣٠٥/ فتح المجيد).

ومن ظن أن هذا الباب داخل في الرياء وأن هذا مجرد تكرير فقد أخطأ بل المراد بهذا أن يعمل الإنسان عملاً صالحًا يريد به الدنيا كالذي يجاهد للقطيفة والخميلة ونحو ذلك، ولهذا سماه النبي صلى الله عليه وسلم عبدًا لذلك، بخلاف المرائي فإنه إنما يعمل ليراه الناس ويعظموه والذي يعمل لأجل الدراهم والقطيفة ونحو ذلك أعقل من المرائي لأن ذلك عمل لدنيا يصيبها والمرائي عمل لأجل المدح والجلالة في أعين الناس وكلاهما خاسر[٣٤٤].

والعمل لأجل الدنيا شرك ينافي كمال التوحيد الواجب ويحبط الأعمال[٣٤٥]، وبينه وبين الرياء علاقة عموم وخصوص، فالأول أعم من الأخير وأعظم منه ذلك أن الرياء بمعناه الحقيقي إظهار العبادة لقصد رؤية الناس لها فيحمدون صاحبها.

أما كونه أعظم منه لأن مريد الدنيا قد تغلب إرادته تلك على كثير من عمله، وأما الرياء فقد يعرض له في عمل دون عمل ولا يسترسل معه، والمؤمن يكون حذرًا من هذا[٣٤٦].

*** وابتغاء المرء بعمله عرضًا من الدنيا له عدة صور :**

الأولى : أن يزين عمله يبتغي بذلك الثناء من الناس وتقديرهم، وهذا رياء محض، والعمل باطل لا شك.

الثانية : أن يعمل العمل لينال من وراءه أجرًا أو مغنمًا، كمن يجاهد

---

(٣٤٤) (٤٧٢ : ٤٧٣ / تيسير العزيز الحميد).
(٣٤٥) (٣٠٦ / فتح المجيد).
(٣٤٦) (٣٠٦ / فتح المجيد).

ليأخذ أجرًا، ومن يتعلم القرآن ويواظب على صلاة الجماعة لأجل وظيفة المسجد، فإن كان عمل المرء لأجل الأجرة أو المنفعة خالصًا فقد قال الله عز وجل: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ، أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٣٤٧)، وقال أيضا: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ العَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُوما مَدْحُورا﴾ (٣٤٨)، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **«تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ وَعَبْدُ الخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رضي، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلاَ انْتَقَشَ»** (٣٤٩)، وقال أيضا : **«إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ»** (٣٥٠) .

قال قتادة رحمه الله : من كانت الدنيا همه وطلبه ونيته جازاه الله بحسناته في الدنيا ثم يفضي إلى الآخرة وليس له حسنة يعطى بها جزاء، وأما المؤمن فيجازى بحسناته في الدنيا ويثاب عليها في الآخرة (٣٥١) .

---

(٣٤٧) (١٥ : ١٦ / هود).

(٣٤٨) (١٨ / الإسراء).

(٣٤٩) سبق تخريجه .

وقوله صلى الله عليه وسلم: (تعس) بكسر العين : أي سقط ، قال الحافظ رحمه الله: (هلك) وفي موضع آخر (شقي) ، وقال أبو السعادات رحمه الله: (عثر وانكب على وجهه، وهو دعاء عليه بالهلاك) ، قال الإمام البخاري رحمه الله: (كأنه يقول فأتعسهم الله).

وقد سبق بيان معاني مفردات الحديث عند تخريجه .

(٣٥٠) سبق تخريجه .

(٣٥١) (٣٠٦ / فتح المجيد).

وقال الشيخ ابن باز رحمه الله تعليقًا على هذا [٣٥٢] : وليس الأمر هكذا فحسب، وإنما نيل الأول حسناته في الدنيا مقيد بمشيئة الله عز وجل إن شاء أعطاه مراده، وإن لم يشأ لم يحصل عليه، قال الله عز وجل (مَنْ كَانَ يُرِيدُ العَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُوما مَدْحُوراً) [٣٥٣] .

أما إذا كان العمل لله تعالى وصاحب ذلك نية أخذ الأجرة أو نيل المنفعة، فالعلماء على ثلاثة أقوال :

(الأول) أن ثواب المرء على عمله ينقص ولا يبطل بالكلية، قال ابن رجب رحمه الله : (فإن خالط نية الجهاد مثلا نية غير الرياء مثل أخذ أجرة للخدمة أو أخذ شيء من الغنيمة أو التجارة نقص بذلك أجر جهاده، ولم يبطل بالكلية)، قال الإمام أحمد رحمه الله : (التاجر والمستأجر والمكاري أجرهم على قدر ما يخلص من نياتهم في غزواتهم ولا يكون مثل من جاهد بنفسه وماله لا يخلط به غيره) [٣٥٤] .

وأصحاب هذا القول استدلوا بحديث النبي صلى الله عليه وسلم : «**مَا مِنْ غَازِيَةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ الله فَيُصِيبُونَ الغَنِيمَةَ إلاَّ تَعَجَّلُوا ثُلُثَيْ أَجْرِهِمْ مِنَ الآخِرَةِ وَيَبْقَى لَهُمُ الثُّلُثُ وَإِنْ لَمْ يُصِيبُوا غَنِيمَةً تَمَّ لَهُمْ أَجْرُهُمْ**» [٣٥٥] .

(الثاني) أن أجر المرء على عمله تام، لا ينقص منه شيء، قال الأوزاعي رحمه الله : (إذا كانت نية الغازي على الغزو فلا أرى بأسًا، وهكذا يقال فيمن

---

(٣٥٢) (٣٠٦ / فتح المجيد تعليقات العلامة ابن باز رحمه الله).

(٣٥٣) (١٨ / الاسراء).

(٣٥٤) (٣٠ / جامع العلوم والحكم) بتصرف .

(٣٥٥) سبق تخريجه .

أخذ شيئا في الحج، ليحج به إما عن نفسه أو غيره)، وعن مجاهد رحمه الله أنه قال في حج الجمّال وحج الأجير وحج التاجر : (هو تام لا ينقص من أجرهم شيء) .

لكن الحافظ ابن رجب رحمه الله عقَّب على ذلك بقوله : (وهذا محمول على أن قصدهم الأصلي كان الحج دون التكسب)[٣٥٦] .

(الثالث) لا يقبل منه العمل ويجب عليه الإعادة؛ لأن حقيقة الإخلاص التي هي شرط في صحة العمل والثواب عليه لم توجد، والحكم المعلق بالشرط عدم عند عدمه [٣٥٧] .

الثالثة : أن يعمل العمل يبتغي به وجه الله تعالى، لكنه يصيبه من جرائه أجرًا أو منفعة أو ثناء من الناس، على نحو عارض غير مقصود : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «**تلك عاجل بشرى المؤمن**»[٣٥٨] .

وهذا إن شاء الله أجره كاملاً، قال الإمام أحمد رحمه الله : (فمن يأخذ جعلاً على الجهاد إذا لم يخرج لأجل الدراهم فلا بأس أن يأخذ، لأنه لدنه، فإن أعطي شيئا أخذه)، وكذا روي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قوله : (إذا أجمع أحدكم على الغزو فعوضه الله رزقا فلا بأس بذلك، وأما إن أعطي درهما غزا، وإن منع مكث، فلا خير في ذلك)، وكذا قال الأوزاعي رحمه الله : (إذا كانت نية الغازي على الغزو فلا أرى بأسًا، وهكذا يقال فيمن أخذ شيئا في الحج، ليحج به إما عن نفسه أو غيره)، وروي عن مجاهد رحمه الله أنه قال في حج الجمال وحج الأجير وحج التاجر: (هو تام لا ينقص من أجرهم شيء)،

(٣٥٦)(٣٠/ جامع العلوم والحكم)
(٣٥٧)(٢ / ٤٣٣ إعلام الموقعين)
(٣٥٨) سبق تخريجه .

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله : (وهذا محمول على أن قصدهم الأصلي كان الحج دون التكسب)[٣٥٩] .

قال الطيبي رحمه الله، تعليقًا على حديث : (من تعلم علمًا مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضًا من الدنيا : لم يجد عرف الجنة يوم القيامة)، قال : (بين بهذا الحصر أن من تعلمه لرضاه تعالى مع إصابة عرضها لا يدخل تحت هذا الوعيد، لأن ابتغاء وجهه تعالى يأبى أن لا يكون متبوعا غالبا، فعرضها تابع)[٣٦٠] .

وقال الإمام النووي رحمه الله : (معناه هذه البشرى المعجلة له بالخير، وهي دليل على رضاء الله تعالى عنه، ومحبته له، فيحببه إلى الخلق، ثم يوضع له القبول في الأرض، هذا كله إذا حمده الناس من غير تعرض منه لحمدهم، وإلا فالتعرض مذموم)[٣٦١] .

وبعد أن بينا الفرق بين الرياء والعمل لغرض من الدنيا، وصوره وحكم كل صورة، بقي أمر ننبه عليه

ألا وهو: أن الله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا لوجهه، قال النبي صلى الله عليه وسلم: **«قَالَ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ»**[٣٦٢] .

ويروى عن علي رضي الله عنه قوله : (مثل الدنيا كمثل الحية لين مسها، والسم الناقع في جوفها يهوى إليها الغر الجاهل ويحذرها ذو اللب

---

(٣٥٩) (٣٠/ جامع العلوم والحكم) .

(٣٦٠) (١ / ١٣٧ تعليق محمد فؤاد عبد الباقي على سنن ابن ماجة) ، والحديث سبق تخريجه .

(٣٦١) (٨/ ٤٣٩ صحيح مسلم بشرح النووي) بتصرف .

(٣٦٢) سبق تخريجه .

العاقل)[٣٦٣]، وعن الربيع بن خثيم رحمه الله : (كل ما لا يبتغي به وجه الله يضمحل)[٣٦٤] :

يريدُ المرءُ أن يُعطى مُنَاه ويَأبى الله إلا مَا أرادا
يقولُ المرءُ فائدتي ومالي وتقوى الله أفضلُ ما اسْتفادا

ورحم الله أبو العتاهية حين قال :

هي الدنيا : إذا كمُلت وتمَّ سرورُها خذَلتْ
وتفعلُ في الذين بقوا كما فيمن مضى فعلت

خامسًا : السمعة :

الفرق بين الرياء والسمعة أن الرياء لما يرى من العمل كالصلاة، والسمعة لما يسمع كالقراءة والوعظ والذكر، ويدخل في ذلك أن يخفي العبد عمله لله ثم يحدث به الناس [٣٦٥]، فالرياء يتعلق بحاسة البصر، والسمعة تتعلق بحاسة السمع .

قال التهانوى رحمه الله : (الفرق بين الرياء والسمعة أن الرياء يكون في الفعل، والسمعة تكون في القول)[٣٦٦]. وقال ابن عبد السلام رحمه الله : (الرياء أن يعمل لغير الله، والسمعة أن يخفي عمله ثم يحدث به الناس)[٣٦٧] .

وأدلة تحريم السمعة خاصة :

قول الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتاً

(٣٦٣) (٥٤٢ / نهج البلاغة).
(٣٦٤) (٩٦ / مختصر شعب الإيمان).
(٣٦٥) (٤٦٤ / تيسير العزيز الحميد) (٣٠٢ / فتح المجيد) (١٤٥ / الجامع الفريد).
(٣٦٦) (٣ / ٦٠٧ اصطلاحات الفنون) (١١ / ٣٤٤ فتح البارى) .
(٣٦٧) (١١ / ٣٤٤ فتح البارى) .

عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾[٣٦٨] .

حديث ابْن عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللهُ بِهِ وَمَنْ رَاءَى رَاءَى اللهُ بِهِ»[٣٦٩]

وحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ»[٣٧٠] .

وحديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «يُؤْتَى بِالرَّجُلِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيُلْقَى في النَّارِ فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُ بَطْنِهِ فَيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الحِمَارُ بِالرَّحَى فَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ فَيَقُولُونَ : يَا فُلاَنُ مَا لَكَ أَلَمْ تَكُنْ تَأْمُرُ بِالمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنِ المنْكَرِ فَيَقُولُ : بَلَى قَدْ كُنْتُ آمُرُ بِالمَعْرُوفِ وَلاَ آتِيهِ وَأَنْهَى عَنِ المنْكَرِ وَآتِيهِ »[٣٧١] .

هذا فضلاً عن أدلةِ تحريم الرياء بكافة صوره والتي تمتد لتشمل السمعة، والحقيقة أن الرياء والسمعة شرك أصغر، لذا فإن الأثر المترتب عليهما واحد هو رد العمل الذي شابه على صاحبه وخذلانه في الآخرة .

---

(٣٦٨) (٢ : ٣/ الصف).

(٣٦٩) سبق تخريجه .

(٣٧٠) سبق تخريجه .

وفي الباب حديث ضعيف :

(من صام يرائي فقد أشرك ومن صلى يرائي فقد أشرك ومن تصدق يرائي فقد أشرك إن الله تعالى يقول أنا خير قسيم لمن أشرك بي من أشرك بي شيئا فإن عمله قليله وكثيره لشريكه الذي أشرك بي أنا عنه غني) سبق تخريجه .

(٣٧١) سبق تخريجه .

وأقتابه : أمعاؤه ، والاندلاق : خروج الشيء من مكانه .

وقد ألحقت السمعة وغيرها مما ألحقه العلماء بالرياء في أحكامه في سائر فصول الكتاب تمشيًا مع ما انتهجه علماء السلف رحمهم الله في كتبهم للأسباب التي سبق وأن بينتها في مقدمة الكتاب .

سادسًا : المن والأذى :

المن لغة : القطع والانقطاع [٣٧٢]، ومنه قول الله عز وجل : ﴿فلهم أجر غير ممنون﴾ [٣٧٣]، وشرعا : تذكير المُنعِم المنعَم عليه بإنعامه [٣٧٤]، ومننت عليه منًّا عددت له ما فعلت له من الصنائع [٣٧٥]. وهو قد يكون بالفعل أو القول، والأول لا يكون إلا لله تعالى ومنه قوله عز وجل : ﴿بَلِ الله يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [٣٧٦]، وقوله : ﴿كَذلكَ كُنتُم مِّنْ قَبْلُ فَمَنَّ الله عَلَيْكُم﴾ [٣٧٧]، ومنة الله عليهم بالفعل هدايتهم، ومنه اسم الله تعالى (المنان) أي عظيم الإحسان المعطي ابتداء، قال عز وجل : ﴿لقَدْ مَنَّ اللهُ على المؤمِنِين﴾ [٣٧٨]، وقال أيضا : ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ الله يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [٣٧٩] .

والثاني: يكون بين الناس ومنه قوله عز وجل : ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ

(٣٧٢) (٥ / ٢٦٧ مقاييس اللغة).
(٣٧٣) (٦ / التين).
(٣٧٤) (٢٩ / ٢٩٨ التحرير والتنوير).
(٣٧٥) (٥٨١ / المصباح المنير) .
(٣٧٦) (١٧ / الحجرات).
(٣٧٧) (٩٤ / النساء).
(٣٧٨) (١٦٤ / آل عمران).
(٣٧٩) (١١ / إبراهيم) .

أَسْلَمُوا﴾ (٣٨٠)، والمن بالقول مستقبح لأن فيه تكسيرًا للقلوب وتكديرًا للتمتع بالعطية، فلهذا نهينا عنه بقوله تعالى : ﴿لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالمَنِّ والأَذَى﴾ (٣٨١)، وقوله عز وجل : ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ الله ثُمَّ لا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذَىً لَـهُم أَجْرُهُمْ عِند رَبِّهِم وَلَا خَوفٌ عَلَيْهِم وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٣٨٢)، والمن من الكبائر لما ثبت في صحيح مسلم وغيره أن المان أحد الثلاثة الذين لا ينظر الله إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم (٣٨٣)، اللهم في كل ما سبق إلا عند كفران النعمة وفي أضيق الحدود، قالت العرب : إذا كفرت النعمة حسنت المنة .

أما قول الله عز وجل : ﴿وَلا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ﴾ (٣٨٤)، فالاستكثار عد الشيء كثيرًا وهو مكروه، وفيه قول ابن سيرين رحمه الله : ﴿لا خير في معروف إذا أحصي﴾ (٣٨٥)، والمراد بالآية على أحد الأوجه : لا تستعظم ما تعطيه (٣٨٦) :

أفسَدْتَ بالمَنِّ ما أسْدَيتَ من حَسَنٍ   ليس الكريمُ إذا أسدَى بمنَّان

والمن من صفات النساء، قالت العرب : (لا تتزوجن حنانة ولا منانة)(٣٨٧) وهو من صفات البخلاء والمعجبون بأعمالهم، قال القرطبى رحمه الله: فالبخيل

---

(٣٨٠)(١٧ / الحجرات).
(٣٨١)(٢٦٤ / البقرة).
(٣٨٢)(٢٦٢ / البقرة).
(٣٨٣)سبق تخريجه .
(٣٨٤)(٦ / المدثر).
(٣٨٥)(٣ / ٢٧١ الجامع لأحكام القرآن) (١٥٢ / الذهبي في الكبائر) .
(٣٨٦)(٢٩ / ٢٩٨ التحرير والتنوير).
(٣٨٧)(٦ / ٤٢٧٩ لسان العرب).
وفي الباب حديث لا أصل له فيما علمت :
(إياكم والامتنان بالمعروف فإنه يبطل الشكر ويمحق الأجر) .

تعظم في نفسه العطية وإن كانت حقيرة في نفسها، والمعجب يحمله العجب على النظر لنفسه بعين العظمة وأنه منعم بما له على المعطى .

وهو من صفات المرائين، قال الله عز وجل : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُ بِالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً﴾[٣٨٨]، فالمرائي يدفع أمواله رغبة في الشهرة وحب الثناء من الناس .

وقد أُلحق المان والمؤذي بالمرائي : لاشتراكهما في أنهما ينفقان أموالهما لعلة عند الناس، إما ثناء أو محمدة أو قضاء حاجة أو عرض من الدنيا .

والفرق بينهما : أن المان قد يقصد عند أداء الصدقة وجه الله تعالى، فيكتب له الثواب، إلا أنه عقب أدائها يمن على آخذها بها، فتكتب له سيئة تمحو ما حصله من ثواب بصدقته .

أما المرائي فإنه لم يقصد بعمله في الأصل وجه الله تعالى، لذلك فإن عمله حابط مردود عليه .

وقد كره الإمام مالك رحمه الله أن يعطي الرجل صدقته الواجبة أقاربه لئلا يعتاض منهم الحمد والثناء ويظهر منته عليهم ويكافئوه عليها فلا تخلص لوجه الله تعالى، واستحب أن يعطيها غيرهم، واستحب أن يولي غيره تفريقها إذا لم يكن الإمام عدلا لئلا تحبط بالمن والأذى والشكر والثناء والمكافأة بالخدمة من المعطي، وهذا بخلاف صدقة التطوع السر لأن ثوابها إذا حبط سلم من الوعيد في الآية الكريمة (لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالأَذَى) وصار في حكم من لم يفعل، والواجب إذا حبط ثوابه توجه الوعيد عليه لكونه في حكم

---

(٣٨٨) (٢٦٤ / البقرة).

من لم يفعل [٣٨٩] .

وفي الباب حكم يجب بيانه : هو أن المن في صدقة يحبطها، لكنه لا يمتد إلى غيرها من الصدقة التي لم يصاحبها من ولا أذى[٣٩٠] .

مبحث : هل يَبْطل العمل الذي شابه المنّ والأذى

للعلماء في ذلك أقوال :

(أولها) أن المن والأذى يبطل ثواب صدقة المان من وقت منّه وإيذائه، وما قبل ذلك يكتب له ويضاعف، فإذا منّ وآذى انقطع التضعيف لأن الصدقة تربى لصاحبها حتى تكون أعظم من الجبل، ففي (البخاري) من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «**مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلاَ يَصْعَدُ إِلَى الله إِلاَّ الطَّيِّبُ، فَإِنَّ الله يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهَا كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ، حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الجَبَلِ**»[٣٩١] .

(ثانيها) إنما يبطل الفضل دون الثواب، فالقاصد بنفقته الرياء غير مثاب كالمشرك لأنه لم يقصد بعمله وجه الله تعالى، وخالف صاحب المن والأذى لأنه قصد وجه الله تعالى فاستحق ثوابه ولم يستحق فضله، وقد رجح القول الأخير الإمام القرطبي رحمه الله[٣٩٢] .

---

(٣٨٩) (٣/ ٢٧٢ الجامع لأحكام القرآن) .
(٣٩٠) (٣/ ٢٧١ الجامع لأحكام القرآن).
(٣٩١) سبق تخريجه .
(٣٩٢) (٣/ ٢٧٢ الجامع لأحكام القرآن) .

سابعًا : التصنع للخلق :

التصنع للخلق إتيان الفعل بغية استحسان الناس أو خوفًا من سخطهم وهو مذموم، فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «**مَنِ التَمَسَ رِضَا الله بسَخَطِ النَّاسِ رَضِي اللهُ عنه وأَرْضَى النَّاس عنه ومن التَمَسَ رضَا الناسِ بسخطِ الله سَخِطَ الله عليه وأَسْخَطَ عليه النَّاسَ**»[٣٩٣]، وفي رواية : «**مَن آثر محبةِ الله على محبَّةِ الناس كَفَاه الله مُؤنةَ الناسِ**»[٣٩٤] .

وأحد تأويلات قول الله عز وجل : ﴿ولا تمنن تستكثر﴾ كما ذكر القرطبي رحمه الله في تفسيره عن القرظي رحمه الله : (لا تعط مالك مصانعة)[٣٩٥] .

---

(٣٩٣) سبق تخريجه .
وفي الباب أحاديث ضعيفة :
(لا ترضين أحدا بسخط الله ولا تحمدن أحدا على فضل الله ولا تذمن أحدا على ما لم يؤتك الله فإن رزق الله لا يسوقه إليك حرص حريص ولا يرده عنك كراهية كاره وإن الله بقسطه وعدله جعل الروح والفرج في الرضا واليقين وجعل الهم والحزن في السخط) (سبق تخريجه) .
(من أرضى سلطانا بسخط ربه عز وجل خرج من دين الله تبارك وتعالى) (سبق تخريجه) .
(اتقوا أبواب السلطان وحواشيها فإن أقرب الناس من السلطان وحواشيه أبعدهم من الله ومن آثر سلطانا على الله جعل الله الفتنة في قلبه ظاهرة وباطنة) (سبق تخريجه) .

(٣٩٤) سبق تخريجه .

(٣٩٥) (١٩ / ٥٢ الجامع لأحكام القرآن).

فصل في : هل يدخل الرياء الفرض والنفل

والعلماء في ذلك على مذاهب ثلاثة :

(أولها) الرياء يدخل الفرض والنفل، قال بذلك الإمام القرطبي رحمه الله، وقسم الهيثمي أنواع الرياء إلى ما تعلق بأصل الإيمان ثم أصول العبادات الواجبة ثم النوافل ثم أوصاف العبادات [٣٩٦] .

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله : (وهذا الشرك – يقصد الرياء – في العبادة يبطل ثواب العمل، وقد يعاقب عليه إذا كان العمل واجبًا، فإنه ينزله منزلة من لم يعمله، فيعاقب على ترك الأمر) [٣٩٧]، دل هذا على أنه رحمه الله أيضا يقول بدخول الرياء الفرض والنفل .

وقد قال بدخول الرياء المذموم الفرض والنفل جمهور العلماء، ومستندهم في ذلك عموم أدلة تحريم الرياء وذمه حيث لم تفرق النصوص سواء القرآنية أو النبوية بين الفرض والنفل .

(ثانيها) إنما يدخل النفل خاصة، لأن الفرض واجب على جميع الناس والنفل عرضة لذلك .

(ثالثها) يدخل الفرض خاصة لأن المرء لو لم يأت بالنوافل لم يؤاخذ عليها .

---

(٣٩٦) (٥ / ٣٧٠ : ٣٧١ الجامع لأحكام القرآن) (١ / ٤٣ الزواجر للهيثمي).

(٣٩٧) (١٨٤ / الداء والدواء).

فصل في : هل يترك العمل خوفًا من الرياء

ونفرق بين فرضين :

(الأول) من ترك فرضا :

لا يجوز بأي حال من الأحوال تركُ الفرضِ خوفا من الرياء، وتاركُ الفرض خوفًا من الرياء آثم بتركه، قال العلامة ابن القيم رحمه الله : (فتارك حقوق الله التي تجب عليه أسوأ حالاً عند الله ورسوله من مرتكب المعاصي، فإن ترك الأمر أعظم من ارتكاب النهي) [٣٩٨]، وقال الفضيل بن عياض رحمه الله: (ترك العمل لأجل الناس رياء والعمل لأجل الناس شرك والإخلاص أن يعافيك الله منهما)[٣٩٩] .

* وفي هذا الباب أسوق مثلاً يُسأل عنه كثيرًا :

رجل يحجم عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خوفًا من الرياء، هل يُقبل ولا يمنعه خوفه من الرياء من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أم يترك خوفًا من أن يتمكن الرياء من قلبه فيصدق فيه قول النبي صلى الله عليه وسلم: **«يُؤْتَى بِالرَّجُل يَوْمَ القِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُ بَطْنِهِ فَيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ**

---

(٣٩٨) (٢ / ٤٢٩ إعلام الموقعين).

وفي باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حديث ضعيف :

(أوحى الله عز وجل إلى جبريل عليه السلام أن اقلب مدينة كذا وكذا على أهلها قال: فقال يارب إن فيها عبدا لم يعصك طرفة عين قال اقلبها عليه وعليهم فإن وجهه لم يتمعر في ساعة قط) : (٧ / ٣٣٦ الطبراني في الأوسط) من حديث جابر رضي الله عنه ، قال الألباني (ضعيف جدًا) (١٩٠٤ / الضعيفة) .

(٣٩٩) (١٤٥ / الكبائر) .

الحِمَارُ بالرَّحَى فَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ فَيَقُولُونَ يَا فُلاَنُ مَا لَكَ أَلَمْ تَكُنْ تَأْمُرُ بالمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنِ المنكَرِ فَيَقُولُ بَلَى قَدْ كُنْتُ آمُرُ بِالمَعْرُوفِ وَلاَ آتِيهِ وَأَنْهَى عَنِ المنْكَرِ وَآتِيهِ» [٤٠٠].

والجواب: القاعدة الأصولية تقرر أنه (لا يزال الضرر بأشد منه)، ولا شك أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض: قال الله ﷻ: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ المفْلِحُونَ﴾ [٤٠١] وقال أيضا: ﴿وَالمؤْمِنُونَ وَالمؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ الله وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ الله﴾[٤٠٢]، وقال صلى الله عليه وسلم: **«إنَّه مفتوحٌ لكُم وأنتُم منصُورون مُصيبُون فَمَن أدركَ ذلكَ منكُم فليتَّق اللهَ وليأمُر بالمعرُوف ولينهَ عنِ المنكَرِ وليصِلْ رحمهُ ومثَلُ الذي يُعينُ قومَه عَلى غَير الحقِّ كمثل البعير يتردَّى فهُو يمدُّ بذَنبِه»**[٤٠٣]، وقد أجمعت الأمة على وجوبه: نقل ذلك جمع من أهل العلم منهم الإمام ابن حزم رحمه الله حيث قال: (اتفقت الأمة كلها على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بلا خلاف من أحد

---

(٤٠٠) سبق تخريجه.

وأقتابه أمعاؤه والاندلاق: خروج الشيء من مكانه.

(٤٠١)(١٠٤ / آل عمران).

(٤٠٢)(٧١ / التوبة).

(٤٠٣) حسنه الألباني وقال (حسن صحيح) (١٣٨٣ / الصحيحة)، وحسنه الإمام الترمذي وقال (حسن صحيح) (٤ / ٥٢٤ السنن)، وصححه الحاكم وقال (صحيح الإسناد ولم يخرجاه) (٤ / ١٧٦ المستدرك): (٢٢٥٧ / الترمذي) (١ / ٤٠١ أحمد في المسند) (٥ / ٥١١ النسائي في الكبرى) (١ / ٤٥ الطيالسي) (١ / ٣٢٩ الشهاب) (١٠ / ٩٤ البيهقي في الكبرى) جميعهم من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

منهم) [٤٠٤]، وقال الإمام النووي رحمه الله : (تطابق على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الكتاب والسنة وإجماع الأمة) [٤٠٥] .

ويكفي أن نذكر طرفًا من أهميته :

ألا كونه سبيلاً للنجاة من سوء العاقبة الذي يصيب القوم الظالمين قال ﷻ : ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾[٤٠٦].

وهو من علامات الحب في الله :

فحبيبك من يغار إذا زللت ويغلظ في الكلام متى أسأت
يسر إذا اتصفت بكل فضل ويحزن إن نقصت أو انتقصت

من جماع ما تقدم، فلا شك في أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أولى وأوجب من تركهما خوفا من الرياء.

وأما إذا عقَّب على ما قلت، بقول الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ، كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ الله أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾[٤٠٧]، وقول النبي صلى الله عليه وسلم: «**يُؤْتَى بِالرَّجُلِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُ بَطْنِهِ فَيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الحِمَارُ بِالرَّحَى فَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ فَيَقُولُونَ يَا فُلَانُ مَا لَكَ أَلَمْ تَكُنْ تَأْمُرُ بِالمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنِ المُنْكَرِ فَيَقُولُ بَلَى قَدْ كُنْتُ آمُرُ**

---

(٤٠٤) (٤ / ١٧١ الفصل في الملل والأهواء والنحل).
(٤٠٥) (١ / ٥١ شرح صحيح مسلم) .
(٤٠٦) (١٦٥ / الأعراف).
(٤٠٧) (٢ : ٣ / الصف).

بِالْمَعْرُوفِ وَلاَ آتِيهِ وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ»[٤٠٨] .

فأقول إن الجمع بين ما يظن أنهما متناقضان يقتضي ألا يترك المسلم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإن خشي الرياء، وفي نفس الوقت يجاهد الأخير إن شعر به تسلل إلى قلبه ولا ييأس ولا يترك وليستعن بالله تعالى .

(الثاني) من ترك نفلا :

فهو إما أن يتعدى نفعه للآخرين فلا يترك لذلك، وتمثيلاً : رجل في جمع من الناس وجاءه فقير، فحار بين خيارين، إما إعطاء الفقير الصدقة وإظهارها أمام الناس، أو حرمان الفقير منها، فلا ريب أن إعطاء الفقير الصدقة أخف الضررين، وإن فهمها الناس على غير وجهها، وهذا الأمر يتأكد في النفقات والصدقات خاصة .

قال العلامة ابن الجوزي رحمه الله : (وقد يلبس إبليس على الواعظ المحقق، فيقول له : مثلك لا يعظ، فيحمله على السكوت والانقطاع، وذلك من دسائس إبليس، لأنه يمنع فعل الخير، ويقول : إنك تلتذ بما تورده وتجد لذلك راحة، فربما دخل في قولك وطريق الوحدة أسلم، ومقصوده بذلك سد باب الخير، عن ثابت قال : كان الحسن في مجلس، فقيل للعلاء : تكلم، فقال، ثم ذكر الكلام ومؤنته وتبعته، قال ثابت : فأعجبني، قال : ثم تكلم الحسن فقال : يود الشيطان أنكم أخذتموها عنه فلم يأمر أحدًا بخير، ولم ينهه عن شر)[٤٠٩] .

---

(٤٠٨) سبق تخريجه .

(٤٠٩) (١٤١ / تلبيس إبليس) بتصرف.

وإما أن يكون النفل ليس له كبير فائدة إلا على صاحبه، نحو إسباغ وضوء أو صلاة تطوع أو أداء عمرة أو غير ذلك، فهذا أيضا لا يترك، لئلا يفتح بذلك بابًا للشيطان، يضيع به على المرء خير كثير، والأولى دفع الرياء ومجاهدته مرارًا وتكرارًا حتى يزول، قال الغزالي رحمه الله : (لا يستطيع أحد أن يقمع الرياء إلا بمجاهدة شديدة ومكابدة لقوة الشهوات) [٤١٠] .

وقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عمن كان له ورد مشروع من صلاة الضحى، أو قيام الليل، أو غير ذلك يصليه أو يدعه خشية الرياء:

فأجاب بما حاصله :

(من كان له ورد مشروع من صلاة الضحى، أو قيام الليـل، أو غير ذلك، فإنه يصليه حيث كان، ولا ينبغي له أن يدع ورده المشروع لأجل كونه بين الناس، إذا علم الله من قلبه أنه يفعله سرًّا لله مع اجتهاده في سلامته من الرياء، ومفسدات الإخلاص : ولهذا قال الفضيل بن عياض (ترك العمل لأجل الناس رياء، والعمل لأجل الناس شرك)، وفعله في مكانه الذي يكون فيه معيشته التي يستعين بها على عبادة الله خير له من أن يفعله حيث تتعطل

أما الأثر الوارد عن الحسن رحمه الله ، أنه قال : (لقد صحبت أقوامًا إن كان أحدهم لتعرض له الحكمة لو نطق بها نفعته ونفعت أصحابه فما يمنعه منها إلا مخافة الشهرة وإن كان أحدهم ليمر فيرى الأذى على الطريق فما يمنعه أن ينحيه إلا مخافة الشهرة) ، فهو ضعيف لا يثبت إليه : (٤٥ / الزهد لابن المبارك) (٣ / ٢٩٦ الإحياء) : الأثر إلى الحسن رحمه الله من هذا الوجه منقطع : فيه رجل مبهم .

(٤١٠) (٣ / ٣١٠ الإحياء) .

معيشته، ويشتغل قلبه بسبب ذلك، فإن الصلاة كلما كانت أجمع للقلب، وأبعد من الوسواس، كانت أكمل .

*** ومن نهى عن أمر مشروع بمجرد زعمه أن ذلك رياء، فنهيه مردود عليه من وجوه :**

أحدها : أن الأعمال المشروعة لا ينتهي عنها خوفاً من الرياء، بل يؤمر بها، وبالإخلاص فيها، ونحن إذا رأينا من يفعلها أقررناه، وإن جزمنا أنه يفعلها رياء، فالمنافقون الذين قال الله فيهم : ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللهَ إِلا قَلِيلاً﴾ [٤١١]، فهؤلاء كان النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون يقرونهم على ما يظهرونه من الدين، وإن كانوا مرائين، ولا ينهونهم عن الظاهر : لأن الفساد في ترك إظهار المشروع أعظم من الفساد في إظهاره رياء، كما أن فساد ترك إظهار الإيمان والصلوات أعظم من الفساد في إظهار ذلك رياءً : ولأن الإنكار إنما يقع على الفساد في إظهار ذلك رئاء الناس .

الثاني : لأن الإنكار إنما يقع على ما أنكرته الشريعة، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «**إِنِّي لَمْ أومَر أَنْ أنقِّب عن قُلُوب النَّاس، ولا أَنْ أَشُقَّ بُطُونهم**» [٤١٢]، وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : (من أظهر لنا شرًّا

---

(٤١١) (١٤٢ / النساء).

(٤١٢) صحيح : (٤٣٥١ / المغازي / البخاري) (١٠٦٤ / الزكاة / مسلم) كلاهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه يَقُولُ : بَعَثَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ إِلَى رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم مِنَ الْيَمَنِ بِذُهَيْبَةٍ فِي أَدِيمٍ مَقْرُوظٍ لَمْ تُحَصَّلْ مِنْ تُرَابِهَا ، قَالَ فَقَسَمَهَا بَيْنَ أَرْبَعَةِ نَفَرٍ بَيْنَ عُيَيْنَةَ بْنِ بَدْرٍ ، وَأَقْرَعَ بْنِ حَابِسٍ وَزَيْدِ الْخَيْلِ ، وَالرَّابِعُ إِمَّا عَلْقَمَةُ وَإِمَّا عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ كُنَّا نَحْنُ أَحَقَّ بِهَذَا مِنْ هَؤُلاَءِ ، قَالَ فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ=

أبغضناه عليه، وإن زعم أن سريرته صالحة) .

الثالث : أن تسويغ مثل هذا يفضي إلى أن أهل الشرك والفساد ينكرون على أهل الخير والدين إذا رأوا من يظهر أمرا مشروعا مسنونا، قالوا : هذا مراء، فيترك أهل الصدق والإخلاص إظهار الأمور المشروعة، حذراً من لمزهم وذمهم، فيتعطل الخير، ويبقى لأهل الشرك شوكة يظهرون الشر، ولا أحد ينكر عليهم، وهذا من أعظم المفاسد .

الرابع : أن مثل هذا من شعائر المنافقين، وهو يطعن على من يظهر الأعمال المشروعة، قال تعالى : ﴿الذينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لا يَجِدُونَ إلا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٤١٣)، فإن النبي صلى الله عليه وسلم لما حض على الإنفاق عام تبوك جاء بعض الصحابة بصرة كادت يده تعجز من حملها، فقالوا : هذا

صلى الله عليه وسلم فَقَالَ (أَلاَ تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ ، يَأْتِينِي خَبَرُ السَّمَاءِ صَبَاحا وَمَسَاءً) قَالَ : فَقَامَ رَجُلٌ غَائِرُ الْعَيْنَيْنِ ، مُشْرِفُ الْوَجْنَتَيْنِ ، نَاشِزُ الْجَبْهَةِ ، كَثُّ اللِّحْيَةِ ، مَحْلُوقُ الرَّأْسِ ، مُشَمَّرُ الإِزَارِ ، فَقَالَ يَا رَسُولَ الله ، اتَّقِ الله ، قَالَ (وَيْلَكَ أَوَلَسْتُ أَحَقَّ أَهْلِ الأَرْضِ أَنْ يَتَّقِيَ الله) قَالَ ثُمَّ وَلَّى الرَّجُلُ ، قَالَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ يَا رَسُولَ الله ، أَلاَ أَضْرِبُ عُنُقَهُ قال : (لاَ ، لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ يُصَلِّي) فَقَالَ خَالِدٌ : وَكَمْ مِنْ مُصَلٍّ يَقُولُ بِلِسَانِهِ مَا لَيْسَ فِي قَلْبِهِ ، قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم : (إِنِّي لَمْ أُومَرْ أَنْ أَنْقُبَ قُلُوبَ النَّاسِ، وَلاَ أَشُقَّ بُطُونَهُمْ) قَالَ ثُمَّ نَظَرَ إِلَيْهِ وَهْوَ مُقَفٍّ فَقَالَ (إِنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا قَوْمٌ يَتْلُونَ كِتَابَ الله رَطْبا ، لاَ يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ) ، وأظنه قَالَ (لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ ثَمُودَ) .

(٤١٣) (٧٩ / التوبة).

مراء، وجاء بعضهم بصاع، فقالوا : لقد كان غنيًّا عن صاع فلان، فلمزوا هذا وهذا، فأنزل الله ذلك [٤١٤]، وصار عبرة فيمن يلمز المؤمنين المطيعين لله ورسوله، والله أعلم) [٤١٥]. انتهى.

(٤١٤) صحيح : (٤٦٦٨ / البخاري) من حديث أبي مسعود رضي الله عنه .
(٤١٥) (٢٣ / ١٧٤ : ١٧٥ مجموع الفتاوى).

فصل في : الغلو والرياء

الخوف من الرياء، قد يكون بابًا من أبواب الغلو على نحو ما قدمنا : من ترك فرض أو نفل، وهو أمر زلت فيه أقدام العباد والزهاد، والغلو شرعًا مكروه مذموم لذا وجب التنبيه عليه في بابه، وكذا معرفة أسبابه .

وقد يظن البعض أن الغلو فيما يظن أنه من الرياء غير متصور، وهذا غير صحيح، فقد ورد في كفاية الأخبار : (وقال القاضي حسين يكره الاستياك في الفرض دون النفل خوفًا من الرياء) [٤١٦]، وقد ذهب أكثر أهل العلم وجمهورهم إلى أن الاستياك لا يكره مطلقًا .

وقرأت في مقال بعنوان (الاعتكاف فضائل وأحكام) ما حاصله (إذا نوى الاعتكاف لم يجب عليه إتمامه، وجاز له قطعه، ولا سيما إذا خشي على عمله الرياء)، قلت هذا صحيح إذا نوى المرء الاعتكاف لم يجب عليه إتمامه لسبب ما، لكن ترك الاعتكاف خوفًا من الرياء فحسب، لا شك أنه يفوت على المرء خيرًا عظيمًا، وهو غلو بيِّن لم يؤثر عن الصحابة رضي الله عنهم أو سلفنا الصالح رحمهم الله .

وقد ترك أناس الجمعة والجماعات بعدما بلغوا في العبادة مبلغهم، وما ذلك منهم إلا خوفًا من الرياء :

سئل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن رجل منقطع في بيته لا يخرج ولا يدخل، ويصلي في بيته ولا يشهد الجماعة، وإذا خرج إلى الجمعة يخرج مغطى الوجه، ثم إنه يخترع البكاء من غير سبب، وتجتمع عنده الرجال

---

(٤١٦) (٢١ / كفاية الأخيار).

والنساء، فهل يسلم له حاله، أو يجب الإنكار عليه ؟

فأجاب بما حاصله :

«هذه الطريقة طريقة بدعية، مخالفة للكتاب والسنة، ولما أجمع عليه المسلمون، والله تعالى إنما يُعبد بما شرع، لا يعبد بالبدع، قال الله تعالى : ﴿أَمْ لَهُم شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ الله﴾ (٤١٧)، فإن التعبد بترك الجمعة والجماعة، بحيث يرى أن تركهما أفضل من شهودهما مطلقا كفر، يجب أن يستتاب صاحبه منه، فإن تاب وإلا قتل، فإنه قد علم بالاضطرار من دين الإسلام أن الله عز وجل لا يعبد بترك الجمعة والجماعة، بل يعبد بفعلهما، ومن جعل الانقطاع من ذلك دينًا لم يكن على دين المسلمين، بل يكون من جنس الرهبان الذين يتخلون بالصوامع والديارات، وذلك لا يفيده، بل هو كافرٌ بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم، والله تعالى أمر الخلق أن يعبدوه وحده لا يشركون به شيئًا، ويعبدوه بما شرع وأمر أن لا يعبدوه بغير ذلك، قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (٤١٨)، وقال تعالى : ﴿لِيَبْلُوَكُم أَيُّكُم أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ (٤١٩).

فالسالك طريق الزهادة والعبادة إذا كان متبعا للشريعة في الظاهر، وقصد الرياء والسمعة، وتعظيم الناس له كان عمله باطلا لا يقبله الله، كما ثبت في الصحيح أن الله يقول : «**أَنَا أغنَى الشُّركاءِ عنِ الشركِ، مَن عَملَ عَملاً أشرَكَ فيهِ غَيْري فَأَنَا منهُ بريء، وهُو كلُّه للذِي أشرَكَ**»(٤٢٠) وفى الصحيح عن

---

(٤١٧) (٢١ / الشورى).

(٤١٨) (١١٠ / الكهف).

(٤١٩) (٢ / الملك).

(٤٢٠) سبق تخريجه .

النبي صلى الله عليه وسلم قال : «**مَن سمَّع سمَّع الله بِه، ومَن راءَى راءَى الله بِه**»[٤٢١].

وإن كان خالصا في نيته لكنه يتعبد بغير العبادات المشروعة : مثل الذي يصمت دائمًا، أو يقوم في الشمس، أو يتعرى من الثياب دائماً، ويلازم لبس الصوف، ونحوه أو يغطي وجهه، أو يمتنع من أكل الخبز، أو اللحم، أو شرب الماء ونحو ذلك، كانت هذه العبادات باطلة، ومردودة، كما ثبت في الصحيح عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «**مَن أحدَثَ في أمْرِنا هَذَا مَا لَيسَ مِنه فَهُو ردٌّ**»[٤٢٢] وفي رواية : «**مَن عَملَ عَملاً لَيس عَلَيه أمرُنا فَهُو ردٌّ**»[٤٢٣] وفي صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلا قائما في الشمس فقال : «**ما هذا؟**» قالوا : هذا أبو إسرائيل، نذر الصمت والقيام والبروز للشمس مع الصوم، فأمره النبي صلى الله عليه وسلم بالصوم وحده [٤٢٤] لأنه عبادة يحبها الله تعالى، وما عداه ليس بعبادة، وإن ظنها الظان تقربه إلى الله تعالى، وثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول في خطبته : «**إنَّ خيرَ الكَلام كَلامُ الله، وخيرَ الهدي محمدٌ صلى الله عليه وسلم، وشَرَّ الأمورِ محدَثاتُها، وكُلَّ**

---

(٤٢١) سبق تخريجه .

(٤٢٢) صحيح : (٢٦٩٧ / الصلح / البخاري) (١٧١٨ / الأقضية / مسلم) كلاهما من حديث عائشة رضي الله عنها .

(٤٢٣) صحيح : (١٧١٨ / الأقضية / مسلم) من حديث عائشة رضي الله عنها .

(٤٢٤) (٦٧٠٤ / الأيمان والنذور / البخاري) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، ونص الحديث : بَيْنَا النبي صلى الله عليه وسلم يَخْطُبُ إِذَا هُوَ بِرَجُلٍ قَائِمٍ فَسَأَلَ عَنْهُ فَقَالُوا أَبُو إِسْرَائِيلَ نَذَرَ أَنْ يَقُومَ وَلاَ يَقْعُدَ وَلاَ يَسْتَظِلَّ وَلاَ يَتَكَلَّمَ وَيَصُومَ ، فَقَالَ النبي صلى الله عليه وسلم (مُرْهُ فَلْيَتَكَلَّمْ وَلْيَسْتَظِلَّ وَلْيَقْعُدْ وَلْيُتِمَّ صَوْمَهُ) .

بدعَةٍ ضلاَلَةٌ»[٤٢٥]، وثبت عنه في الصحيح : أن قوماً من أصحابه قال أحدهم: أما أنا فأصوم ولا أفطر، وقال الآخر : أما أنا فأقوم ولا أنام، وقال الآخر : أما أنا فلا أتزوج النساء، وقال الأخر : وأنا لا آكل اللحم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : «**مَا بالُ رجالٍ يقولُ أحدهُم : كَيْتَ وكَيْتَ، لكني أَصُوم وأفطرُ، وأَنَام، وأتزَّوجُ النِّساءَ، وآكُلُ اللَّحمَ، فمَن رغِبَ عَن سُنَّتي فَليسَ منِّي**»[٤٢٦] وقال : «**لاَ رهبَانيَّةَ في الإِسْلاَم**»[٤٢٧] فكيف بمن يرغب عما هو من أعظم شعائر الإسلام، وهو الصلاة في الجمعة والجماعات .

وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنهم سألوه غير مرة عمن يصوم النهار، ويقوم الليل، ولا يشهد جمعة ولا جماعة، فقال : (هو في النار)، وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : «**لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ عَنْ**

---

(٤٢٥) صحيح : (٨٦٧ / الجمعة / مسلم) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما .

(٤٢٦) صحيح : (٥٠٦٣ / النكاح / البخاري) (١٤٠١ / النكاح / مسلم) كلاهما من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ، وزيادة (لا آكل اللحم) في حديث مسلم ، ونص الحديث : أَنَّ نَفَرا مِنْ أَصْحَابِ النبي صلى الله عليه وسلم سَأَلُوا أَزْوَاجَ النبي صلى الله عليه وسلم عَنْ عَمَلِهِ في السِّرِّ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لاَ أَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ لاَ آكُلُ اللَّحْمَ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ لاَ أَنَامُ عَلَى فِرَاشٍ ، فَحَمِدَ الله وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، فَقَالَ (مَا بَالُ أَقْوَامٍ قَالُوا كَذَا وَكَذَا لَكِنِّى أُصَلِّى وَأَنَامُ وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سنتي فَلَيْسَ مِنِّى) .

(٤٢٧) صححه الألباني (٣٩٤/ الصحيحة) : (٦ / ٢٢٦ أحمد في المسند) (٩ / ابن حبان) (٩ / ٣٨ الطبراني في الكبير) جميعهم من حديث عائشة رضي الله عنها ، ونص الحديث : دخلت امرأة عثمان بن مظعون أحسب اسمها خولة بنت حكيم على عائشة وهي باذة الهيئة ، فسألتها ما شأنك؟ فقالت زوجي يقوم الليل ويصوم النهار ، فدخل النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت عائشة ذلك له ، فلقي رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان فقال (يا عثمان إن الرهبانية لم تكتب علينا أفما لك فيَّ أسوة فوالله إني أخشاكم لله وأحفظكم لحدوده) .

وَدْعِهِمُ الْجُمُعَاتِ أَوْ لَيَخْتِمَنَّ الله عَلَى قُلُوبِهِمْ ثُمَّ لَيَكُونُنَّ مِنَ الغَافِلِينَ»[٤٢٨]
وقال : «مَن ترَكَ ثَلاثَ جُمع تَهاونا مِن غَير عُذر طَبَعَ الله عَلى قَلْبه» [٤٢٩]، وفي

---

(٤٢٨) صحيح : (٨٦٥ / الجمعة / مسلم) من حديث ابن عمر وأبي هريرة رضي الله عنهم ، ولم أقف عليه في (صحيح البخاري) .

(٤٢٩) حسنه الألباني (٧٢٧ / صحيح الترغيب) وحسنه الإمام الترمذي (٢ / ٣٧٤ السنن) وصححه الحاكم وقال (صحيح على شرط مسلم ولم يخرجه) (١ / ٤١٥ المستدرك) وصححه الحافظ (٧ / ٣١ الإصابة) : (١٠٥٢ / الصلاة / أبو داود) (٥٠٠ / الجمعة / الترمذي) (١٣٦٩ / الجمعة / النسائي) (١١٢٥ / إقامة الصلاة والسنة فيها / ابن ماجه) (٣ / ٤٢٤ : ٤٢٥ أحمد) (٢٧٨٦ / ابن حبان) (١٨٥٨ / ابن خزيمة في صحيحه) (٣ / ١٧٢ البيهقي في الكبرى) (١ / ٥١٩ النسائي في الكبرى) (٢٢ / ٣٦٥ الطبراني في الكبير) (١ / ٤٤٥ الدارمي) (٣ / ١٧٦ البيهقي في الكبرى) (١ / ٤٧٩ عبد الرزاق) (٢ / ٢٢٢ الآحاد والمثاني) (١ / ٨١ المنتقى) (١ / ٧٠ الشافعي في المسند) جميعهم من حديث أبي الجعد الضمري رضي الله عنه ، وزاد الطبراني : (متواليات) وهي غير محفوظة من حديث أبي الجعد رضي الله عنه .

وفي رواية : (فهو منافق) عند ابن حبان في صحيحه (٢٥٨) وابن خزيمة في صحيحه (١٨٥٧) كلاهما من حديث أبي الجعد الضمري رضي الله عنه .

والحديث من طريق محمد بن عمرو بن علقمة الليثي ، وهو صدوق له أوهام (١ / ٤٩٩ التقريب) .

وله عدة شواهد تقويه :

في سنن ابن ماجه (١١٢٦ / إقامة الصلاة والسنة فيها) وصحيح ابن خزيمة (١٨٥٦) ومسند أحمد (٣ / ٣٣٢) والمستدرك (١ / ٤٣٠) وسنن النسائي الكبرى (١ / ٥١٦) وسنن البيهقي الكبرى (٣ / ٢٤٧) والمعجم الأوسط للطبراني (١ / ٩١) جميعهم من حديث عبد الله بن أبي قتادة عن جابر رضي الله عنهما ، وبزيادة : (من غير ضرورة) وهذه الزيادة محفوظة من هذا الطريق ، وفي رواية البيهقي : (متواليات من غير ضرورة) ، وفي رواية أحمد والطبراني : (من غير عذر) ، قال البوصيري في زوائد ابن ماجه (إسناده صحيح ، ورجاله ثقات) ، وفي سند الحديث أسيد بن أبي أسيد البراد وهو صدوق (١ / ١١١ التقريب) .

وفي مسند أحمد (٥ / ٣٠٠) والمستدرك (٢ / ٥٣١) كلاهما من حديث أبي قتادة رضي الله عنه ، وهو غير محفوظ ، وإنما المحفوظ رواية الجماعة المتقدمة من طريق أسيد عن عبد الله عن جابر ، وليس عن أبيه رضي الله عنهما ، ويحتمل أن يكون عبد الله سمعه مرة عن أبيه ومرة عن جابر رضي الله عنهما ، إلا أن القول الأول أصح ، لمخالفة الجماعة .

وفي الموطأ (١ / ١١٢) مرسلاً من حديث مالك رحمه الله قال : (لا أدري أعن النبي صلى الله عليه وسلم أم لا) .

وفي سنن ابن ماجه (١١٢٧ / إقامة الصلاة والسنة فيها) وصحيح ابن خزيمة (١٨٥٩) والمستدرك (١ / ٤٣١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (ألا هل عسى أحدكم أن يتخذ الصبة من الغنم على رأس ميل أو ميلين فيتعذر عليه الكلأ على رأس ميل أو ميلين فيرتفع حتى تجيء الجمعة فلا يشهدها حتى يطبع على قلبه) ، قال البوصيري في زوائد ابن ماجة (إسناده ضعيف) ، وحسنه الألباني وقال : (حسن لغيره) وقال أيضا : (رواه أبو يعلى بإسناد لين ، وروى ابن ماجه عنه بإسناد جيد مرفوعًا) (٧٣٢ / صحيح الترغيب) ، وفي سنده معدي بن سليمان ، وهو ضعيف (١ / ٥٤٠ التقريب) .

وفي المعجم الأوسط للطبراني (١ / ١٠٨) باللفظ السابق عن ابن عمر رضي الله عنهما ، وفي سنده أحمد بن رشدين ، ضعيف اتهمه غير واحد بالكذب (١ / ٢٥٧ لسان الميزان) .

وفي المعجم الكبير للطبراني (١ / ١٧٠) من حديث أسامة رضي الله عنه ، وفي سنده محمد بن مسلم الطائفي ، الذي يروي له الطبراني ، وهو صدوق (١ / ٥٠٦ التقريب) وقال الحافظ (فيه لين) (٤ / ٣٦٣ فتح الباري) .

وفي مصنف عبد الرزاق (١ / ٤٨٠) بذات اللفظ مرسلاً من حديث محمد بن عباد بن جعفر ، وقد اختلف في صحبته ، والراجح أنه تابعي (٤ / ٣٨٢ الإصابة) ، والحديث من طريق ابن جريج وهو ثقة فاضل كان يرسل ويدلس (١ / ٣٨٩ التقريب) ولم يصرح بالتحديث .

وفي مسند الطيالسي (١ / ٣١٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ : (من ترك ثلاث جمع متواليات من غير عذر طبع الله على قلبه) ، وفي سنده سهيل بن أبي صالح وهو صدوق تغير حفظه بآخره ، روى له البخاري مقرونا وتعليقا (١ / ٢٥٩ التقريب).

وفي مسند ابن راهويه (١ / ٤١٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وفي سنده انقطاع من طريق الزهري رحمه الله عمن سمع أبا هريرة رضي الله عنه .

الصحيح والسنن : أن أعمى قال : يا رسول الله، إن لي قائدًا لا يلائمني، فهل تجد لي رخصة أن أصلي في بيتي؟ قال : «هَل تَسمعُ النِّداء؟» قال : نعم، قال : «فَأجِب»[٤٣٠] .

والجمعة فريضة باتفاق الأئمة، والجماعة واجبة أيضا، عند كثير من العلماء، بل عند أكثر السلف، ولا نزاع بين العلماء أن صلاة الرجل في الجماعة تزيد على صلاته وحده خمسةً وعشرين ضعفًا ، كما ثبت ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم، ولا نزاع بينهم أن من جعل صلاته وحده أفضل من صلاته في جماعة فإنه ضال مبتدع، مخالف لدين المسلمين .

وهذه البدع يذم أصحابها، ويعرف أن الله لا يتقبلها، وإن كان قصدهم بها العبادة، كما أنه لا يقبل عبادة الرهبان، ونحوهم ممن يجتهدون في الزهد والعبادة لأنهم لم يعبدوه بما شرع، بل ببدعة ابتدعوها، كما قال : ﴿ورهبانية

وفي مسند أبي يعلى (٥ / ١٠٣) ومصنف ابن أبي شيبة (٣ / ١٦٦) موقوفا على ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ : (من ترك ثلاث جمع متواليات فقد نبذ الإسلام وراء ظهره) صححه الألباني وقال (صحيح) وقال أيضا (رواه أبو يعلى موقوفا بإسناد صحيح) (٧٣٣ / صحيح الترغيب) ، وذكر ابن أبي شيبة (أربع) بدلا من (ثلاث) وهي رواية شاذة منفردة عند ابن أبي شيبة من هذا الطريق .

وعند أبي يعلى أيضا (١٣ / ١١٠) من حديث محمد بن عبد الرحمن قال سمعت عمي يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (من سمع النداء يوم الجمعة فلم يأت أو لم يجب ثم سمع النداء فلم يأت أو لم يجب ثم سمع النداء فلم يأت أو لم يجب طبع الله عز وجل على قلبه فجعل قلب منافق) ، وعم محمد بن عبد الرحمن هو يحيى بن أسعد أبو أمامة بن زرارة ، مختلف في صحبته (١١ / ١٥٧ التهذيب) (٦ / ٦٤٤ الإصابة) .

وفي مسند الشافعي (١ / ٧٠) موقوفا على عمرو بن أمية رضي الله عنه بلفظ : (لا يترك رجل مسلم الجمعة ثلاثا تهاونا بها لا يشهدها إلا كتب من الغافلين) .

(٤٣٠) صحيح : (٦٥٣ / المساجد / مسلم) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

ابتدعوها﴾[٤٣١]، فإن المتعبد بهذه البدع قصده أن يعظم ويزار، وهذا عمله ليس خالصًا لله، ولا صوابا على السنة، بل هو كما يقال : زغل وناقص، بمنزلة لحم خنزير ميت حرام من وجهين .

والواجب على كل مسلم التزام عبادة الله وحده لا شريك له وطاعة رسوله، والأمر بذلك لكل أحد، والنهي عن ضد ذلك لكل أحد، والإنكار على من يخرج عن ذلك، ولو طار في الهواء، ومشى على الماء وليس تحت أديم السماء أحد يقر على خلاف ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم، بل إن كان مقرًّا بالإسلام ألزمه بطاعة الرسول، واتباع سنته الواجبة، وشريعته الهادية، وإن كان غير مقر بالإسلام كان كافراً، ولو كان له من الزهد والرهبان ماذا عسى أن يكون .

فالمقصود أن يكون الدين كله لله، ولا دين إلا ما شرعه الله تعالى على ألسن رسله، وفي الصحيحين : أن النبي صلى الله عليه و سلم قيل له : يا رسول الله، الرجل يقاتل شجاعة، ويقاتل حمية ويقاتل رياء، فأي ذلك في سبيل الله، فقال : «**مَن قاتَل لتكونَ كلمةَ الله هي العُليا، فهوَ في سَبيلِ الله**»[٤٣٢]، فيكون المقصود علو كلمة الله، وظهور دين الله، وأن يعلم المسلمون كلهم إن ما عليه المبتدعون المراءون ليس من الدين، ولا من فعل عباد الله الصالحين، بل من فعل أهل الجهل والضلال والإشراك بالله تعالى، الذين يخرجون عن توحيده، وإخلاص الدين له، وعن طاعة رسله، وأصل الإسلام : أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، فمن طلب بعباداته الرياء والسمعة، فلم يحقق شهادة أن لا إله إلا الله، ومن خرج عما أمره به الرسول من الشريعة

---

(٤٣١) (٢٧ / الحديد).
(٤٣٢) سبق تخريجه .

وتعبد بالبدعة فلم يحقق شهادة أن محمدا رسول الله .

وإنما يحقق هذين (الأصلين) من لم يعبد إلا الله، ولم يخرج عن شريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي بلغها عن الله، فإنه قال : «**تركتُكم علَى البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك**»[٤٣٣] وقال : «**ما تركت من شيء يقربكم إلى الجنة إلا قد حدَّثتُكم به، ولا من شيء يبعدُكم عن النَّار إلا وقد حدثتُكم به**»[٤٣٤] وقال ابن مسعود رضي الله عنه : خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا، وخط خطوطا عن يمينه، وشماله ثم قال : «**هذا سبيلُ الله، وهذه سبلٌ على كل سبيل منها شيطانٌ يدعو إليه**» [٤٣٥]ثم قرأ : ﴿وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾ [٤٣٦].

---

(٤٣٣) صححه الألباني (٩٣٧ / الصحيحة) ، والحاكم (١ / ١٨٦ المستدرك) ، (٤٣ / المقدمة / ابن ماجه) (٤ / ١٢٦ أحمد) (١٨ / ٢٤٧ الطبراني في الكبير) (٣ / ١٧٢ الشاميين) جميعهم من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه .

(٤٣٤) صححه الألباني (٢٨٦٦ / الصحيحة) ، والحاكم (٢ / ٥ المستدرك) ، (٧ / ٧٩ ابن أبي شيبة) كلاهما من حديث ابن مسعود رضي الله عنه ، وفي مسند الشافعي (١ / ٢٣٣) من حديث المطلب بن عبد الله بن المطلب بن حنطب مرسلا .

(٤٣٥) حسنه الألباني (١٦٦ / المشكاة) وصححه الحاكم وقال (صحيح الإسناد ولم يخرجاه) (٢ / ٢٦١ المستدرك) ، (٦ / ابن حبان في صحيحه) (١ / ٤٣٥ أحمد في المسند) (٦ / ٣٤٣ النسائي في الكبرى) (١ / ٧٩ الدارمي) (١ / ٣٣ الطيالسي) جميعهم من حديث ابن مسعود رضي الله عنه ، وفي سنده عاصم بن أبي النجود (ابن بهدلة) وهو صدوق له أوهام ، وحديثه في الصحيحين مقرون (١ / ٢٨٥ التقريب) .
وفي سنن ابن ماجة (١١ / المقدمة) ومسند أحمد (٣ / ٣٩٧) ومسند عبد بن حميد (١ / ٣٤٦) جميعهم من حديث جابر رضي الله عنه ، وفي سنده أبو خالد الأحمر واسمه سليمان ابن حيان الأزدي وهو صدوق يخطيء (١ / ٢٥٠ التقريب) ، وفيه أيضًا مجالد بن سعيد وهو ضعيف (١٠ / ٣٦ التهذيب) .

(٤٣٦) (١٥٣ / الأنعام)

فالعبادات والزهادات والمقالات والتورعات الخارجة عن سبيل الله - وهو الصراط المستقيم الذي أمرنا الله أن نسأله هدايته هو ما دل عليه السنة - هي سبل الشيطان، ولو كان لأحدهم من الخوارق ما كان، فليس أحدهم بأعظم من مقدمهم الدجال الذي يقول للسماء : أمطري فتمطر، وللأرض انبتي فتنبت، وللخربة أظهري كنوزك فتخرج معه كنوز الذهب والفضة، وهو مع هذا عدو الله، كافر بالله .

وأولياء الله هم المذكورون في قوله تعالى : ﴿ أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ الله لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ۞ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾[٤٣٧]، فهم المؤمنون المتقون، والتقوى فعل ما أمر الله به، وترك ما نهى الله عنه، فمن ترك ما أمر الله، واتخذ عبادة نهى الله عنها، كيف يكون من هؤلاء؟ [٤٣٨] . انتهى

فرحم الله شيخ الإسلام، وطيب ثراه .

ولا ريب أن الغلو في هذا الباب باب الرياء، على نحو ما ذكر شيخ الإسلام يمنع الإنسان من خير كثير، ويُفوت عليه وعلى الناس نفع عظيم، فعليه تضيع شعائر وصلوات، وعلى غيره تفوت مواعظ وصدقات، وهو مدخل للشيطان ليلبس على المرء أمر دينه، ويجعله في شك في عبادته دومًا فيشعر بالمشقة والتعب في عبادة الله عز وجل، وقد يئول به الأمر إلى النكوص على عقبيه أو القنوط من رحمة الله تعالى .

---

(٤٣٧) (٦٢ : ٦٣ / يونس)

(٤٣٨) (١١ / ٦١٢ : ٦١٩ مجموع الفتاوى) بتصرف .

وأما ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه حج على رحل رث وقطيفة تساوي أربعة دراهم ثم قال: «**اللهمَّ حجةً لاَ رياءَ فيهَا ولاَ سُمعةَ**»[٤٣٩]، فهو لا يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم، هذا من ناحية.

---

(٤٣٩) ضعيف بهذا اللفظ، وزيادة (لا رياء فيها ولا سمعة)، (٢٨٩٠ / المناسك / ابن ماجة) (٣ / ٤٤٢ ابن أبي شيبة) (٤١٩ / الزهد) (٢٧٥ / الشمائل المحمدية) من حديث أنس رضي الله عنه: في سنده يزيد بن أبان، وهو ضعيف (٢ / ٢٧٧ التقريب).
وفي صحيح ابن خزيمة (٢٨٣٦) وسنن البيهقي الكبرى (٤ / ٣٣٢) من حديث بشر ابن قدامة الضبابي رضي الله عنه، قال العقيلي (إسناده ليس بالقائم)، وفي سنده سعيد بن بشير القرشي وشيخه عبد الله بن حكيم الكناني، وهما مجهولان (٣ / ٢٤ لسان الميزان)، وقد صححه الشيخ الألباني وقال (صحيح لغيره) (١١٢٢ / صحيح الترغيب).
وفضلا عن ضعف حديث (اللهم حجة لا رياء فيها ولا سمعة) سندًا، فإنه يتعارض مع ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضوان الله عليهم من أنهم لم يكونوا يتلفظون بالنية، والأخيرة محلها القلب باتفاق العلماء نقل ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في مجموع الفتاوى (١٨ / ٢٦٢ : ٢٦٤) وقال: (وقد تنازع الناس: هل يستحب التلفظ بالنية، فقالت طائفة من أصحاب أبي حنيفة والشافعي وأحمد: يستحب لكونه أبلغ، وقالت طائفة من أصحاب مالك وأحمد: لا يستحب ذلك بل التلفظ بها بدعة فإن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه لم يُنقل عن واحد منهم أنه تكلم بلفظ النية لا في صلاة ولا طهارة ولا صيام؛ لأنها تحصل مع العلم بالفعل ضرورة، فالتكلم بها نوع هوس وعبث وهذيان، والنية تكون في قلب الإنسان، فلذلك يقع كثير من الناس في أنواع الوسواس، واتفق العلماء على أنه لا يسوغ الجهر بالنية لا لإمام ولا لمأموم ولا منفرد ولا يستحب تكريرها، وإنما النزاع بينهم في التكلم بها سرًّا، هل يُكره أو يستحب؟) انتهى.
وكلام شيخ الإسلام رحمه الله مطرد عند جُل أهل العلم، ومن شاء فليراجع: (١ / ٢٠١ زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم رحمه الله) (١٦١، ١٦٥ تلبيس إبليس لابن الجوزي رحمه الله) (٦٢ / الاتباع لابن أبي العز الحنفي رحمه الله) (٣٦ : ٣٧ / جامع العلوم والحكم لابن رجب رحمه الله) (٢٩٥ : ٢٩٦ / الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع للسيوطي رحمه الله) (٧٣ : ٧٤ / إصلاح المساجد للعلامة جمال الدين القاسمي رحمه الله) (١٣ / مناسك الحج والعمرة للشيخ الألباني رحمه الله) وغيرهم كثير جدًّا.

ومن ناحية أخرى، فنستطيع أن نلخص أهم الأسباب الباعثة على الغلو في باب الرياء في ثلاثة أسباب :

أولاً : شغل النفس دومًا بالرياء :

وهذا أول الأسباب التي تولد الوسوسة في باب الرياء، كأن يقوم المرء إلى صلاته، فتحدثه نفسه بتقصير صلاته خوفًا من الرياء ثم إذا خرج إلى الناس في موعظة، تحدثه نفسه بالرجوع خوفًا من الرياء والسمعة، ثم إذا جاءه سائل ووضع يده في جيبه ليخرج صدقة، حدثته نفسه بالعدول خوفًا من الرياء، وهكذا إن استجاب لنفسه فوت عليها خيرًا كثيرًا، وضاع على الناس نفع عظيم .

فإشغال النفس بالرياء وأسبابه ووضعه نصب العينين دومًا يؤدي إلى الغلو في ما يظن أنه من الرياء وليس منه وقد أفردنا لهذا فصلاً مستقلاً فيما بعـد.

ثانيًا : إكثار السؤال عنه، والخوض فيما يظن أنه من الرياء .

وأما قول النبي صلى الله عليه وسلم : (لَبَّيْكَ عُمْرَةً وَحَجًّا) ، فهو ثابت عند مسلم في صحيحه (١٢٣٢ / الحج) من حديث أنس رضي الله عنه .
وقد أجاب عنه الحافظ ابن رجب رحمه الله في جامع العلوم والحكم (٣٧) بما حاصله :
(وهذا ليس مما نحن فيه ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان يذكر نسكه في تلبيته ، وإنما كلامنا في أنه يقول عند إرادة عقد الإحرام : اللهم إني أريد الحج أو العمرة) ثم قال رحمه الله (وصح عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سمع رجلا عند إحرامه يقول : اللهم إني أريد الحج أو العمرة ، فقال له : أتعلم؟ الناس أو ليس الله يعلم ما في نفسك؟) والله تعالى أعلم .

ثالثًا : الإصغاء للضالين ومن شطحت بهم الأهواء، لابتعادهم عن منهج النبي صلى الله عليه وسلم وسنته :

فالإصغاء للمقولات التي يرددها أمثال هؤلاء يجب التفطن لها، وإخضاعها لنصوص القرآن والسنة، إذ كيف يستقيم على سبيل المثال قول المتصوفة (إذا عبدت الله خوفًا من ناره فأنت مشرك) مع قول الله عز وجل ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾(٤٤٠) ؟ وكيف يستقيم الدعاء الذي ينسب إلى رابعة العدوية رحمها الله (اللهم إذا كنت أعبدك طمعًا في جنتك فاحرمني منها، وإذا كنت أعبدك خوفًا من نارك فأحرقني فيها، وإذا كنت أعبدك حبًّا في وجهك فلا تحرمني رؤيته) مع ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ لله مَلاَئِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ، يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْماً يَذْكُرُونَ الله تَنَادَوْا هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ، قَالَ فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، قَالَ فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ مَا يَقُولُ عبادي؟ قَالُ يَقُولُونَ يُسَبِّحُونَكَ، وَيُكَبِّرُونَكَ، وَيَحْمَدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ، قَالَ فَيَقُولُ هَلْ رأوني؟ قَالَ فَيَقُولُونَ لاَ وَالله مَا رَأَوْكَ، قَالَ فَيَقُولُ وَكَيْفَ لَوْ رأوني؟ قَالَ يَقُولُونَ لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً، وَأَشَدَّ لَكَ تَمْجِيدا، وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحا، قَالَ يَقُولُ فَمَا يسألوني؟ قَالَ يَسْأَلُونَكَ الجَنَّةَ، قَالَ يَقُولُ وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ يَقُولُونَ لاَ وَالله يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا، قَالَ يَقُولُ فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا؟ قَالَ يَقُولُونَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصاً، وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبا، وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً، قَالَ فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ؟ قَالَ

---

(٤٤٠) (٩٠ / الأنبياء).

يَقُولُونَ مِنَ النَّارِ، قَالَ يَقُولُ وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ يَقُولُونَ لاَ وَالله مَا رَأَوْهَا، قَالَ يَقُولُ فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟ قَالَ يَقُولُونَ لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَاراً، وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً، قَالَ فَيَقُولُ فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ، قَالَ يَقُولُ مَلَكٌ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ فِيهِمْ فُلاَنٌ لَيْسَ مِنْهُمْ إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ، قَالَ هُمُ الْجُلَسَاءُ لاَ يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ»[٤٤١] .

فهذه المقولات تورث لدى المرء إحباطًا وفتورًا عن أداء العبادة على وجهها الأكمل، لأن النفس طواقة وقد جبلت على العمل والامتناع بحسب الجزاء، آية ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه المشار إليه .

---

(٤٤١) صحيح : (٦٤٠٨ / الدعوات / البخاري) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

فصل في : مباحث ليست من الرياء

ما دمنا قد تطرقنا للغلو في الرياء، فإن لزامًا علينا أن نورد بعض المباحث التي قد يظن البعض أنها تدخل ضمن أبواب الرياء، ونذكر أقوال العلماء فيها، ونعقبها بفصل في بعض الأبواب مظنة الرياء وليست منه، والله المستعان :

(١) إظهار الشعيرة لحث الناس عليها وتعليمهم إياها :

الذين يظهرون صدقاتهم على قسمين :

(الأول) يظهر إنفاقه رغبة في الشهرة، وحب الثناء من الناس، أو إظهارًا لفضله عليهم لينال المنزلة في قلوبهم فيعظموه ويوقروه، فلا خلاف أنه مراءٍ وإنفاقه هباء منثورا، قال الله عز وجل: ﴿كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا﴾[٤٤٢]، ﴿وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلا بِاليَوْمِ الآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينا فَسَاءَ قَرِينا﴾[٤٤٣] .

(والثاني) يظهر صدقته لحث الناس على فعله، فهذا مأجور على فعله وفعل من امتثل بفعله، فعَن جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ الله رضي الله عنه قَالَ : جَاءَ نَاسٌ مِنَ الأَعْرَابِ إِلَى رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم عَلَيْهِمُ الصُّوفُ فَرَأَى سُوءَ حَالِهِمْ قَدْ أَصَابَتْهُمْ حَاجَةٌ فَحَثَّ النَّاسَ عَلَى الصَّدَقَةِ فَأَبْطَئُوا عَنْهُ حَتَّى رُئِيَ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ إِنَّ رَجُلاً مِنَ الأَنْصَارِ جَاءَ بِصُرَّةٍ مِنْ وَرِقٍ ثُمَّ جَاءَ آخَرُ ثُمَّ تَتَابَعُوا حَتَّى عُرِفَ السُّرُورُ فِي وَجْهِهِ، فَقَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم : «مَنْ سَنَّ

---

(٤٤٢) (٢٦٤/ البقرة).
(٤٤٣) (٣٨/ النساء).

فِي الإِسْلاَمِ سُنَّةً حَسَنَةً فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا وَلاَ يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ وَمَنْ سَنَّ فِي الإِسْلاَمِ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كُتِبَ عَلَيْهِ مِثْلُ وِزْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا وَلاَ يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ»[٤٤٤] .

وقال أبو حاتم رحمه الله - تعليقًا على حديث أجر السر وأجر العلانية : (إن الرجل يعمل العمل فإذا اطُّلع عليه سرَّه، معناه أنه يسره أن الله وفقه لذلك العمل، فعسى يستن به فيه فإذا كان كذلك كتب له أجران)[٤٤٥]، وقال ابن عبد السلام رحمه الله : (يستثنى من استحباب إخفاء العمل : من يظهره ليقتدى به، أو لينتفع به ككتابة العلم)[٤٤٦] .

وأما ما سبق أن ذكرناه عن العلامة ابن الجوزي رحمه الله، من أنه قال في كتابه «تلبيس إبليس» : (وقد يدخل إبليس على هؤلاء - أي العلماء والزهاد والعُباد - بشبهة ظريفة فيقول : طلبكم للرفعة ليس بتكبر لأنكم نواب الشرع، فإنكم تطلبون إعزاز الدين ودحض أهل البدع، وإطلاقهم اللسان، وما تظنونه رياءً فليس برياء لأن من تخاشع منكم تباكى، اقتدى به الناس، كما يقتدون بالطبيب إذا احتمى، أكثر من اقتدائهم بقوله إذا وصف)، وقد أعقبه

(٤٤٤) صحيح : (١٠١٧ / العلم / مسلم) من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه .

(٤٤٥) (٢ / ٩٩ صحيح ابن حبان) ، وقد وهم العلامة ابن مفلح رحمه الله ، وقال إن هذا من كلام ابن حبان رحمه الله ، وهو غير صحيح ، وإنما عزاه الأخير في صحيحه إلى أبي حاتم رحمه الله .
ونص الحديث المشار إليه : عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قلت يا رسول الله بينا أنا في بيتي في مصلاي إذ دخل علي رجل فأعجبني الحال التي رآني عليها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (رحمك الله يا أبا هريرة لك أجران أجر السر وأجر العلانية) ، والحديث ضعيف على الراجح ، وسيأتي تخريجه والرد على معناه ، في فصل : إذا سر الإنسان بطاعته هل يعد مرائيًا ؟

(٤٤٦) (١١ / ٣٤٥ فتح الباري) .

رحمه الله بقوله : (وأما الرياء فلا عذر فيه لأحد، ولا يصلح أن يجعل طريقًا لدعاية الناس) [٤٤٧]، فإن هـذا محله إذا قصد المرء بعمله حمد الناس والحصول على جميل ثنائهم، وزعم أن ذلك طريقٌ لحث الناس على أبواب الخير، فجعل النية الأولى أغلب على الثانية، وهذا يتضح من قوله : (وأما الرياء فلا عذر فيه لأحد) .

وإلا فإن الأدلة كثيرة جدًّا على جواز إتيان الشعيرة على مسمع ومرأى من الناس لتعليمهم إياها، بل واستحبـاب ذلك، ومنهـا حـديث جـرير رضي الله عنه المتقدم، وقول النبي صلى الله عليه وسلم : «**مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ**» [٤٤٨]، ومنها أيضًا أثر أَبِي قِلاَبَةَ رحمه الله قَالَ : (جَاءَنَا مَالِكُ بْنُ الحُوَيْرِثِ فِي مَسْجِدِنَا هَذَا فَقَالَ إِنِّي لأُصَلِّي بِكُمْ، وَمَا أُرِيدُ الصَّلاَةَ، أُصَلِّي كَيْفَ رَأَيْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يُصَلِّي) [٤٤٩] .

(٢) مجرد إظهار العبادة لا يعد رياءً :

مجرد إظهار العبادة لا يعد رياءً، فالصلاة في جماعة مثلاً عمل ظاهر، ومع ذلك فالغالب أن التزام المرء بها لا يعد رياءً، كذا الحج والصيام، وهذا الأمر يتأكد في الفروض خاصة : قال الإمام القرطبي رحمه الله (ولا يكون الرجل مرائيًا بإظهار العمل الصالح إن كان فريضة، فمن حق الفرائض الإعلان بها وإشهارها لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «**ولا غمة في فرائض الله**» [٤٥٠]، لأنها أعلام الإسلام وشعائر الدين، ولأن تاركها يستحق الذم والمقت فوجب

---

(٤٤٧) (١٤٦ / تلبيس إبليس).

(٤٤٨) صحيح : (١٨٩٣ / الإمارة / مسلم) من حديث أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه .

(٤٤٩) صحيح : (٦٧٧ / الأذان / البخاري).

(٤٥٠) لا أصل له فيما علمت .

إماطة التهمة بالإظهار)[٤٥١].

وكذا فإن الأمر يتأكد في العبادات التي يلزمها الظهور: كالصيام[٤٥٢]، والصلاة في جماعة، وتقصير الثياب وإعفاء اللحى.

أما إظهار النوافل التي لا يلزم ظهورها كالصدقات، فإن قصد بإظهارها تشجيع الآخرين عليها، فحينئذ لا بأس بإظهارها، بل صاحبها مأجور على إظهاره إياها بهذه النية أو غيرها من النوايا الصالحة، وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم الصحابة رضي الله عنهم بالرَّمَل[٤٥٣] بِالبَيْتِ الحرام ثَلاَثَةَ أَطْوَافٍ، وما قصد صلى الله عليه وسلم رياءً أو مخيلة، وإنما قصد أن يرى المشركون قوة المسلمين لما قَالوا «إِنَّ مُحَمَّدا وَأَصْحَابَهُ لاَ يَسْتَطِيعُونَ أَن يَطُوفُوا بِالبَيْتِ مِنَ الهُزَالِ» فَأَمَرَهُمْ صلى الله عليه وسلم أَنْ يَرْمُلُوا ثَلاَثا وَيَمْشُوا أَرْبَعا[٤٥٤]، والصحابة رضي الله عنهم يوم الحديبية كادوا يقتتلون على وضوء النبي صلى الله عليه وسلم أمام عروة بن مسعود لما جاء يفاوض النبي صلى الله عليه وسلم، وهم ما أرادوا بذلك إلا إظهار حبهم له صلى الله عليه وسلم وإظهار عزته ومكانته صلى الله عليه وسلم بينهم باقتفائهم لأثره.

والنوافل في الجملة، الأدلة على فضل إسرارها:

وفي الباب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «**إنَّ الله يحب العبدَ التقيَّ**

---

(٤٥١) (٢٠ / ١٦٦ الجامع لأحكام القرآن).

(٤٥٢) وفي الباب حديث ضعيف: (ليس في الصوم رياء): (٣٥٢ / الزهد لابن المبارك) (١٠٣٧٥ / الجامع الصغير) مرسلاً من حديث ابن شهاب عن النبي صلى الله عليه وسلم، ضعفه الألباني (٤٣٨٥ / الضعيفة).

(٤٥٣) المشي السريع المتتابع.

(٤٥٤) صحيح: (١٢٦٤ / الحج / مسلم) (١٦٠٢ / الحج / البخاري) كلاهما من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

الغنيَّ الخفيَّ»[٤٥٥]، وقال أيضا صلى الله عليه وسلم: «**الجاهرُ بالقرآنِ كالجاهرِ بالصدقةِ والمسرُّ بالقرآن كالمسرِّ بالصدقةِ**»[٤٥٦]، قال الإمام الترمذي : ومعنى هذا الحديث أن الذي يسر بقراءة القرآن أفضل من الذي يجهر بقراءة القرآن

---

(٤٥٥) سبق تخريجه .

وفي الباب حديث ضعيف :

(إن الله يحب من عباده الأخفياء الأتقياء الذين إذا حضروا لم يعرفوا ، وإذا غابوا لم يفقدوا أولئك أئمة الهدى ومصابيح العلم) (٣٩٨٩ / الفتن / ابن ماجة) (٣ / ٣٠٤ المستدرك) (٧ / ١٤٥ الطبراني في الأوسط) (٢ / ٢٥٢ الشهاب) جميعهم من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، صححه الحاكم وقال (صحيح الإسناد ولم يخرجاه) ، وضعفه البوصيري في زوائد ابن ماجة ، وضعفه الألباني (١٨٥٠ / الضعيفة) وهو بسندين الأول من طريق عيسى بن عبد الرحمن وهو متروك ، والثاني من طريق أبي قلابة (عبد الله بن زيد الجرمي) وهو ثقة وكان كثير الإرسال (١ / ٣١٢ التقريب) ، وفيه أيضًا شاذ بن الفياض وهو صدوق له أوهام (١ / ٢٦٠ التقريب) .

(٤٥٦) صححه الألباني وقال (صحيح) (٣١٠٥ / صحيح الجامع) ، وصححه الحاكم وقال (صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه) ووافقه الذهبي (١ / ٧٤١ المستدرك) ، وحسنه الترمذي وقال (حسن غريب) (٥ / ١٨١ السنن) : (١٣٣٣ / الصلاة / أبو داود) (١٦٦٢ / قيام الليل وتطوع النهار / النسائي) (٢٩١٩ / فضائل القرآن / الترمذي) (٤ / ١٥١ أحمد في المسند) (٣ / ١٣ البيهقي في الكبرى) (٧٣٤ / ابن حبان في صحيحه) (١٧ / ٣٣٥ الطبراني في الكبير) (٣ / ١٦٠ الشاميين) (٣ / ٢٧٩ أبو يعلى) (١١١ / خلق أفعال العباد) جميعهم من حديث من عقبة بن عامر رضي الله عنه .

وفي المستدرك (١ / ٧٤١) من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه ، وهي رواية غير محفوظة من هذا الطريق .

وفي المعجم الكبير للطبراني (٨ / ١٧٩) ومسند الشاميين (٢ / ٤٣) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه .

وفي الباب حديث ضعيف :

(فضل صلاة الليل على صلاة النهار كفضل صدقة السر على صدقة العلانية) : (٩ / ٢٠٥ الطبراني في الكبير) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه ، ضعفه الألباني (٤٠١٠/ الضعيفة).

لأن صدقة السر أفضل عند أهل العلم من صدقة العلانية والمعنى عند أهل العلم لكي يأمن الرجل من العجب لأن الذي يسر العمل لا يخاف عليه العجب ما يخاف عليه من علانيته [٤٥٧] .

ومن السبعة الذين يظلهم الله بظله يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظله : «رَجُلٌ تَصَدَّقَ أَخْفَى حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ الله خَالِيا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ» [٤٥٨]، قال الإمام الصنعاني رحمه الله : (قوله حتى لا تعلم شماله مبالغة في الإخفاء وتبعيد الصدقة عن مظان الرياء)[٤٥٩] .

وعن علي رضي الله عنه قوله : (طوبى لعبد نومة [٤٦٠]، عرف الناس ولم يعرفه الناس وعرفه الله منه برضوان أولئك مصابيح الهدى تجلى عنهم كل فتنة مظلمة) [٤٦١]، وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه كان يقول : (كونوا جدد القلوب، خلقان الثياب، مصابيح الظلام، تخفون على الأرض، وتعرفون في أهل السماء)[٤٦٢] :

تواريت من دهري بظل جناحه فعيني ترى دهري وليس يراني
ولو تسأل الأيام ما اسمى وأين مكا ني لما درت وما عرفن مكاني

قال الإمام القرطبي رحمه الله : (وإن كان تطوعا فحقه أن يخفى، لأنه لا يلام بتركه ولا تهمة فيه، فإن أظهره قاصدًا الاقتداء به كان جميلاً، وإنما الرياء

---

(٤٥٧) (٥ / ١٨١ سنن الترمذي).
(٤٥٨) سبق تخريجه .
(٤٥٩) (٢ / ١٤٠ سبل السلام) .
(٤٦٠) قيل : الخامل الذكر الذي لا يؤبه له ، وقيل : الغامض في الناس الذي لا يعرف الشر وأهله (٥ / ١٣١ النهاية) .
(٤٦١) (١٦٢ / الزهد للإمام أحمد) (٨ / ١٥٥ ابن أبي شيبة) (٢٥٩ / الدارمي).
(٤٦٢) سبق تخريجه .

أن يقصد بالإظهار أن تراه الأعين فتثني عليه بالصلاح)[٤٦٣] .

(٣) ترك العمل من أجل الناس هل يعد رياءً ؟

وهو على فرضين :

- ترك الأوامر :

قدمنا أنه لا يجوز بأي حال من الأحوال ترك الأوامر، وتارك الأمر من أجل الناس - خوفًا من الرياء - آثم بتركه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في ترك الجمعة والجماعة في هذا الباب : (فإنه قد علم بالاضطرار من دين الإسلام أن الله عز وجل لا يعبد بترك الجمعة والجماعة، بل يعبد بفعلهما، ومن جعل الانقطاع من ذلك دينا لم يكن على دين المسلمين، بل يكون من جنس الرهبان الذين يتخلون بالصوامع والديارات، وذلك لا يفيده)[٤٦٤] .

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله : (فتارك حقوق الله التي تجب عليه أسوأ حالاً عند الله ورسوله من مرتكب المعاصي، فإن ترك الأمر أعظم من ارتكاب النهي)[٤٦٥] .

أما ترك المرء الأوامر على وجه التعبد، فقد قال النبي صلى الله عليه

---

(٤٦٣) (٢٠ / ١٦٦ الجامع لأحكام القرآن).

(٤٦٤) (١١ / ٦١٣ مجموع الفتاوى) .

(٤٦٥) (٢ / ٤٢٩ إعلام الموقعين).

وفي باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حديث ضعيف :

(أوحى الله عز وجل إلى جبريل عليه السلام أن اقلب مدينة كذا وكذا على أهلها قال : فقال يارب إن فيها عبدًا لم يعصك طرفة عين قال : اقلبها عليه وعليهم فإن وجهه لم يتمعر في ساعة قط) سبق تخريجه .

وسلم : «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ**» [٤٦٦] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : (وهذه البدع يذم أصحابها، ويعرف أن الله لا يتقبلها، وإن كان قصدهم بها العبادة، كما أنه لا يقبل عبادة الرهبان، ونحوهم ممن يجتهدون في الزهد والعبادة لأنهم لم يعبدوه بما شرع، بل ببدعة ابتدعوها) [٤٦٧] .

ـ وترك النواهي :

مثال ذلك : ترك العبث في الصلاة كهندمة الثوب أو التطلع إلى جدران المسجد وأثاثه، فهذه النواهي يجب تركها وإن فهمها الناس على غير وجهها، والذي يأتيها لئلا يقال عنه : إنه مراءٍ بتركها - مع التحفظ على لفظ مرائي في هذا الفرض - آثم مستحق للعقوبة .

أما كون الترك سواء للأوامر أو النواهي : هل يعد رياء أم لا ؟

قال الفضيل بن عياض رحمه الله : (ترك العمل لأجل الناس رياء، والعمل لأجل الناس شرك) .

والظاهر والله أعلم، أنه ليس برياء، ذلك أن الرياء المذموم شرعا هو : العمل - في الدين - لأجل رؤية الناس، فلفظ الرياء مشتق من الرؤية، وترك العمل ليس فيه رؤية، وعلى ذلك فالقول بأن ترك العمل من أجل الناس رياء، غير صحيح .

وأما مسألة : ترك الرياء لأجل الرياء : فالظاهر أيضا والله أعلم، أنه لا يعد رياء، لأنه يفتقد ركن الرؤية التي هي لب الرياء وجوهره .

---

(٤٦٦) سبق تخريجه .

(٤٦٧) (١١ / ٦١٨ مجموع الفتاوى) .

إلا أن ترك الرياء لأجل الرياء مذموم، شأنه شأن أي معصية يتركها الإنسان من أجل الناس، وليس وقوفًا على ما أمر الله تعالى به، ولا انتهاء عما حرمه عز وجل .

قال أبو بكر الرازي رحمه الله: سمعت أبا علي علي بن محمد الثقفي رحمه الله يقول : (ترك الرياء للرياء أقبح من الرياء)[٤٦٨] .

(٤) الرياء في عمل الدنيا :

الرياء كما يكون في الدين فإنه يكون في الدنيا والعمل لها والتنافس على متعها، فأما الأول فهو المحرم شرعًا وأما الثاني فغير محرم، قاله الغزالي في الإحياء، والهيتمي في الزواجر[٤٦٩] ، والشرط ألا يؤدي إلى مباشرة ما لا يجوز نحو إسراف أو مخيلة أو غيرهما .

ويكون بإظهار القوة واعتدال القامة وحسن الوجه والثياب ونظافة البدن وحفظ الأشعار والأبيات والتفاصح بالعبارات واللغات لنيل الوظائف وارتقاء المراتب، ومنه أيضا ارتداء الثياب النفيسة، وركوب المراكب الرفيعة والقصور والمساكن الفاخرة، بلا إسراف أو مخيلة .

ويجد ذلك سنده في الكتاب والسنة، فمن الكتاب قول الله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ القِيَامَةِ﴾[٤٧٠] ، وقول رسول الله صلى الله عليه

---

(٤٦٨) (١٥ / ٢٨٣ سير الأعلام).

(٤٦٩) (٣ / ٢٩٧ الإحياء للغزالي) (١ / ٤٥ الزواجر للهيتمي).

(٤٧٠) (٣٢/ الأعراف).

وسلم : «**كُلُوا وَاشْرَبُوا وَالبسُوا وَتَصَدَّقُوا، في غَيْرِ إِسْرَافٍ وَلاَ مَخِيلَةٍ**» [٤٧١]، وقوله صلى الله عليه وسلم : «**إنَّ اللهَ إذَا أنعمَ على عبدٍ نعمةً يحب أن يرى أثرَ نعمتِهِ علَى عبده**» [٤٧٢].

ويجب مراعاة قوله: «**في غَيْرِ إِسْرَافٍ وَلاَ مَخِيلَةٍ**»، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما : (كُلْ مَا شِئْتَ وَالبَسْ مَا شِئْتَ، مَا أَخْطَأَتْكَ اثْنَتَانِ سَرَفٌ أَوْ مَخِيلَةٌ) [٤٧٣].

وأساس التفرقة بين عمل الدين وعمل الدنيا أن الرياء في عمل الدنيا ليس فيه ما في الرياء بعمل الدين، أو عمل الدنيا الذي يراد به الدين، من تلبيس بالدين واستهزاء برب العالمين .

على أنه إذا أطلق لفظ الرياء، فالمقصود به الرياء المذموم شرعًا، ألا وهو الرياء بعمل الدين .

---

(٤٧١) سبق تخريجه .

(٤٧٢) صححه الألباني (١٢٩٠ / الصحيحة) ، والحاكم وقال (صحيح الإسناد ولم يخرجاه) (٤ / ١٥٠ المستدرك) ، وقال الإمام الترمذي (حسن) (٢٨١٩ / الأدب / السنن) : (٢/ ١٨٢ أحمد في المسند) جميعهم من حديث عمرو بن الشعيب عن أبيه عن جده.
وله شواهد: عند أحمد في المسند (٢ / ٣١١) والحاكم في المستدرك (٤ / ١٥٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا ، وفي مسند أبي يعلى (٢ / ٣٢٠) ومسند الشهاب (٢ / ١٤٤) من حديث أبي سعيد رضي الله عنه ، وفي سنن البيهقي الكبرى (٣/ ٢٧١) ومعجم الطبراني الكبير (١٨ / ١٣٥) من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه .

(٤٧٣) (باب : قول الله تعالى ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ الله التي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾ / اللباس / البخاري معلقا).

(٥) إذا سر الإنسان بطاعته : هل يعد مرائيًا ؟

إذا كان قصد المرء إخفاء العمل، والإخلاص لله عز وجل ولكنه لما اطلع الناس على عمله سُرّ لإظهار الله عز وجـل جميل عمله وحجبه عنهم قبيح فعله، فلا بأس فسروره للطف الله عز وجل به لا لثناء الناس عليه، قاله أبو عبيد(٤٧٤)، وابن جرير (٤٧٥) رحمهما الله، وأضاف أبو حاتم رحمه الله وجهًا آخر فقال : (إذا كان سروره لأن الله عز وجل وفقه لذلك العمل، فعسى أن يستن به فيه، فإذا كان كذلك كتب الله له أجرين)(٤٧٦)، وأضاف ابن الجوزي رحمه الله وجهًا آخر فقال : (إذا كان سروره استدلالا بـأن الله تعالى يفعل به هكذا في الآخرة كما فعل في الدنيا) (٤٧٧)، وأضاف الإمام النووي رحمه الله : (وهي دليل على رضاء الله تعالى عنه، ومحبته له، فيحببه إلى الخلق، ثم يوضع له القبول في الأرض، هذا كله إذا حمده الناس من غير تعرض منه لحمدهم، وإلا فالتعرض مذموم)(٤٧٨) .

وجماع ما تقدم يشمله معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم : «**تلك عاجل بشرى المؤمن**»(٤٧٩) عندما سئل صلـى الله عليه وسلم : أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير ويحمده الناس عليه .

---

(٤٧٤) (١ / ٣١٨ مسند الطيالسي) .

(٤٧٥) (٢٩٦ / تيسير العزيز الحميد) .

(٤٧٦) (٢ / ٩٩ صحيح ابن حبان) ، وقد وهم العلامة ابن مفلح رحمه الله ، وقال إن هذا من كلام ابن حبان رحمه الله ، وهو غير صحيح ، وإنما عزاه الأخير في صحيحه إلى أبي حاتم رحمه الله .

(٤٧٧) (١ / ١٠٦ : ١٠٧ الآداب الشرعية).

(٤٧٨) (٨ / ٤٣٩ صحيح مسلم بشرح النووي) بتصرف .

(٤٧٩) سبق تخريجه .

ومن الأدلة على أن ثناء الناس على المرء وعمله لا يضره : حديث أَنَس بْن مَالِكٍ رضى الله عنه قال : مُرَّ بجنـازة، فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا خَيْرا، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم : «وَجَبَتْ»، ثُمَّ مُرَّ بأخرى، فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا شَرًّا فَقَالَ : «وَجَبَتْ»، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ رضى الله عنه : مَا وَجَبَتْ؟ قَالَ : «هَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرا فَوَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ، وَهَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا فَوَجَبَتْ لَهُ النَّارُ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ الله فِي الأَرْضِ» [٤٨٠].

أما إذا كان فرحه لاطلاع الناس على عمله وارتفاع شأنه بينهم أو تعظيمهم إياه أو مدحه والثناء عليه أو قضائهم حوائجه فهذا مكروه مذموم وهو ضرب من الرياء، قاله العلامة ابن الجوزي وأبو حاتم رحمهما الله، وقال الإمام الترمذي رحمه الله: (هذا رياء) [٤٨١].

أما حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قلت: يا رسول الله بينا أنا في بيتي في مصلاي إذ دخل علي رجل فأعجبني الحال التي رآني عليها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «رَحِمكَ اللهُ يا أَبَا هُريرة لك أجرانِ أجرُ السرِّ وأجرُ العلانيةِ» [٤٨٢]، فمردود عليه من وجوه :

(٤٨٠) صحيح : (١٣٦٧ / الجنائز / البخاري) (٩٤٩ / الجنائز / مسلم) كلاهما من حديث أنس رضي الله عنه .

(٤٨١)(٤ / ٣٢٠ : ٣٢١ سنن الترمذي).

(٤٨٢) ضعفه الألباني (٤٣٤٤ / الضعيفة) ، وقال الإمام الترمذي (هذا حديث غريب) (٤ / ٣٢٠ السنن) ، وقال العلامة ابن مفلح (إسناده جيد) (١ / ١٠٩ الآداب الشرعية) (٢٣٨٤ / الترمذي) (٤٢٢٦/ الزهد/ ابن ماجة) (١ / ٣١٨ مسند الطيالسي) (٣٧٥/ ابن حبان في صحيحه) جميعهم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .
وفي رواية : عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قلت يا رسول الله بينا أنا في بيتي في مصلاي إذ دخل علي رجل فأعجبني الحال التي رآني عليها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (رحمك الله يا أبا هريرة لك أجران أجر السر وأجر العلانية) .

أولاً : ضعف الحديث (وقد بينا وجه الضعف عند تخريجه في الحاشية) .

ثانيًا : فسره بعض العلماء بأن معناه بأن يعجبه ثناء الناس عليه بالخير لقول النبي صلى الله عليه وسلم : «**أنتم شهداءُ الله في الأرضِ**» [٤٨٣]، فيعجبه ثناء الناس عليه لهذا لما يرجو بثناء الناس عليه، قال بذلك جملة من العلماء، منهم الإمام الصنعاني رحمه الله، فأما إذا أعجبه ليعلم الناس منه الخير ليكرم على ذلك ويعظم عليه فهذا رياء [٤٨٤] .

ثالثًا : وفسره بعض أهل العلم إذا اطلع عليه فأعجبه رجاء أن يعمل بعمله فيكون له مثل أجورهم، قاله الإمام الترمذي، وأبو حاتم، وابن عبدالسلام، وغيرهم من أهل العلم، وقد سبق إيراد أقوالهم، رحمهم الله .

بقي أمر نشير إليه : ألا وهو الحد الفاصل بين هذا الباب : باب سرور المرء بعمله (المشروع)، وباب العجب (المذموم)، قال ابن عقيل رحمه الله : (الإعجاب ليس بالفرح، والفرح لا يقدح في الطاعات، لأنها مسرة النفس بطاعة الرب عز وجل، ومثل ذلك لا يقدح ومثل ذلك مما سر العقلاء، وأبهج الفضلاء، وإنما الإعجاب استكثار ما يأتي به من طاعة الله عز وجل، ورؤية النفس بعين الافتخار) [٤٨٥] .

في سنده حبيب بن أبي ثابت وهو ثقة كثير الإرسال والتدليس ، ولم يصرح بالتحديث ، وقد روى الحديث عن أبي صالح مرة عن أبي هريرة (من طريق أبي سنان الشيباني) مرة مرسلاً (من طريق الأعمش عنه) ، والصواب فيه الإرسال ، وعلى هذا فالحديث ضعيف.

(٤٨٣) صحيح : (١٣٦٧ / الجنائز / البخاري) (٩٤٩ / الجنائز / مسلم) كلاهما من حديث أنس رضي الله عنه .

(٤٨٤) (٤ / ٣٢١ سنن الترمذي) (٤ / ١٨٧ سبل السلام).

(٤٨٥) (١ / ١٠٧ : ١٠٨ الآداب الشرعية) .

(٦) نفي التهمة عن النفس هل يعد رياء ؟

دفع ظن السوء مأثور عن النبي ﷺ، فهو ـ وهو من هو ـ حين اعتكف فَأَتَته أم المؤمنين صفية رضي الله عنها لَيْلاً تَزُورُهُ، فَمَرَّ رَجُلاَنِ مِنَ الأَنْصَارِ فَلَمَّا أبصراه أَسْرَعَا، قَالَ ﷺ لهما :«عَلَى رِسْلِكُمَا إِنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ» فَقَالاَ: سُبْحَانَ الله يَا رَسُولَ الله، قَالَ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ وإني خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَرًّا» [٤٨٦].

ونفي المعصية عن النفس لا يعد رياء لأن من التصقت به تهمة المعصية استحق الذم والمقت من الناس، فكـان من حقه ـ إن لم يكن قد ارتكبها ـ إماطة التهمة عن نفسه بالبوح بأنه لم يفعلها أو أنه لا يأتيها .

وقد قيل للأشعث بن قيس رحمه الله وقد صلى فخفف : إنك خففت، فقال: (إنه لم يخالطها رياء) [٤٨٧]، فخلُص من تنقصهم بنفي الرياء عن نفسه .

(٧) من نشط ببركة الجماعة :

ومثال ذلك : رجل أتى قيام رمضان، وهو كسلان وقد ثبط الشيطان من عزمه، فلما رأى قومًا صالحين جدوا في العبادة، ثارت همته، فنشط معهم في العبادة .

وهذا في الواقع كثير، ولقد سألت عنه أكثر من مرة أثناء كتابتي لهذا البحث : هل هذا مذموم ؟

وأقول والله أعلم: إن هذه الصورة لا تدخل ضمن أبواب الرياء، ذلك

---

(٤٨٦) صحيح : (٢١٧٥ / السلام / مسلم) (٣٢٨١ / بدء الخلق / البخاري) كلاهما من حديث صفية رضي الله عنها .

(٤٨٧)(٢٠ / ١٦٦ الجامع لأحكام القرآن).

أن الرياء المذموم هو العمل لأجل رؤية الناس، أي إن المرء لا يقصد بصلاته أو تحسينها أو صدقته وجه الله تعالى، إنما يقوم بهذا كي يحمده الناس على فعله ويقدروه ويثنوا عليه .

أما الفرض الذي نحن بصدده : فالمرء حين قدم على القوم الصالحين لم يكن عنده نية العبادة – على الوجه الذي قام به فيها بعد – لكنه لما رأى الناس حوله تصلي وتقرأ القرآن وتبكي وقد حفتهم الملائكة وتنزلت عليهم السكينة والرحمة، ثارت همته في العبادة، فدخلت النية ها هنا، فقام يصلي ويقرأ ويبكي.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من تشبه بقوم فهو منهم**» (٤٨٨)، وقال أيضا : «**ثلاثٌ هنَّ حقٌّ : لاَ يجعلُ اللهُ مَن له سهمٌ في الإسلامِ كَمنْ لاَ سهمَ لهُ، ولاَ يتولّى اللهُ عبدًا فيولّيهِ غيرَه، ولا يحبُّ رجلٌ قومًا إلا حُشر معهُم**» (٤٨٩).

وفي الصحيحين من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «**إِنَّ لله مَلاَئِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ، يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْماً يَذْكُرُونَ الله تَنَادَوْا هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ، قَالَ فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، قَالَ فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ وَهْوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ مَا يَقُولُ عِبَادِى؟ قَالُوا يَقُولُونَ يُسَبِّحُونَكَ، وَيُكَبِّرُونَكَ، وَيَحْمَدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ . قَالَ فَيَقُولُ هَلْ رَأَوْنِى؟ قَالَ فَيَقُولُونَ لاَ وَالله مَا رَأَوْكَ، قَالَ فَيَقُولُ وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِى؟ قَالَ يَقُولُونَ لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً، وَأَشَدَّ لَكَ تَمْجِيدا، وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحا، قَالَ يَقُولُ فَمَا يَسْأَلُونِى؟ قَالَ يَسْأَلُونَكَ الْجَنَّةَ، قَالَ يَقُولُ وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ يَقُولُونَ لاَ وَالله يَا**

---

(٤٨٨) سبق تخريجه .

(٤٨٩) سبق تخريجه .

رَبِّ مَا رَأَوْهَا، قَالَ يَقُولُ فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا؟ قَالَ يَقُولُونَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا، وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا، وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً، قَالَ فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ؟ قَالَ يَقُولُونَ مِنَ النَّارِ، قَالَ يَقُولُ وَهَلْ رَأَوْهَا قَالَ يَقُولُونَ لاَ وَاللهِ مَا رَأَوْهَا، قَالَ يَقُولُ فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟ قَالَ يَقُولُونَ لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا، وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً، قَالَ فَيَقُولُ فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّى قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ، قَالَ يَقُولُ مَلَكٌ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ فِيهِمْ فُلاَنٌ لَيْسَ مِنْهُمْ إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ، قَالَ هُمُ الْجُلَسَاءُ لاَ يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ» (٤٩٠) .

وعن الحسن البصري رحمه الله قال : (إذا رأيت الرجل ينافسك في الآخرة فنافسه فيها، وإذا رأيته ينافسك في الدنيا، فألقها في نحره) .

لكننا ننبه إلى أنه : إذا كان المرء قد نشط في العبادة لأجل رؤية الناس له وحمدهم إياه وتعريفهم بأنه أكثر منهم عبادة أو أنه لا يقل عنهم، وليس لمقصود وجه الله تعالى، فهذا محض رياء، صاحبه ملوم مذموم .

(٨) حكم من دخل عليه الرياء فدفعه :

الذي يدخل عليه الرياء فيدفعه : إما أن يلازم الرياء نيته قبل أن يبدأ في العمل ثم يطرده عقب شروعه في العمل، أو يعرض له الرياء بعد أن يشرع في العمل فيدفعه :

فالأول : من كانت نيته مراءاة الناس، ثم بعد أن شرع في أداء العمل من أجل رؤية الناس، يعرض له تغيير النية لله عز وجل، فالراجح أنه لا يحتسب له

---

(٤٩٠) صحيح : (٦٤٠٨ / الدعوات / البخاري) (٢٦٨٩ / الذكر والدعاء والتوبة / مسلم) كلاهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

ما مضى من عمله، ويحتسب له من حين تغيير نيته لله عز وجل، كمن أحرم لغير الله تعالى ثم غير نيته عند الوقوف بعرفة، اللهم إلا إذا كانت العبادة لا يصح آخرها إلا بصحة أولها وجبت الإعادة كالصلاة، قاله العلامة ابن القيم رحمه الله وآخرون [٤٩١].

والثاني : من عرض له الرياء بعد أن شرع في أداء عمل لله عز وجل فدفعه، فحكمه حكم من وسوس له الشيطان فاستعاذ بالله تعالى فدفع عنه الشيطان، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «**إِنَّ الله تَجَاوَزَ لأمتي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا مَا لَمْ يَتَكَلَّمُوا أَوْ يَعْمَلُوا بِهِ**»[٤٩٢]، والاستدلال بهذا الحديث في هذا الباب لا يسلم من مقال، إذ الرياء لا يخرج عن حديث النفس، وكما قال الصنعاني رحمه الله : (الكفر والرياء لا يخفى أنهما من أعمال القلب، فهما مخصوصان من الحديث)[٤٩٣]، بيدَ أن الأعمال القلبية المؤاخذة عليها رهين بالإصرار عليها واسترسال النفس معها وارتياح القلب لها، فأما إن دفعت ولم تسلم النفس إليها ولم يسكن القلب لها، فلا شك أنه حديث للنفس غير مجزوم بعقد نية وأن الله تعالى متجاوز عنه ما لم يصاحب بإصرار أو عقد نية أو سكون وتسليم .

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله : (وأما إن كان أصل العمل لله ثم طرأت عليه نية الرياء، فإن كان خاطرًا ودفعه فلا يضره بغير خلاف)[٤٩٤] .

---

(٤٩١) (٢/ ٤٣٣ إعلام الموقعين) .

(٤٩٢) سبق تخريجه .

(٤٩٣) (٣/ ١٧٦ سبل السلام).

(٤٩٤) (٣٠/ جامع العلوم والحكم) .

(٩) ورود الرياء بعد الفراغ من العبادة :

المتصور في هذا الفرض أن صاحب العمل قد قام به لوجه الله تعالى، لا رياء فيه، إلا أنه لم يلبث أن تحدث بعمله، وباهى به أمام الناس، وهذا طرأ على العمل بعد تمامه : وحقيقةً إن فعله هذا لا يعد رياءً بالمعنى الشرعي، وإن اندرج تحت أبواب أُخر، قد تلحق بالرياء كالسمعة، أو لا تلحق به كالعجب .

وعلى هذا فورود الرياء بعد الفراغ من العمل لا يحبطه، وإن أصيب صاحبه بسيئات، قد تطيح بثواب العبادة، فيخرج من ذلك لا له ولا عليه، والله أعلم .

قال العلامة ابن الجوزي رحمه الله : (لأنه قد تم على نعت من الإخلاص، فلا ينعطف ما طرأ عليه بعده لا سيما إذا لم يتكلف هو إظهاره، والتحدث به فأما إذا تحدث بعد فراغه وأظهره، فهذا مخوف)[٤٩٥] .

(١٠) لباس الشهرة :

كارتداء الملابس الملونة بألوان تجذب الأنظار، والمزخرفة بأشكال تلفت الانتباه، قال ابن الأثير رحمه الله : الشهرة ظهور الشيء، والمراد أن ثوبه يشتهر بين الناس، لمخالفة لونه لألوان ثيابهم، فيرفع الناس إليه أبصارهم، ويختال عليهم بالعجب والتكبر .

ومن تعريف ثوب الشهرة، تظهر العلة من ذمه، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : «**مَن لبس ثوبَ شهرةٍ ألبسهُ الله ثوبَ مذلةٍ يومَ القيامةِ**»[٤٩٦]،

---

(٤٩٥) (١ / ١٠٧ الآداب الشرعية)

(٤٩٦) حسنه الألباني وقال (حسن لغيره) وقال أيضا (رواه ابن ماجة بإسناد حسن) (٢٠٨٩/ صحيح الترغيب) (٣٦٠٦/ اللباس / ابن ماجة) (٢ / ٩٢ أحمد في المسند) (٥ / ٤٦٠ النسائي في الكبرى) (١٠/ ٦٣ أبو يعلى) (١ / ٣١٥ ابن الجعد) جميعهم من حديث=

وقال أيضًا: «مَن لبسَ ثوبَ شهرةٍ أعرضَ الله عنه حتَّى يضعَهُ متَّى وَضَعُه»[٤٩٧].

والعلة والله أعلم : أنه ذريعة للعجب والتكبر، وقد قدمنا أنهما من دوافع الرياء ومظاهره، لذا قرن البعض لباس الشهرة بالرياء، وسيأتي هذا .

وقد أورد الحافظ ابن حجر رحمه الله في (فتح الباري) عن ابن عباس

شريك عن عثمان بن المغيرة عن مهاجر الشامي عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا ، وشريك صدوق يخطئ كثيرًا (١ / ٢٦٦ التقريب) .

وعند أبي داود (٤٠٢٩ / اللباس) بلفظ (ثوبًا مثله) ، ولم أجده عند غيره .

وزاد أبو عوانة (ثم تلهب فيه النار) : عند ابن ماجة (٣٦٠٧/ اللباس) .

وأبو عوانة أثبت من شريك (١ / ٢٦٦) (٢ / ٣٠٢) التقريب ، إلا أنه قد يكون أبو عوانة سمع الحديث بالزيادة ، وشريك سمعه دونها ، وهو الراجح حيث أورد ابن أبي شيبة في مصنفه (٥ / ٢٠٥) متابعة لعثمان بن المغيرة من طريق ليث عن مهاجر عن ابن عمر رضي الله عنهما موقوفًا ، وفيها عنه الوجهان .

وفي الباب حديث ضعيف :

(من لبس ذا شهرة أو ركب ذا شهرة أعرض الله عنه وان كان له وليًّا) : (٢ / ٩٨٣ زوائد الهيثمي) من حديث أنس رضي الله عنه ولم أجده عند غيره ، وفي سنده عنبسة بن عبد الرحمن عن شبيب بن بشر ، والأول متروك رماه الحاكم بالوضع (١ / ٤٣٣ التقريب) ، والثاني صدوق يخطئ (١ / ٢٦١ التقريب) .

(٤٩٧) حسنه الألباني وقال (حسن لغيره) (١١٠ / جلباب المرأة المسلمة) ، وقال البوصيري في زوائد ابن ماجة (إسناده حسن) : (٣٦٠٨ / اللباس / ابن ماجة) من حديث أبي ذر رضي الله عنه .

وقد حكم الشيخ الألباني رحمه الله على الحديث في أول الأمر بالضعف (٤٦٥٠ / الضعيفة) (٧٢٧ / ضعيف ابن ماجة) (١٢٧٧ / ضعيف الترغيب) (٥٨٢٨ / ضعيف الجامع) ثم عدل عن ذلك إلى التحسين فقال : (حسن لغيره) (١١٠/جلباب المرأة المسلمة) (٤٦٥٠/ حاشية الضعيفة) .

وفي سند الحديث محرز الناجي واسمه وكيع بن محرز بن وكيع الناجي قال الحافظ : صدوق له أوهام ، وقال البخاري : عنده عجائب (١١ / ١١٥ التهذيب) .

رضي الله عنهما : أنه كان يكره لبس الأحمر مطلقًا لقصد الزينة والشهرة ويجوز في البيوت والمهنة، وكذا أورد قول ابن جرير رحمه الله : الذي أراه جواز لبس الثياب المصبغة بكل لون إلا أني لا أحب لبس ما كان مشبعًا بالحمرة ولا لبس الأحمر مطلقًا ظاهرًا فوق الثياب لكونه ليس من لباس أهل المروءة في زماننا فإن مراعاة زي الزمان من المروءة ما لم يكن إثمًا وفي مخالفة الزي ضرب من الشهرة [٤٩٨].

---

(٤٩٨) (١٠ / ٤٣٢ : ٤٣٣ فتح الباري)

وفي الباب من الضعيف :

(إن الشيطان يحب الحمرة فإياكم والحمرة وكل ثوب ذي شهرة) : (٧ / ٣٥٣ الطبراني في الأوسط) (١ / ٤٦٤ ابن الجعد) من حديث رافع بن يزيد الثقفي مرفوعًا ، ضعفه الألباني وقال (ضعيف جدًا) (١٧١٨ / الضعيفة) ، وضعفه الحافظ ابن حجر وقال (بالغ الجوزقاني فقال إنه باطل) (١٠ / ٤٣٢ : ٤٣٣ فتح الباري) ، وفي سند الحديث أبو بكر الهذلي ومخلد بن يزيد ، والأول متروك (١ / ٦٢٥ التقريب) ، والثاني صدوق له أوهام (١ / ٥٢٤ التقريب) .

عن عبد الله بن عمرو : مر رجل وعليه ثوبان أحمران فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فلم يرد النبي صلى الله عليه وسلم عليه : ضعفه الألباني (٤٣٥٣ / المشكاة) ، وأخرجه الحاكم وقال (صحيح الإسناد ولم يخرجاه) (٤ / ٢١١ المستدرك) ، وأبو داود (٤٠٦٩ / السنن) والطبراني في الأوسط (٢ / ٩٢) جميعهم من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ، وفي سنده أبو يحيى القتات مختلف فيه (١٠ / ٤٣٢ فتح الباري) .

وأخرجه الترمذي وقال (حسن غريب) (٢٨٠٧ / السنن) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ، وهو من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد ، وأهل العلم في روايته عنه بين القبول والرد ، والثاني أصوب والله أعلم قال الحافظ (أكثر عن مجاهد وكان يدلس عنه ، وصفه بذلك النسائي) (٣٩ / طبقات المدلسين) ، وقال يحيى بن سعيد (لم يسمع التفسير من مجاهد) وقال ابن حبان (نظير ابن جريج في كتاب القاسم بن أبي بزة عن مجاهد في التفسير ، رويا عن مجاهد من غير سماع) (٣ / ٢٨٤ التهذيب) وباستقراء روايات ابن أبي نجيح عن مجاهد ، يتبين أن ليس فيها تصريح بالتحديث واحدًا فيما علمت وقد سبق بيان هذا .

ويدخل في لباس الشهرة : ارتداء الصوف والملابس الخشنة مع القدرة على ما يعلوها، وارتداء ملابس العلماء والأمراء والقضاة والشرط، مع فقد صفتهم .

وقد رأى ابن عمر رضي الله عنهما على ابنه ثوبًا قبيحًا دونًا فقال : (لا تلبس هذا فإن هذا ثوب شهرة) [٤٩٩]، وعن ابن بريدة رحمه الله عن أبيه رضي الله عنه قال : (شهدت خيبر وكنت فيمن صعد الثلمة فقاتلت حتى رئي مكاني وعلي ثوب أحمر فما أعلم أني ركبت في الإسلام ذنبًا أعظم علي منه) [٥٠٠]، وقال إبراهيم بن أدهم رحمه الله : (ما صدق الله مَن أراد أن يشتهر) [٥٠١] .

وقال الماوردي رحمه الله : (وأما جنس الملبوس وقيمته فمعتبر من وجهين أحدهما : بالمكنة من اليسار والإعسار فإن للموسر في الزي قدرًا وللمعسر دونه، والثاني بالمنزلة والحال فإن لذي المنزلة الرفيعة في الزى قدرًا وللمنخفض عنه دونه، فإن عدل الموسر إلى زي المعسر كان شحًّا وبخلاً، وإن عدل الرفيع إلى زي المنخفض عنه كان مهانة وذلاً، وإن عدل المعسر إلى زي الموسر كان تبذيرًا وسرفًا، وإن عدل المنخفض إلى زي الرفيع كان جهلاً وتخلفًا) [٥٠٢] .

ويثور التساؤل : هل هذا يدخل ضمن أبواب الرياء ؟

والأمر في ذلك إلى النية : إن قصد المرء بلباسه حمد الناس وتقديرهم،

---

(٤٩٩) ضعيف : (٤٢٣ / التواضع والخمول) الأثر منقطع إلى ابن عمر رضي الله عنهما : فيه رجل مبهم .
(٥٠٠) (٢ / ٤٧٠ سير الأعلام).
(٥٠١) (٣ / ٢٩٧ الإحياء) .
(٥٠٢) (٤٢٣ / أدب الدنيا والدين) .

فهذا صريح الرياء .

وإن لم يقصد شيئًا، أو كان مقلدًا، أو كان زاهدًا لا يقدر على ما يعلو ملابسه، أو تطلبت وظيفته ما يلبسه، بلا إسراف أو مخيلة، فلا يدخل ذلك في الرياء المذموم شرعًا .

وبصفة عامة، فلباس الشهرة مذمومة :

لقول النبي صلى الله عليه وسلم : **«مَنْ لبسَ ثوبَ شهرة ألبسهُ اللهُ ثوبَ مذلةٍ يومَ القيامةِ»** [٥٠٣] .

وكان الإمام مالك رحمه الله يقول في لبس الصوف : (لا خير في لبسه إلا في سفر كما لبسه النبي صلى الله عليه وسلم، لأنه شهرة، وأنه لقبيح بالرجال أن يعرف دينه بلباسه) [٥٠٤] .

ودخل فرقد السنجي على الحسن وعليه كساء صوف وعلى الحسن حلة فجعل يلمسها، فقال له الحسن : (ما لك؟ ثيابي ثياب أهل الجنة وثيابك ثياب أهل النار بلغني أن أكثر أهل النار أصحاب الأكسية) ثم قال الحسن : (جعلوا الزهد في ثيابهم والكبر في صدورهم والذي يحلف به لأحدهم أعظم كبرا من صاحب الطرف بمطروفه) [٥٠٥] .

(١١) حكم من جهل الرياء :

عن عثمان بن عمارة رحمه الله قال : خرجنا مرة عشرة من أصحاب عبدالواحد بن زيد من البصرة حتى ركبنا البحر فسرنا في خدافه حتى انتهينا

---

(٥٠٣) سبق تخريجه .

(٥٠٤)(٨٨ / تزيين الممالك)

(٥٠٥)(٣٣٣٣ / فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي)

إلى سراب فدخلنا مسجدها فتذاكرنا الرياء فيما بيننا فقلنا حدث عبد الواحد عن الحسن أن (أصل الرياء حب المحمدة) فإذا شيخ قائم يصلي طوال أبيض الرأس واللحية به جنا في جبهته سجاده قريب منه فلما سمع قولنا أن أصل الرياء حب المحمدة صاح صيحة ظننا أن نفسه قد خرجت ثم انحنى فأخذ من رمل المسجد فوضعه على رأسه ثم قال يا ويلي ويا عولي إني لأعبد الله في هذا المكان منذ أربعين سنة ما أقوى على ذلك إلا بحب محمدة الناس إياي قال عثمان فتاب إلى الله بعد أربعين عامًا [٥٠٦].

وهذا هو حال كثير من العوام الذين يجهلون معنى الرياء، ويقومون بالعبادات مقلدين غير مبالين باليسير من الرياء أو غير اليسير، لذا فالتساؤل عن صنيعهم.

وبالرجوع إلى القواعد العامة : نجد أن عمل المرء مراءاة للناس يحبط ثوابه، لكنه لجهله بمعنى الرياء لفظًا ومعنى وحكمًا ترفع عنه المؤاخذة، وهذا هو شأن سائر الأمور القلبية كالكبر والغرور وغيرهما.

أما إن جهل لفظه، وعلم حكمه، وأنه مذموم، تحت أي مسمى، فهذا مستحق للعقوبة وعمله مردود، ولا مشاحَّة في الاصطلاح، والله أعلم.

(١٢) تعريف الناس أنفسهم :

والأمر على فرضين :

(الأول) إذا كان الغرض منه مجرد التعريف أو حفظ المعروف أو أي مصلحة أخرى نافعة ترجى من ورائه فلا بأس به، والله أعلم، نحو أن يخبر

---

(٥٠٦)(٥١ / الأولياء)

الرجل غيره بأنه طبيب أو قاضي، قاصدًا إعلامه بأن لديه علمًا بمسائل الطب أو القضاء، ويمكن أن يفتيه في إشكاله .

(الثاني) إذا كان التعرف للتباهي والتعالي فهو محرم لأن التواضع مطلوب، والتفاخر والتكبر مذموم، فضلاً عما قد يسببه ذلك من أذى لعامة الناس وفقرائهم، وقد حرص الشرع الحنيف على مراعاة شعور المسلمين، وتكفل بإزالة كل ما يؤذيهم، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إِنَّ الله أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لاَ يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ وَلاَ يَبْغِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ»(٥٠٧).

أما هل هو من الرياء، أم لا ؟

فنفرق بين ما إذا ارتبط التعرف بعمل الدنيا، أو عمل الدين :

والأول : سبق أن بينا أنه لا يدخل ضمن أبواب الرياء المذموم، وهو ما رجحه الإمامان الهيثمي والغزالي رحمهما الله، وإن كان مذمومًا تحت أبواب أُخر.

والثاني : لزامًا أنه يدخل ضمن أبواب الرياء، وأخص من ذلك في باب السمعة، ونحو ذلك أن يتباهى الرجل بأنه مفتي بلدة كذا، أو إمام مسجد كذا، أو قاضي منطقة كذا .

---

(٥٠٧) صحيح : (٢٨٦٥ / الجنة وصفة نعيمها / مسلم) من حديث عياض رضي الله عنه .

فصل في : ضروب يظن أنها من الرياء وليست منه

ورأس الأمر فيها : «النية» فقد يرتكب المرء فعلاً هو رياء محض لا إخلاصَ فيه، وقد يصنعه غيره أو هو ذاته بذات الهيئة في ذات الوقت خالصًا لوجه الله لا رياء فيه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ**» (٥٠٨)، وما ذكرناه محض أمثلة، والقصد: ألا يلبس الشيطان على المؤمنين، ولا يسهُل لشطحات الصوفية أن تتسلل إلى قلوب المخلصين .

في هيئة القيام والجلوس :

كالذي يمشـي رويدًا، ويجلس رويدًا مجبولاً على تلك المشية أو الجلسة، فلا تثريب عليه فعـن قيلـة بنت مخرمة قالت رأيت النبي صلى الله عليه وسلم قاعدا القرفصاء فلما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم المتخشع في الجلسة أرعدت من الفرق (٥٠٩) .

تحسين السمت :

والمقصود به تحسين الجلسة والمشية وهو من أجزاء النبوة، والمرائي يعمد إلى تحسين سمته يريد بذلك المنزلة في قلوب الناس والثناء عليه، أما من عمد إلى تحسين سمته تأسيًا بالأنبياء صلى الله عليهم وسلم، فهذا مأجور إن شاء الله.

---

(٥٠٨) سبق تخريجه .

(٥٠٩)سبق تخريجه .

الزهد :

ومن أبواب الرياء إظهار المرء النحول والاصفرار ليوهم بذلك كما قال الصنعاني رحمه الله (شدة الاجتهاد والحزن على أمر الدين وخوف الآخرة وليدل بالنحول على قلة الأكل)[٥١٠] .

أما من ظهر عليه النحول والاصفرار لزهد، أو حزن على ما ضيع، أو لانشغاله بطلب العلم عن الأكل والعناية بمنظره ومظهره، فهذا لا يدخل في أبواب الرياء، وقد كان في السلف رحمهم الله من بدا عليه النحول من أثر البكاء على وجهه، وقد كان في وجه عمر بن الخطاب رضي الله عنه خطان أسودان من البكاء، وكان مجرى الدموع في وجه ابن عباس رضي الله عنهما مثل الشراك البالي من الدموع، وبكى زياد بن مطر العدوي رحمه الله حتى عمي، وبكى ابنه زياد رحمه الله حتى عشي، وأفسد البكاء عين العـلاء بن عبد الكريم رحمه الله، وبكى منصور بن المعتمر رحمه الله حتى جردت عيناه، وكانت عينا مالك بن المغول رحمه الله رطبة من طول بكائه، وبكى يزيد الرقاشي رحمه الله أربعين سنة حتى تساقطت أشفاره[٥١١]، وأظلمت عيناه[٥١٢] :

ألم يَرِثِ البكا أُناسُ صدقٍ فقادهمُ البكاءُ خير المعـاد
ألم يقلِ الإله إليَّ عبـدي فكلُّ الخيرِ عندي في المعاد

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

فمن أظهر الوعظ أمرًا بالمعروف، وسخط على العاصين وتأوه من

---

(٥١٠)(٤ / ١٨٥ سبل السلام).

(٥١١) الأشفار : الحرف الذي ينبت عليه الهدب.

(٥١٢)(١٤٩ : ١٥٩ / الرقة والبكاء).

مقارفتهم المعاصي نهيًا عن المنكر وبراءة إلى الله عز وجل، وأخذ يدعو إلى طاعة الله بالحكمة والموعظة الحسنة، ويذكر حكايات الصالحين ويتأسف على ما فات الناس من الخير، من كان هذا دأبه فهو مأجور حيث حمل الهم، ولم ينل من العاصين إلا الغم .

والقاعدة الأصولية أنه (لا يُزال الضرر بأشد منه)، ولا شك أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض : قال الله ﷻ ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ المفْلِحُونَ﴾[٥١٣] وقال أيضا: ﴿وَالمؤْمِنُونَ وَالمؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ الله وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ الله﴾[٥١٤]، وقال صلى الله عليه وسلم: «**إنَّهُ مفتوحٌ لكم وأنتم منصورون مصيبون فمن أدركَ ذلك منكم فلْيتق الله وليأمُر بالمعروف ولينهَ عن المنكرِ وليصِل رحِمه ومثَلُ الذي يعينُ قومَه على غير الحق كمثلِ البعيرِ يتردَّى فهو يمدُّ بذَنَبه**»[٥١٥] وقد أجمعت الأمة على وجوبه : نقل ذلك جمع من أهل العلم منهم : الإمام ابن حزم رحمه الله حيث قال: (اتفقت الأمة كلها على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بلا خلاف من أحد منهم)[٥١٦]، وقال الإمام النووي رحمه الله: (تطابق على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الكتاب والسنة وإجماع الأمة)[٥١٧] .

(٥١٣)(١٠٤ / آل عمران)
(٥١٤)(٧١/ التوبة)
(٥١٥)سبق تخريجه .
(٥١٦)(٤ / ١٧١ الفصل في الملل والأهواء والنحل)
(٥١٧)(١ / ٥١ شرح صحيح مسلم)

ويكفي أن نذكر طرفًا من أهميته : ألا كونه سبيلاً للنجاة من سوء العاقبة الذي يصيب القوم الظالمين قال ﷻ: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾(٥١٨) وهو من علامات الحب في الله :

فـ : حبيبك من يغار إذا زللت ويغلظ في الكلام متى أسأت
يسر إذا اتصفت بكل فضل ويحزن إن نقصت أو انتقصت

من جماع ما تقدم، فلا شك في أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أولى وأوجب من تركهما خوفًا من الرياء، قال العلامة ابن القيم رحمه الله: (فتارك حقوق الله التي تجب عليه أسوأ حالاً عند الله ورسوله من مرتكب المعاصي، فإن ترك الأمر أعظم من ارتكاب النهي)(٥١٩) .

وأما إذا عقُب على ما قلت، بقول الله عز وجل : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ، كَبُرَ مَقْتا عِنْدَ الله أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾(٥٢٠)، وقول النبي صلى الله عليه وسلم : «**يُؤْتَى بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُ بَطْنِهِ فَيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الحِمَارُ بِالرَّحَى فَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ فَيَقُولُونَ يَا فُلَانُ مَا لَكَ أَلَمْ تَكُنْ تَأْمُرُ بِالمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنِ المُنْكَرِ فَيَقُولُ: بَلَى قَدْ كُنْتُ آمُرُ**

---

(٥١٨) (١٦٥ / الأعراف).

(٥١٩) (٢ / ٤٢٩ إعلام الموقعين).

وفي باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حديث ضعيف :

(أوحى الله عز وجل إلى جبريل عليه السلام أن اقلب مدينة كذا وكذا على أهلها قال : فقال يا رب إن فيها عبدا لم يعصك طرفة عين قال : اقلبها عليه وعليهم فإن وجهه لم يتمعر في ساعة قط) سبق تخريجه .

(٥٢٠) (٢ : ٣ / الصف).

بِالْمَعْرُوفِ وَلاَ آتِيهِ وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ»[٥٢١] .

فأقول: إن الجمع بين ما يظن أنهما متناقضان يقتضي ألا يترك المسلم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإن خشي الرياء، وفي نفس الوقت يجاهد الأخير إن شعر به تسلل إلى قلبه ولا ييأس ولا يترك، وليستعن بالله تعالى، وسبق أن بينت هذا بالتفصيل في باب : هل يترك العمل خوفا من الرياء؟

وفي باب تلاوة القرآن :

كمن يجهر بالقرآن ليطرد الشيطان ويوقظ الوسنان، فهو مأجور على نيته، معان على قصده بإذن الله، وفي الباب عن أبي قتادة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر رضي الله عنه : «**مررتُ بك وأنتَ تقرأُ وأنت تخفضُ من صوتِك**» فقال : إني أسمعت من ناجيت، قال: «**ارفع قليلاً**»، وقال لعمر: «**مررت بك وأنت تقرأ وأنت ترفع صوتك**» قال : إني أوقظ الوسنان وأطرد الشيطان، قال: «**اخفض قليلا**»[٥٢٢] .

---

(٥٢١) سبق تخريجه .

(٥٢٢) صححه الألباني (١٢٠٤ / المشكاة) ، وصححه الحاكم وقال (صحيح على شرط مسلم ولم يخرجه) ووافقه الذهبي (١ / ٤٥٤ المستدرك) ، قال الإمام الترمذي (حديث غريب)، وصححه الشيخ أحمد شاكر (٢ / ٢٤٠ سنن الترمذي) (٤٤٧ / الصلاة / الترمذي) (١٣٢٩ / أبو داود) (٧٣٣ / ابن حبان في صحيحه) (٧٣٣ / ابن خزيمة في صحيحه) (٣ / ١١ البيهقي في الكبرى) جميعهم من حديث أبي قتادة رضي الله عنه ، (١/ ١٠٩ أحمد في المسند) (١ / ١٣١ فضائل الصحابة) كلاهما من حديث علي رضي الله عنه .

وفي سنن البيهقي الكبرى (٣ / ١١) من حديث ثابت البناني رحمه الله مرسلا ، وفي مصنف ابن أبي شيبة (٢ / ٤٩٥) من حديث سعيد بن المسيب رحمه الله مرسلا .

وفي أبواب الصلاة :

كتحسين الصلاة وتطويل القيام والركوع والسجود لا لأجل رؤية الناس، وإنما تأسيا بفعل النبي صلى الله عليه وسلم، والصحابة رضي الله عنهم، وعملا بقول الله تعالى : ﴿لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾[٥٢٣] ، وقوله عز وجل: ﴿إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً﴾[٥٢٤] ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يَقْرَأُ فِي الصبح مَا بَيْنَ السِّتِّينَ إِلَى المِائَةِ آيَة[٥٢٥] ، وَكَانَ يُطَوِّلُ فِي الرَّكْعَةِ الأُولَى وَيُقَصِّرُ فِي الثَّانِيَةِ وهكذا في الظهر والعصر[٥٢٦] ، ويوم قَام النبي صلى الله عليه وسلم يُصَلِّي عِنْدَ الكَعْبَةِ، وَجَمْعُ قُرَيْشٍ فِي مَجَالِسِهِمْ إِذْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ : (أَلاَ تَنْظُرُونَ إِلَى هَذَا المُرَائِي أَيُّكُمْ يَقُومُ إِلَى جَزُورِ آلِ فُلاَنٍ، فَيَعْمِدُ إِلَى فَرْثِهَا وَدَمِهَا وَسَلاَهَا فَيَجِيءُ بِهِ، ثُمَّ يُمْهِلُهُ حَتَّى إِذَا سَجَدَ وَضَعَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ) فَانْبَعَثَ أَشْقَاهُمْ، فَلَمَّا سَجَدَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم وَضَعَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، وَثَبَتَ صلى الله عليه وسلم سَاجِدًا[٥٢٧] .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم للمسيء صلاته : «ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ» فَرَجَعَ الرَّجُلُ فَصَلَّى كَمَا كَانَ صَلَّى ثُمَّ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم

---

(٥٢٣) (٧/ الكهف).

(٥٢٤) (٣٠/ الكهف).

(٥٢٥) صحيح : (٥٤١ / مواقيت الصلاة / البخاري) (٤٦١ / الصلاة / مسلم) كلاهما من حديث أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه .

(٥٢٦) صحيح : (٧٥٩ / الأذان / البخاري) (٤٥١ / الصلاة / مسلم) كلاهما من حديث أبي قتادة رضي الله عنه .

(٥٢٧) صحيح : (٥٢٠ / مواقيت الصلاة / البخاري) (١٧٩٤ / الجهاد والسير / مسلم) كلاهما من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

فَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَقَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «**وَعَلَيْكَ السَّلاَمُ**» ثُمَّ قَالَ: «**ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ**» حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ فَقَالَ الرَّجُلُ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ مَا أُحْسِنُ غَيْرَ هَذَا عَلِّمْنِي، فعلمه صلى الله عليه وسلم[٥٢٨] .

وفي هذا الباب : السبق إلى المسجد لإحراز الصف الأول، فهذا عمل مطلوب ظاهر، لا يترك خوفا من الرياء، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ وَالصَّفِّ الأَوَّلِ، ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلاَّ أَنْ يَسْتَهِمُوا عَلَيْهِ لاَسْتَهَمُوا، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي التَّهْجِيرِ لاَسْتَبَقُوا إِلَيْهِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي العَتَمَةِ وَالصُّبْحِ لأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوا**»[٥٢٩] .

وقد لبس الشيطان على أقوام من هذا الباب، بعدما بلغوا في العبادة مبلغهم، فتركوا الجمعة والمساجد والجماعات خوفًا من الرياء، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعثمان بن مظعون : «**يا عثمانُ إنَّ الرَّهبانيةَ لم تُكتب علينا**»[٥٣٠]، وقال صلى الله عليه وسلم أيضا : «**مَن تركَ ثَلاثَ جمعٍ تهاونا من غير عذر طبع الله على قلبه**»[٥٣١]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه : أنَّ أعمى قال: يا رسول الله إن لي قائدا لا يلائمني، فهل تجد لي رخصة أن أصلي في بيتي؟ قال : «**هل تسمعُ النداءَ؟**» قال : نعم، قال : «**فأجِبْ**»[٥٣٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : (والجمعة فريضة باتفاق الأئمة،

---

(٥٢٨) صحيح : (٧٩٣ / الأذان / البخاري) (٣٩٧ / الصلاة / مسلم) كلاهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٥٢٩) صحيح : (٦١٥ / الأذان / البخاري) (٤٣٧ / الصلاة / مسلم) كلاهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٥٣٠) سبق تخريجه .

(٥٣١) سبق تخريجه .

(٥٣٢) سبق تخريجه .

والجماعة واجبة أيضا، عند كثير من العلماء، بل عند أكثر السلف، ولا نزاع بين العلماء أن صلاة الرجل في الجماعة تزيد على صلاته وحده خمسةً وعشرين ضعفًا، كما ثبت ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم، ولا نزاع بينهم أن من جعل صلاته وحده أفضل من صلاته في جماعة فإنه ضال مبتدع، مخالف لدين المسلمين، وهذه البدع يذم أصحابها، ويعرف أن الله لا يتقبلها، وإن كان قصدهم بها العبادة، كما أنه لا يقبل عبادة الرهبان، ونحوهم ممن يجتهدون في الزهد والعبادة لأنهم لم يعبدوه بما شرع، بل ببدعة ابتدعوها)[٥٣٣] .

وفي أبواب الصدقات والنفقات والهبات :

كأن يقصد المرء إظهار صدقته لحث الناس على الصدقة، قال الله عز وجل: ﴿ضَرَبَ الله مَثَلاً عَبْداً مَمْلُوكاً لا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقاً حَسَناً فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرّاً وَجَهْراً هَلْ يَسْتَوُونَ الحَمْدُ لله بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾[٥٣٤]، وعَن جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ الله رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ نَاسٌ مِنَ الأَعْرَابِ إِلَى رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم عَلَيْهِمُ الصُّوفُ فَرَأَى سُوءَ حَالِهِمْ قَدْ أَصَابَتْهُمْ حَاجَةٌ فَحَثَّ النَّاسَ عَلَى الصَّدَقَةِ فَأَبْطَئُوا عَنْهُ حَتَّى رُئِيَ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ إِنَّ رَجُلاً مِنَ الأَنْصَارِ جَاءَ بِصُرَّةٍ مِنْ وَرِقٍ ثُمَّ جَاءَ آخَرُ ثُمَّ تَتَابَعُوا حَتَّى عُرِفَ السُّرُورُ فِي وَجْهِهِ فَقَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: **«مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلاَمِ سُنَّةً حَسَنَةً فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا وَلاَ يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ وَمَنْ سَنَّ فِي الإِسْلاَمِ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ**

---

(٥٣٣) (١١ / ٦١٨ : ٦١٩ مجموع الفتاوى).
وسبق أن فصلنا في هذا الشأن ، في باب : الغلو والرياء .
(٥٣٤) (٧٥/ النحل).

كُتِبَ عَلَيْهِ مِثْلُ وِزْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا وَلاَ يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ»[٥٣٥]، وقد خَطَبَ رَسُول الله صلى الله عليه وسلم العيد، فَرَأَى أَنَّهُ لَمْ يُسْمِعِ النِّسَاءَ فَأَتَاهُنَّ ومعه بلال، فَذَكَّرَهُنَّ وَوَعَظَهُنَّ وَأَمَرَهُنَّ بِالصَّدَقَةِ، فَجَعَلَتِ الْمَرْأَةُ تُلْقِي الخَاتَمَ وَالخُرْصَ وَالشَّيْءَ، وبلال يأخذ في طرف ثوبه[٥٣٦] .

وعَنْ أَبِى مَسْعُودٍ - رضي الله عنه ـ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ آيَةُ الصَّدَقَةِ كُنَّا نُحَامِلُ، فَجَاءَ رَجُلٌ فَتَصَدَّقَ بِشَيْءٍ كَثِيرٍ فَقَالُوا مُرَاءٍ، وَجَاءَ رَجُلٌ فَتَصَدَّقَ بِصَاعٍ فَقَالُوا إِنَّ الله لَغَنِيٌّ عَنْ صَاعِ هَذَا [٥٣٧]، فَنَزَلَت ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ المطَّوِّعِينَ مِنَ المؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ الله مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٥٣٨] .

وفي هذا الباب :

أن يسمي المرء مسجدًا بناه باسم عائلته، أو يضع اسمه على بئر أو كتاب، نحو قولهم «بئر بني فلان» أو «طبع على نفقة فلان »، قاصدًا من ذلك أن يدعو الناس له، أو يحذوا حذوه، فالأمر في ذلك واسع ولا تثريب عليه وهو مأجور على نيته إن شاء الله، وقد وقع في الصحيحين «مسجد بني زريق»[٥٣٩] .

---

(٥٣٥) سبق تخريجه .

(٥٣٦) صحيح : (٩٨ / العلم / البخاري) (٨٤٤ / صلاة العيدين / مسلم) كلاهما من حديث ابن عباس رضي الله عنهما .

(٥٣٧) صحيح : (١٤١٥ / الزكاة / البخاري) (١٠١٨ / الزكاة / مسلم) كلاهما من حديث أبي مسعود رضي الله عنه .

(٥٣٨) (٧٩ / التوبة).

(٥٣٩) صحيح : (٢٨٦٩ / الجهاد / البخاري) (١٨٧٠ / الإمارة / مسلم) كلاهما من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما ، ونص الحديث : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَابَقَ بَيْنَ الخَيْلِ الَّتِي لَمْ تُضَمَّرْ ، وَكَانَ أَمَدُهَا مِنَ الثَّنِيَّةِ إِلَى مَسْجِدِ بَنِي زُرَيْقٍ ، وَأَنَّ عَبْدَ الله بْنَ عُمَرَ كَانَ سَابَقَ بِهَا .

وقد حدثني الثقة بأن قومًا في بلدة ما كانوا في حاجة إلى مسجد، فعرض عليهم أحد الأثرياء من إحدى البلاد أن يبني لهم مسجدا شريطة أن ينسب إلى أحد أفراد عائلته – نحو : أبي فلان أو أم فلان أو بني فلان – فأبى أهل البلدة ذلك، بيد أنه والحمد لله عرض الأمر على أهل قرية أخرى فوافقوا، وبني المسجد وينتفع به الناس في هذه القرية الآن والحمد لله .

لكننا ننبه مع ما قدمنا : أن فعل ذلك لأجل الناس رياء مذموم، وهو مردود على صاحبه قال الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً لا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (٥٤٠)، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «**وَلاَ يَصْعَدُ إِلَى اللهِ إِلاَّ الطَّيِّبُ**» (٥٤١)، وفي حديث أول من تسعر بهم النار «**ويُؤتى بصاحب المال فيقولُ اللهُ له ألم أوسع عليك حتى لم أدعك تحتاجُ إلى أحدٍ؟ قال بلى يا رب قال فماذا عمِلتَ فيما آتيتك؟ قال كنت أصلُ الرحمَ وأتصدق فيقول الله له كذبتَ وتقولُ له الملائكةُ كذبتَ ويقول الله تعالى بل أردتَ أن يُقالَ فلانٌ جوادٌ فقد قِيل ذاك**» (٥٤٢) .

وفي أبواب الجهاد :

فلا شك أن هذا موطن يحب الله فيه أن تظهر قوة المسلمين، وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم الصحابة رضي الله عنهم بالرَّمَلِ (٥٤٣) بِالبَيْتِ الحرام ثَلاَثَةَ

---

(٥٤٠)(٢٦٤ / البقرة).

(٥٤١)سبق تخريجه .

(٥٤٢) سبق تخريجه .

(٥٤٣) المشي السريع المتتابع.

أَطْوَافٍ، وما قصد صلى الله عليه وسلم رياءً أو مخيلة، وإنما قصد أن يرى المشركون قوة المسلمين لما قالوا (إِنَّ مُحَمَّداً وَأَصْحَابَهُ لاَ يَسْتَطِيعُونَ أَن يَطُوفُوا بِالبَيْتِ مِنَ الهُزَالِ) فَأَمَرَهُمْ صلى الله عليه وسلم أَنْ يَرْمُلُوا ثَلاَثًا وَيَمْشُوا أَرْبَعًا[٥٤٤] .

أبواب الإطعام والإيلام والعقيقة والأضاحي :

ففي الأضاحي مثلا : المرء قد يذبح ويوزع اللحم سرًّا، وقد يظهر الشعيرة لإحياء سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أو حث الناس عليها أو تعليمهم إياها، فهذا مستحب ولا يدخل في أبواب الرياء .

وفي باب بر الوالدين :

فبر الوالدين يقتضي حبهما والإحسان إليهما، سواء أمام الناس أو دونهم، وهو مطلوب على الوجهين ومثاب عليه بإذن الله في البابين .

وفي أبواب اللباس والهيئة :

فتقصير الثياب وإعفاء اللحية عبادة ظاهرة للناس لزومًا، بل إن تركهما تهمة يجب إماطتها عن النفس، لذلك فقد بادر أبو بكر رضي الله عنه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : «إِنَّ أَحَدَ شِقَّيْ ثَوْبِي يَسْتَرْخِي إِلاَّ أَنْ أَتَعَاهَدَ ذَلِكَ مِنْهُ» لما سمع قوله صلى الله عليه وسلم : «**مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلاَءَ لَمْ يَنْظُرِ الله إِلَيْهِ يَوْمَ القِيَامَةِ**»[٥٤٥]، وذلك منه دون أن يسأله النبي صلى الله عليه وسلم .

وقد كَانَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم كَثِيرَ شَعْرِ اللِّحْيَةِ[٥٤٦]، وكانت

---

(٥٤٤) سبق تخريجه .

(٥٤٥) صحيح : (٣٦٦٥/ فضائل الصحابة / البخاري) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٥٤٦) صحيح : (٢٣٤٤/ الفضائل / مسلم) من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنهما .

قراءته صلى الله عليه وسلم في الصلاة تعرف بِاضْطِرَابِ لِحْيَتِهِ [٥٤٧]، وكان المَطَر يَتَحَادَر عَلَى لِحْيَتِهِ وهو يدعو يوم أَصَابَتِ النَّاسَ سَنَةٌ وهلك المال وجاع العيال [٥٤٨] .

وكان الإمام مالك رحمه الله يلبس الثياب العدنية الجياد والخراسانية والمصرية المرتفعة ويتطيب بطيب جيد ويقول: (ما أحبّ لأحد أنعم الله عليه إلا أن يرى أثر نعمته عليه، وخصوصًا على أهل العلم، ينبغي لهم أن يظهروا مروآتهم في ثيابهم إجلالاً للعلم، وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : إني لأحب أن أنظر إلى القارئ أبيض الثياب)[٥٤٩] .

ملازمة العلماء وطلبة العلم وأهل الفضل :

كملازمة العلماء والجادين في العبادة وتبادل الزيارات معهم تبركًا بمصاحبتهم ولينهل المرء من علمهم، فهذا مطلوب، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من تشبَّه بقوم فهوَ منهُم»[٥٥٠]، وقال أيضا : **«ثلاثٌ هنَّ حقٌّ : لا يجعلُ الله مَن له سهمٌ في الإسلامِ كمَن لا سهمَ له، ولا يتولَّى الله عبدًا فيوليه غيرَه، ولا يحب رجلٌ قومًا إلا حُشِر معهم»**[٥٥١] .

وفي حديث الملائكة الطوافة في الطرقات الذين يلتمسون أهل الذكر، يقول الله عز وجل لملائكته : **«فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لهمْ»**، فيقول ملك من

---

(٥٤٧) صحيح : (٧٤٦ / الأذان / البخاري) من حديث خباب رضي الله عنه

(٥٤٨) صحيح : (٩٣٣ / الجمعة / البخاري) (٨٩٧ / صلاة الاستسقاء / مسلم) كلاهما من حديث أنس رضي الله عنه .

(٥٤٩) (٨٨ / تزيين الممالك).

(٥٥٠) سبق تخريجه .

(٥٥١) سبق تخريجه .

الملائكة : «**فِيهِمْ فُلاَنٌ لَيْسَ مِنْهُمْ إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ**» قال الله عز وجل: «**هُمُ الجُلَسَاءُ لاَ يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ**»(٥٥٢) .

والصحابة رضي الله عنهم يوم الحديبية كادوا يقتتلون على وضوء النبي صلى الله عليه وسلم أمام عروة بن مسعود لما جاء يفاوض النبي صلى الله عليه وسلم، وهم ما أرادوا بذلك إلا إظهار حبهم له صلى الله عليه وسلم وإظهار عزته ومكانته صلى الله عليه وسلم بينهم باقتفائهم لأثره .

وقد حثنا النبي صلى الله عليه وسلم على مجالسة الصالحين، فقال: «**مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالجَلِيسِ السوْءِ كَمَثَلِ صَاحِبِ المِسْكِ، وَكِيرِ الحَدَّادِ، لاَ يَعْدَمُكَ مِنْ صَاحِبِ المِسْكِ إِمَّا تَشْتَرِيهِ أَوْ تَجِدُ رِيحَهُ، وَكِيرُ الحَدَّادِ يُحْرِقُ بَدَنَكَ أَوْ ثَوْبَكَ أَوْ تَجِدُ مِنْهُ رِيحاً خَبِيثَةً**»(٥٥٣) .

عن المرء لا تسل وسل عن قرينه ... فكل قرين بالمقارن مقتدي

وفي الجملة : فإن إسرار الأعمال مقدم على إظهارها :

قال الله عز وجل : ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَالله بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾(٥٥٤)، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «**الجاهرُ بالقرآنِ كالجاهرِ بالصدقةِ والمسرُّ بالقرآنِ كالمسرِّ بالصدقةِ**»(٥٥٥)، وقال أيضا : «**إن صدقة السر تطفئ غضبَ الربِّ**» (٥٥٦)، وقال صلى الله عليه وسلم في حديث السبعة

---

(٥٥٢) سبق تخريجه .

(٥٥٣) صحيح : (٢١٠١ / البيوع / البخاري) من حديث أبي موسى رضي الله عنه .

(٥٥٤) (٢٧١ / البقرة).

(٥٥٥) سبق تخريجه .

(٥٥٦) صححه الألباني وقال (وجملة القول أن الحديث بمجموع طرقه وشواهده صحيح بلا ريب ، بل يلحق بالمتواتر عند بعض المحدثين المتأخرين).

الذين يظلهم الله بظله : «وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ أَخْفَى حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ» وذكر أيضًا «وَرَجُلٌ ذَكَرَ الله خَالِياً فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ» [٥٥٧].

والحديث له ألفاظ أخرى دون زيادة (السر) لن نتعرض لها ، لكنه بهذه الزيادة أخرجه الطبراني في الكبير (٨ / ٢٦١) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه ، قال الهيثمي (إسناده حسن) (٣/ ١١٥ المجمع) .

وفي الكبير أيضا (١٩ / ٤٢١) وفي مسند الشهاب (١ / ٩٤) كلاهما من حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده رضي الله عنه ، قال المنذري (لا بأس به في الشواهد) (٢ / ٣١)، وقال الألباني (منكر) (٣٢٦٢/ الضعيفة)

وأيضا في مسند الشهاب (١ / ٩٣) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه ، قال الألباني (حسن لغيره) (٨٨٩/ صحيح الترغيب).

وفيه أيضا (١ / ٩٣) من حديث عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنهما .

وفي زوائد الهيثمي (١ / ٣٩٨) من حديث أبي سعيد رضي الله عنه .

وفي المعجم الأوسط للطبراني (٦ / ١٦٣) من حديث أم سلمة رضي الله عنها بلفظ (خفيا) بدلا من (السر) .

وعند ابن عساكر (١٣ / ١٧٢ تاريخ دمشق) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا ، قال الألباني (منكر) ، وقال أيضا بعد أن ساق إسناده (وهذا إسناد ضعيف مظلم) (٣٢٦١/ الضعيفة) .

وفي قضاء الحوائج أيضا من حديث ابن عباس رضي الله عنهما .

(٥٥٧) سبق تخريجه .

وفي الباب جملة من الأحاديث الضعيفة :

(فضل صلاة الليل على صلاة النهار كفضل صدقة السر على صدقة العلانية) (سبق تخريجه) .

(دعوة في السر تعدل سبعين دعوة في العلانية) (٣١٩٦/ كنز العمال) معلقًا من حديث أنس رضي الله عنه ، قال الألباني (ضعيف جدًّا) ، وقال (أخرجه الديلمي عن أبي الشيخ معلقا عن أبان ، وهو ابن أبي عياش : متروك) (٣٥٩٨/ الضعيفة) .

وفي رواية (ركعتان بسواك أفضل من سبعين ركعة بغير سواك ، ودعوة في السر أفضل من سبعين دعوة في العلانية ، وصدقة في السر أفضل من سبعين صدقة في العلانية)=

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنَّ الله يحبُّ العبدَ التقيَّ الغنيَّ الخفيَّ»(٥٥٨) :

وإذا أظهرت شيئا حسنـًا فليكن أحسن منهُ ما تُسِرّ
فمُسِرُّ الخيرِ موسومٌ بهِ ومُسِرُّ الشر موسوم بشَرّ

وقد كان السلف رحمهم الله على ذلك دومًا لا يعملون عملاً في العلانية، طالما يمكنهم فعله في السر، وقد رأى أحدهم رجلاً في المسجد قد سجد سجدة شكر فأطالها، فقال: (ما أحسن هذا لو كان في بيتك)(٥٥٩)، وعن محمد ابن واسع رحمه الله قال : (لقد أدركت رجالا كان الرجل يكون رأسه ورأس امرأته على وساد واحد، قد بل ما تحت خده من دموعه، لا تشعر به امرأته، ولقد أدركت رجالاً كان أحدهم يقوم في الصف فتسيل دموعه على خديه، لا يشعر به الذي إلى جنبه)(٥٦٠) .

(٢٦١٨٠ / كنز العمال) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، قال الألباني (موضوع) (٣١٢٧/ ضعيف الجامع) .

(السر أفضل من العلانية ، والعلانية أفضل لمن أراد الاقتداء به) (٥٢٨٣ / كنز العمال) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما ، قال الألباني (ضعيف جدًا) وقال : (رواه العقيلي في الضعفاء ، وابن الجوزي في العلل ، والديلمي ، عن بقية عن عبد الملك بن مهران عن عثمان بن زائدة ، وعثمان حديثه غير محفوظ ، وعبد الملك متروك ، وبقية مدلس وقد عنعن) (٢٤٠٦ / الضعيفة) بتصرف .

(٥٥٨) صحيح : (٢٩٦٥ / الزهد والرقائق / مسلم) من حديث سعد رضي الله عنه .
وفي الباب حديث ضعيف :
(إن الله يحب من عباده الأخفياء الأتقياء الذين إذا حضروا لم يعرفوا ، وإذا غابوا لم يفقدوا، أولئك أئمة الهدى ومصابيح العلم) (سبق تخريجه) .

(٥٥٩) (٢٠ / ١٦٦ الجامع لأحكام القرآن).

(٥٦٠) (١٣٥ / الرقة والبكاء).

وقال محمد بن القاسم رحمه الله : صحبت محمد بن أسلم أكثر من عشرين سنة لم أره يصلي حيث أراه ركعتين من التطوع إلا يوم الجمعة، وسمعته كذا وكذا مرة يحلف لو قدرت أن أتطوع حيث لا يراني ملكاي لفعلت خوفًا من الرياء، وكان يدخل بيتًا له ويغلق بابه ولم أدر ما يصنع حتى سمعت ابنًا له صغيرًا يحكي بكاءه، وكان إذا أراد أن يخرج غسل وجهه واكتحل فلا يرى عليه أثر البكاء، وكان يصل قومًا ويكسوهم ويقول للرسول انظر أن لا يعلموا من بعثه، ولا أعلم منذ صحبته وصل أحدًا بأقل من مائة درهم إلا أن لا يمكنه ذلك [٥٦١] .

وكان محمد بن كعب القرظي رحمه الله : يقص ودموعه تجري على خديه، فإن سمع باكيًا زجره وقال : (ما هذا)، وكان ابن المبارك رحمه الله إذا رق فخاف أن يظهر ذلك منه قام وربما أخذ في حديث آخر، ونحب رجل عند الحسن البصري رحمه الله فقال له: (ليسألنك الله يوم القيامة ما أردت بهذا)، وقال لآخر: (إن كان لله فقد شهرت نفسك، وإن كان لغير الله هلكت)، وبكى رجل إلى جنبه يومًا فقال: (قد كان أحدهم يبكي إلى جنب صاحبه فما يعلم به)، وقال محمد بن واسع رحمه الله: (إن كان الرجل ليبكي عشرين سنة ومعه امرأته، ما تعلم به) [٥٦٢] .

كل هذا، اللهم إلا في باب التعليم والتعلم، فإظهارهما مقدم، وقد علمنا من هذا الوجه فضل الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة وابن قدامة والأوزاعي والشوكاني والصنعاني والنووي والطبري والقرطبي وابن منظور والهيثمي والذهبي وابن رجب وابن أبي الدنيا وابن دقيق وابن الجوزي وشيخ

---

(٥٦١) (١٢/ ٢٠٠ : ٢٠١ سير الأعلام).
(٥٦٢) (١٣١ : ١٣٦/ الرقة والبكاء).

الإسلام وتلميذيه ابن القيم وابن كثير والحافظ، وغيرهم كثير وكثير، لا حيلة في حصرهم، فرحمهم الله وطيب ثراهم وجزاهم عن الإسلام والمسلمين خيرًا.

قال ابن عبد السلام رحمه الله : (يستثنى من استحباب إخفاء العمل : من يظهره ليقتدى به، أو لينتفع به ككتابة العلم)[٥٦٣] .

(٥٦٣) (١١ / ٣٤٥ فتح الباري) .

فصل في : هل يبطل العمل المرائي به ؟

شرط قبول العمل أن يكون خالصًا لوجه الله عز وجل موافقًا لسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، كما قال الفضيل بن عياض في قوله تعالى : ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ [٥٦٤]، قال : (أيكم أخلصه وأصوبه، قيل : يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه، قال إن العمل إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يقبل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يقبل حتى يكون خالصًا صوابًا، فالخالص ما كان لله تعالى والصواب ما كان على السنة)[٥٦٥] .

وفي هذا الباب، يجب التفريق بين خمسة فروض :

(الأول) إذا كان العمل كله مراءى به فيبطل بلا خلاف بين أهل العلم، كما لو اعتاد ابن ضرب أبيه وأمه فلما كان أمام الناس ذهب يقبل أيديهما ليظهر برًّا، فأجره حابط، وإثمه ثابت، ولا شك في عقوقه لهما .

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله : (وهذا الرياء المحض لا يكاد يصدر عن مؤمن في فرض الصلاة والصيام، وقد يصدر في الصدقة الواجبة أو الحج أو غيرهما من الأعمال الظاهرة أو التي يتعدى نفعها، فإن الإخلاص فيها عزيز وهذا العمل لا يشك مسلم أنه حابط، وأن صاحبه يستحق المقت من الله والعقوبة) [٥٦٦]، وقال الشيخ ابن العثيمين رحمه الله : (أن يكون في أصل

---

(٥٦٤) (٢ / الملك).

(٥٦٥) (٣٠٥ / فتح المجيد).

(٥٦٦) (٢٧ : ٢٨ / جامع العلوم والحكم) .

العبادة : أي ما قام يتعبد إلا للرياء فهذا عمله باطل مردود عليه)[٥٦٧] .

فهذا القسم من الأعمال مردود على صاحبه وقد يكون سببًا في هلاكه واستحقاقه العقوبة في الدنيا قبل الآخرة، والأدلة عليه كثيرة جدا سبق ذكرها تفصيلاً في باب : تحريم الرياء وذمه، وأغلبها صحيح وصريح في بطلان عمل المرائي، وخذلان صاحبه .

(الثاني) إن ابتدأ العمل لله ثم طرأ عليه الرياء، فإن كرهه وجاهده ودافعه صح عمله على نحو ما بينا سلفا .

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله : (وأما إن كان أصل العمل لله ثم طرأت عليه نية الرياء، فإن كان خاطرًا ودفعه فلا يضره بغير خلاف)، وكذا قال بمضمونه الشيخ ابن العثيمين رحمه الله [٥٦٨] .

(الثالث) وهو عكس الأخير أن يبدأ العمل لغير الله تعالى، ثم يعرض له تغيير النية لله عز وجل، فالراجح أنه لا يحتسب له ما مضى من عمله، ويحتسب له من حين تغيير نيته لله عز وجل، اللهم إلا إذا كانت العبادة لا يصح آخرها إلا بصحة أولها وجبت الإعادة كالصلاة[٥٦٩] .

(الرابع) أن يكمل العمل خالصًا لله تعالى، ثم يباهي به المرء بعد تمامه، قاصدًا الشهرة أو غيرها : وحقيقة أن هذا لا يعد رياءً بالمعنى الشرعي – وقد أشرنا إلى هذا سلفًا – وإن اندرج تحت أبواب أُخر، قد تلحق بالرياء كالسمعة، أو لا تلحق به كالعجب، وعلى هذا فورود الرياء بعد الفراغ من العمل لا

---

(٥٦٧) (٧٤/ القول المفيد).
(٥٦٨) (٣٠/ جامع العلوم والحكم) (٧٤/ القول المفيد).
(٥٦٩) (٢/ ٤٣٣ إعلام الموقعين) .

يحبطه، وإن أُصيب صاحبه بسيئات، قد تطيح بثواب العبادة، فيخرج من ذلك لا له ولا عليه، والله أعلم .

قال العلامة ابن الجوزي رحمه الله : (لأنه قد تم على نعت من الإخلاص، فلا ينعطف ما طرأ عليه بعده لا سيما إذا لم يتكلف هو إظهاره، والتحدث به فأما إذا تحدث بعد فراغه وأظهره، فهذا مخوف)[٥٧٠] .

(الخامس) إذا بدأ العمل خالصًا لوجه الله تعالى ثم طرأ عليه الرياء، كما لو اعتاد شخص قراءة جزء معين من كتاب الله عز وجل، وعندما شرع في القراءة ذات يوم دخل عليه داخل فزاد على الجزء الذي اعتاد قراءته جزءًا آخر ليظهر صلاحًا، ونحو ذلك لو اعتاد أن يتصدق بدينار كل يوم، فلما لازمه صاحب له تصدق بدينارين ليظهر جودًا : فالعلماء في هذا الفرض على أربعة أقوال :

الأول : يصح العمل ويجازى المرء بنيته الأولى، قال بذلك الإمام أحمد وابن جرير والحسن رحمهم الله، وجملة من أهل العلم[٥٧١] .

الثاني : يصح منه جزء العمل الذي لم يدخله الرياء، ويبطل الجزء الآخر الذي شابه الرياء، قال بذلك جملة من العلماء، واستندوا في ذلك لقول الله عز وجل : ﴿وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾[٥٧٢] .

والثالث : يبطل العمل إذا ابتدأ لله ثم طرأ عليه الرياء، فاستراحت له النفس وسكنت إليه، نص على ذلك أكثر أهل العلم[٥٧٣] .

---

(٥٧٠) (١ / ١٠٧ الآداب الشرعية) .

(٥٧١) (٣٠ / جامع العلوم والحكم) .

(٥٧٢) (١٨ / فاطر) .

(٥٧٣) (٢٠ / محرمات استهان بها الناس) .

قال العلامة ابن القيم رحمه الله : يجازى على نيته الأولى ما لم يفسخ العمل بإرادة جازمة لغير الله تعالى فيكون حكمه حكم قطع النية في أثناء العبادة وفسخها[٥٧٤] .

وقال الحافظ ابن رجب رحمه الله : (ومن يروى عنه هذا المعنى : أن العمل إذا خالطه شيء من الرياء كان باطلاً، طائفة من السلف منهم : عبادة بن الصامت وأبو الدرداء والحسن وسعيد بن المسيب وغيرهم، ولا نعرف عن السلف في هذا خلافًا، وإن كان فيه عن بعض المتأخرين)[٥٧٥] .

وأصحاب هذا القول استدلوا بحديث النبي صلى الله عليه وسلم : «**قَالَ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**»[٥٧٦] .

والرابع : أصحابه فرقوا بين نوعين من العمل :

النوع الأول : إذا كان العمل متصل الأركان : فيبطل كله ما دخله الرياء وما لم يدخله، كما لو اعتاد المرء أن يصلي نافلة معينة بقصار السور، فلما دخل عليه جمع من الناس صلى بطوال السور ليظهر طول صلاة، ففي هذا الفرض لا يمكن الفصل بين صلاته التي اعتادها ولم يدخلها في حد ذاتها الرياء وإطالته للقراءة والتي شابها الرياء، فعند أصحاب هذا الرأي عمله لا يصح .

النوع الثاني : إذا كان العمل غير متصل الأركان : فيصح الجزء منه الذي لم يدخله الرياء، ويبطل الآخر الذي شابه الرياء، وكل جزء بحسبه وعلى

---

(٥٧٤) (٢ / ٤٣٣ إعلام الموقعين) .

(٥٧٥) (٢٩ / جامع العلوم والحكم) .

(٥٧٦) سبق تخريجه .

قدر نية المرء فيه، ونحو ذلك لو اعتاد المرء أن يتصدق بدينار كل يوم، فلما كان أمام الناس تصدق بدينارين، فأما الدينار الذي اعتاد إخراجه بغير رياء فلا تثريب عليه، وأما الآخر والذي دفعه ليظهر كرمًا فلا اعتبار له .

ومن الذين فرقوا من المتقدمين العلامة ابن جرير رحمه الله فقال : (إن هذا الاختلاف إنما هو عمل يرتبط آخره بأوله كالصلاة والصيام والحج فأما ما لا ارتباط فيه كالقراءة والذكر وإنفاق المال ونشر العلم فإنه ينقطع بنية الرياء الطارئة عليه ويحتاج إلى تجديد نية) (٥٧٧) .

ومن الذين فرقوا من المتأخرين الشيخ ابن العثيمين رحمه الله فقال : الحالة الأولى : أن يكون آخر العبادة مبنيًا على أولها، بحيث لا يصح أولها مع فساد آخرها : فهذه كلها فاسدة، وذلك مثل الصلاة، فالصلاة مثلاً لا يمكن أن يفسد آخرها ولا يفسد أولها، وحينئذ تبطل الصلاة كلها إذا طرأ الرياء في أثنائها ولم يدافعه .

الحالة الثانية : أن يكون أول العبادة منفصلاً عن آخرها بحيث يصح أولها دون آخرها، فما سبق الرياء فهو صحيح وما كان بعده فهو باطل) (٥٧٨) .

مسألة : الرياء في الوضوء :

لو حدث الرياء في أثناء الوضوء، بمعنى أن يعمد المرء إلى إسباغ الوضوء، أو الزيادة في المسح والغسل على ثلاث، كي يستحسن الناس وضوءه، أو أن يجدد وضوءه لا لأجل التطهير، وإنما لأجل رؤية الناس .

فهل يبطل الوضوء كلية في الفروض المشار إليها، ويلزم المرء الإعادة، أم

---

(٥٧٧) (٣٠/ جامع العلوم والحكم) (٤٧٠ / تيسير العزيز الحميد).
(٥٧٨) (٧٤ : ٧٥ / القول المفيد) بتصرف .

يبطل ما شابه الرياء فقط، ويصح ما لم يدخله الرياء ؟

وبعبارة أخرى : هل يلحق الوضوء بالصلاة (عمل متصل الأركان)، أم بالصدقة (عمل غير متصل الأركان) ؟

أجاب عن ذلك الشيخ ابن العثيمين رحمه الله، بما حاصله :

(يحتمل هذا وهذا، فيلحق بالصلاة، لأن الوضوء عبادة واحدة ينبني بعضها على بعض، ليس تطهير كل عضو عبادة مستقلة، ويلحق بالصدقة، لأننا إذا قلنا ببطلان ما حصل فيه الرياء، فأعاد تطهيره وحده لم يضر، لأن تكرار غسل العضو لا يبطل الوضوء، ولو كان عمدًا بخلاف الصلاة، والترتيب موجود في هذا وهذا، لكن الزيادة في الصلاة تبطلها، والزيادة في الوضوء لا تبطله، والرجوع مثلاً إلى الأعضاء الأولى لا يبطله أيضًا، وإن كان الرجوع في الحقيقة لا يعتبر وضوءًا، لأنه غير شرعي) [٥٧٩] .

---

(٥٧٩) (٧٤ : ٧٥ / القول المفيد) بتصرف .

فصل في : الأسباب المعينة على ترك الرياء

عَنْ أَبِى ذَرٍّ رضي الله عنه عَنِ النبي صلى الله عليه وسلم فِيمَا رَوَى عَنِ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ : «**يَا عبادي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلاَّ مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِى أَهْدِكُمْ**»[٥٨٠]، ودخول السين على الهداية يفيد الطلب، فأمر الله عز وجل بطلب الهداية منه، فلا يكفي إرادتها وأن ينتظرها المرء تهوي عليه من السماء وإنما لا بد من طلبها منه تعالى .

وهكذا أي فعل محمود لتحصيله أو عمل مذموم لتجنبه، لا بد من جمع أسباب التحصيل أو التجنب، كل بحسبه، ولا يكفي إرادة الفعل أو الترك في حد ذاتها، لذا كان لزامًا على كل من صنف في الآداب إيراد طرق تحصيلها وكل من صنف في المذام إيراد طرق علاجها :

ترجو النجاةَ ولم تَسلك مسالِكَها إن السفينةَ لا تجري على اليَبِس

وللرياء - كمرض - طرق للعلاج : عامة له ولغيره من المعاصي والذنوب كالدعاء والاطلاع على حياة الصحابة رضي الله عنهم والتابعين وسائر السلف الصالح رحمهم الله، وطرق علاج خاصة تتنزل على داء الرياء فتبرئ القلب منه بإذن الله، وهي التي فصلنا فيها :

أولا : معرفة الإخلاص :

وأول الأسباب المعينة على ترك الرياء، معرفة الإخلاص، فالمرء إن عرف حقيقة الإخلاص، علم الرياء حين يدخل إلى قلبه فيدفعه :

كيف الوصول إلى سعاد ودونها قلل الجبال ودونهن حتوف

(٥٨٠) صحيح : (٢٥٧٧ / البر والصلة والأدب / مسلم) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

الرجل حافية ومالي مركب والكف صفر والطريق مخوف

قال العلامة ابن القيم رحمه الله : (لا يجتمع الإخلاص في القلب، ومحبة المدح والثناء والطمع فيما عند الناس، إلا كما يجتمع الماء والنار، والضب والحوت) (٥٨١)، وقال أبو سليمان الداراني رحمه الله : (إذا أخلص العبد انقطعت عنه كثرة الوساوس والرياء) (٥٨٢)، وقال سهل بن عبد الله رحمه الله : (لا يعرف الرياء إلا مخلص ولا النفاق إلا مؤمن ولا الجهل إلا عالم ولا المعصية إلا مطيع) (٥٨٣) .

وهكذا دائمًا : إذا جهل المرء أركان الشيء لا يستطيع أن يفرق بينه وبين نقيضه .

قال العلامة ابن القيم رحمه الله : (الجهل بالطريق وآفاتها، والمقصود يوجب التعب الكثير مع الفائدة القليلة) (٥٨٤) .

وفي الجهل قبل الموت موت لأهله وأجسامهم قبل القبور قبور
وأرواحهم في وحشة من جسومهم فليس لهم حتى النشور نشور

وليُعلم أن معرفة الإخلاص ليست بالأمر الهين أو اليسير، وليت الأمر كذلك .

قال الله عز وجل : ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ (٥٨٥) .

---

(٥٨١) (١٩٠ / الفوائد).
(٥٨٢) (٢ / ٩٦ مدارج السالكين) .
(٥٨٣) (٩٦ / مختصر شعب الإيمان).
(٥٨٤) (٢١٥ / الفوائد).
(٥٨٥) (٢٤ / السجدة).

قال أبو موسى رضي الله عنه : (نية المؤمن خير من عمله، وإن الله عز وجل ليعطي العبد على نيته ما لا يعطيه على عمله، وذلك أن النية لا رياء فيها والعمل يخالطه الرياء) [٥٨٦]، وقال يحيى بن أبي كثير رحمه الله : (تعلموا النية، فإنها أبلغ من العمل)، وقال ابن المبارك رحمه الله : (رُب عمل صغير تعظمه النية، ورُب عمل كبير تصغره النية) [٥٨٧]، وقال الثوري رحمه الله : (ما جاهدت نفسي على شيء ما جاهدتها على الإخلاص)، وقال يوسف بن الحسين رحمه الله : (أعز شيء في الدنيا الإخلاص، وكم أجتهد في إسقاط الرياء عن قلبي فكأنه ينبت على لون آخر) [٥٨٨]، وقال الغزالي رحمه الله : (لا يستطيع أحد أن يقمع الرياء إلا بمجاهدة شديدة ومكابدة لقوة الشهوات) [٥٨٩]، وقال الطيبي رحمه الله : (وهو - أي الرياء - من أضر غوائل النفس وبواطن مكائدها يبتلى به العلماء والعباد والمشمرون عن ساق الجد لسلوك طريق الآخرة) [٥٩٠].

وقال الشيخ ابن العثيمين رحمه الله : (فالإخلاص صعب جدًا، إلا أن الإنسان إذا كان متجهًا إلى الله اتجاهًا صادقًا سليمًا على صراط مستقيم، فإن الله يعينه عليه وييسره له) [٥٩١].

من هذا الباب:

---

(٥٨٦) (٧٢٧٠/ كنز العمال).

(٥٨٧) (٧٢٧٠/ كنز العمال).

(٥٨٨) (٢/ ٩٦ مدارج السالكين).

(٥٨٩) (٣/ ٣١٠ الإحياء).

(٥٩٠) (٤٧٢ : ٤٧٣/ تيسير العزيز الحميد).

(٥٩١) (٧٨/ القول المفيد).

كان قول النبي صلى الله عليه وسلم: «أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ» [٥٩٢]، وقوله: «أشهَدُ أن لاَ إلهَ إلاَّ الله وأنِّي رَسُول الله، لاَ يلقَى الله بِهمَا عبدٌ، غيرَ شاكٍّ فِيهمَا، إلاَّ دخَلَ الجنَّة» [٥٩٣]، وقوله: «منْ مَات لاَ يُشرِكُ بالله شيئًا دَخَل الجنَّة، ومن مَاتَ يُشركُ بالله شيئًا دَخلَ النَّار» [٥٩٤]، وقوله صلى الله عليه وسلم لأبي هريرة رضي الله عنه: «اذهَب بِنَعلي هَاتين، فَمَن لَقِيتَ منْ وراءِ هذَا الحَائطِ يشهَدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ الله، مُستيقنًا بِهَا قلبُه، فبشِّرهُ بالجنَّةِ» [٥٩٥].

ثانيا: التفكر في الجنة والنار:

من أهم الأسباب الباعثة على إخلاص العمل لله عز وجل وترك الرياء، استحضار مشهد يوم الحساب، يوم الجزاء يوم تشقق السماء وتبدل الأرض غير الأرض وتكون الجبال كالعهن المنفوش، يوم يكون الناس كالفراش المبثوث يوم تدنو الشمس من الرءوس:

يوم القيامة لو علمت بهوله	لفررت من أهل ومن أوطان
يوم عظيم مستطير شره	في الخلق منتشر عظيم الشان
يوم تشققت السماء لهوله	وتشيب منه مفارق الولدان

يومها اصطف الناس أمام ربهم الملك العدل الحق ذي الجلال والجمال

(٥٩٢) صحيح: (٩٩/ العلم/ البخاري) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٥٩٣) صحيح: (٢٧/ الإيمان/ مسلم) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٥٩٤) صحيح: (٩٣/ الإيمان/ مسلم) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٥٩٥) صحيح: (٣١/ الإيمان/ مسلم) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

والكمال، الذي ما السموات والأرض مثقال حبة من خردل في عرشه، طوى السموات والأرض بيمينه، واصطفت الملائكة على أهبة الاستعداد، فاشرأبت الأعناق تنتظر الحساب فإذا الناس فريقان :

فريق بدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون، اسودت وجوههم ترهقهم ذلة كأنما أغشيت وجوههم قطع من الليل مظلمًا، فسيقوا على وجوههم عميًا وبكمًا وصما إلى جهنم زمرًا، الأغلال في أعناقهم إلى الأذقان - فهم مقمحون - والسلاسل منها يسحبون، حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها، فإذا ألقوا منها مكانًا ضيقًا مقرنين دعوا هنالك عويلاً وثبورًا فأدخلوا داخرين، لباسهم مقامع من حديد، سرابيلهم من قطران، تغشى وجوههم النار، شرابهم ماء حميم قطع أمعاءهم، طعامهم من ضريع لا يسمن ولا يغني من الجوع، وشجرة الزقوم كالمهل تغلي في البطون، يصب من فوق رءوسهم الحميم، يصهر به ما في بطونهم والجلود، كلما نضجت جلودهم بدلوا جلودًا غيرها، والملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم، فيصرخون : يا مالك ليقض علينا ربك قال إنكم ماكثون .. هل تجزون إلا ما كنتم تعملون، فينادوا أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله، فكبت وجوههم في النار، مأواهم فيها كلما خبت ازدادت سعيرًا وهم فيها كالحون، فلا يستطيعون ردها ولا هم ينصرون أولئك شر مكانًا وأضل سبيلاً .

وفريق ابيضت وجوههم لا يرهقها قترٌ ولا ذلة، نزع ما في صدورهم من غل، فتعرف في وجوههم نضرةَ النعيم، وأزلفت لهم الجنة، وعد الصدق الذي كانوا يوعدون، حتى إذا جاءتهم فتحت أبوابها، وقال لهم خزنتها طبتم فادخلوها أنتم وأزواجكم خالدين، لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون، فيها

أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى، شرابهم من كأس كان مزاجها كافورًا، طعامهم من كل الثمرات، ولحم طير مما يشتهون، وفاكهة كثيرة مما يتخيرون، مساكنهم خيام وقصور لا يرى ظاهرها من باطنها تجري من تحتها الأنهار، متكئين على سررٍ مصفوفة، أزواجهم حور عين لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان، غلمانهم كأمثالِ اللؤلؤ المكنون،، فهم في شغلٍ فاكهون، قولهم : الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون، فنادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقًّا فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقًّا :

ولا خير في عيش امرئ لم يكن له ... من الله في دار القرار نصيب

فهل يستوي الفريقان، أصحاب النار وأصحاب الجنة؟ أصحاب الجنة هم الفائزون، فأحق القول قول ربي: ﴿فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الغُرُورِ﴾[٥٩٦] .

رضيت بذي الدنيا ككل مكاثرِ ... ملحٍ على الدنيا وكل مفاخـرِ
ألم ترها تسقيه حتى إذا صبا ... فرتْ حلقه منها بشفرةِ جازر
ولا تعدلُ الدنيا جناح بعوضـةٍ ... لدى الله أو معشار نغْبة طائر
فلم يرض بالدنيا ثوابا لمؤمنٍ ... ولم يرض بالدنيا عقابا لكافرِ[٥٩٧]

(٥٩٦) (١٨٥ / آل عمران).
(٥٩٧) لأبي العتاهية .

ثالثًا : إسرار العمل :

قال الله عز وجل : ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [٥٩٨]، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**الجَاهِرُ بالقُرآنِ كالجَاهِرِ بالصَّدقة والمسرُّ بالقُرآنِ كالمسرِّ بالصَّدقةِ**» [٥٩٩]، قال الإمام الترمذي رحمه الله : ومعنى هذا الحديث أن الذي يسر بقراءة القرآن أفضل من الذي يجهر بقراءة القرآن لأن صدقة السر أفضل عند أهل العلم من صدقة العلانية والمعنى عند أهل العلم لكي يأمن الرجل من العجب لأن الذي يسر العمل لا يخاف عليه العجب ما يخاف عليه من علانيته [٦٠٠] .

وعن علي رضي الله عنه قوله : (طوبى لعبد نومة، عرفه الناس ولم يعرفه الناس وعرفه الله منه برضوان أولئك مصابيح الهدى تجلى عنهم كل فتنة مظلمة) [٦٠١] :

تواريت من دهري بظل جناحه ... فعيني ترى دهري وليس يراني
ولو تسأل الأيام ما اسمي وأين مكاني ... لما درت وما عرفن مكاني

وقال ابن مسعود رضي الله عنه : (كونوا جدد القلوب، خلقان الثياب، مصابيح الظلام، تَخفَون على الأرض، وتُعرفُون في أهل السماء) [٦٠٢] .

---

(٥٩٨) (٢٧١ / البقرة).
(٥٩٩) سبق تخريجه .
(٦٠٠) (٥ / ١٨١ سنن الترمذي).
(٦٠١) سبق تخريجه .
وقوله (لعبد نومة) : قيل : الخامل الذكر الذي لا يؤبه له ، وقيل : الغامض في الناس الذي لا يعرف الشر وأهله (٥ / ١٣١ النهاية).
(٦٠٢) (٢٥٦ / الدارمي) (١٧٩ / العزلة).

وأنشد إبراهيم بن أدهم رحمه الله :

هجرت الخلق طرًّا في هواكا وأيتمت العيال لكي أراكا
فلو قطعتني في الحب إربا لما حن الفؤاد إلى سواكا

لذا فإنه ينبغي على العبد إذا فرغ من عمله الصالح أن يستودعه خزانة الأسرار، ويضع عليه قفل الإخلاص، فإنه لا يأمن الشيطان على عمله لعله سطا عليه، فأخرجه من ديوان السر إلى ديوان العلن، ولعله زاد في الكيد للعبد حتى أخرجه من ديوان العلن إلى ديوان الرياء، فيسجل العمل في السيئات وقد ظن العبد أنه في الحسنات سجل [٦٠٣]، وفي الباب عن أبي الدرداء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**إنَّ الاتِّقاءَ علَى العمَل أشدُّ منَ العملِ وإنَّ الرجلَ ليعملُ العملَ فيكتبُ لهُ عملٌ صالحٌ معمولٌ به في السرِّ يضعفُ أجره سبعينَ ضعفًا فلاَ يزالُ بِهِ الشَّيطانُ حتَّى يذكُره للنَّاسِ ويعلنَه فيكتبَ علانيةً ويمحَى تضعيفُ أجرِه كلّه ثمَّ لاَ يزالُ به الشَّيطانُ حتَّى يذكره للنَّاس الثَّانيةَ ويحبُّ أنْ يذكرَ بِهِ ويحمدَ علَيه فيمحَى منَ العلانيةِ ويكتب ريَاء فاتَّقى الله امرؤ**

(٦٠٣) (١٠٦ / صفقات رابحة)

وفي الباب حديث ضعيف :

(لو أن أحدكم يعمل في صخرة صماء ليس لها باب ولا كوة لخرج عمله للناس كائنًا ما كان) (٣/ ٢٨ أحمد في المسند) (٤ / ٣٥٠ المستدرك) كلاهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا، وفي مسند أبي يعلى (٢ / ٥٢٢) من حديث أبي سعيد رضي الله عنه معلقًا، وفي صحيح ابن حبان (٥٦٧٨) مطولا من حديث أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (من تواضع لله درجة يرفعه الله درجة حتى يجعله في أعلى عليين ومن يتكبر على الله درجة يضعه الله درجة حتى يجعله في أسفل السافلين ولو أن أحدكم يعمل في صخرة صماء ليس عليه باب ولا كوة لخرج ما غيبه للناس كائنًا ما كان) .

قال الحاكم: (صحيح الإسناد ولم يخرجاه) (٤ / ٣٥٠ المستدرك) ، وضعفه الألباني (١٧٣٣ / ضعيف الترغيب) (١٨٠٧ / الضعيفة).

صانَ دينَه» [٦٠٤] .

ولما كان إسرار الطاعات من أصعب الأعمال كان جزاؤه دومًا أعلى الدرجات : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «**إنَّ الله يحبُّ العبدَ التقيَّ الغنيَّ الخفيَّ**» [٦٠٥]، وقال أيضًا : «**إنَّ صدقةَ السرِّ تطفئ غضبَ الربِّ**» [٦٠٦]، وفي حديث السبعة الذين يظلهم الله بظله يوم القيامة شاهد أيضًا، قال صلى الله عليه وسلم : «**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ الله في ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إلاَّ ظِلُّهُ الإِمَامُ العَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ في عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ في المَسَاجِدِ، وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا في الله اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إني أَخَافُ الله، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ أَخْفَى حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ الله خَالِيا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ**» [٦٠٧] .

---

(٦٠٤) سبق تخريجه .

وفي الباب حديث ضعيف :

(يكون في آخر الزمان أقوام إخوان العلانية أعداء السريرة) فقيل: يا رسول الله وكيف يكون ذلك ؟ قال: (ذلك برغبة بعضهم إلى بعض ورهبة بعضهم من بعض) : (٥ / ٢٣٥ أحمد في المسند) (١ / ١٣٨ الطبراني في الأوسط) (٢ / ٣٤١ الشاميين) جميعهم من حديث معاذ رضي الله عنه ، ضعفه الألباني (٥٣٣٠ / المشكاة) .

(٦٠٥) سبق تخريجه .

وفي الباب حديث ضعيف :

(إن الله يحب من عباده الأخفياء الأتقياء الذين إذا حضروا لم يعرفوا ، وإذا غابوا لم يفقدوا، أولئك أئمة الهدى ومصابيح العلم) (سبق تخريجه) .

(٦٠٦) سبق تخريجه .

(٦٠٧) سبق تخريجه .

وفي الباب جملة من الأحاديث الضعيفة :

(فضل صلاة الليل على صلاة النهار كفضل صدقة السر على صدقة العلانية) سبق تخريجه

(دعوة في السر تعدل سبعين دعوة في العلانية) سبق تخريجه .

فهذه هي الصـدقة التي تنفع صاحبها وتكسبه ظلاً ممدوداً يوم القيامة، وهذا هو البكاء الذي ينفع صاحبه، الذي يكـون إذا خلا المرء بنفسه وبذنوبها فندم وتأسف، وقد كان السلف رحمهم الله يخفون دموعهم وينكرونها، فكان محمد بن كعب القرظي رحمه الله : يقص ودموعه تجري على خديه، فإن سمع باكيًا زجره وقال : (ما هذا ؟)، وكان ابن المبارك رحمه الله إذا رق فخاف أن يظهر ذلك منه قام وربما أخذ في حديث آخر، ونَحَبَ رجل عند الحسن البصري رحمه الله فقال له : (ليسألنك الله يوم القيامة ما أردت بهذا)، وقال لآخر : (إن كان لله فقد شهرت نفسك، وإن كان لغير الله هلكت)، وبكى رجل إلى جنبه يومًا فقال : (قد كان أحدهم يبكي إلى جنب صاحبه فما يعلم به)، وقال محمد بن واسع رحمه الله : (إن كان الرجل ليبكي عشرين سنة ومعه امرأته، ما تعلم به)[٦٠٨] .

بكى الباكون للرحمن ليـلاً ... وباتوا ليلهم لا يسأمـون
بقاع الأرض من شوق إليهم ... تحِنُّ متى عليها يسجدون

قال محمد بن القاسم رحمه الله : صحبت محمد بن أسلم أكثر من عشرين سنة لم أره يصلي حيث أراه ركعتين من التطوع إلا يوم الجمعة، وسمعته كذا وكذا مرة يحلف لو قدرت أن أتطوع حيث لا يراني ملكاي لفعلت خوفًا من الرياء، وكان يدخل بيتًا له ويغلق بابه ولم أدر ما يصنع حتى سمعت ابنًا له

وفي رواية (ركعتان بسواك أفضل من سبعين ركعة بغير سواك ، ودعوة في السر أفضل من سبعين دعوة في العلانية ، وصدقة في السر أفضل من سبعين صدقة في العلانية) سبق تخريجه .

(السر أفضل من العلانية ، والعلانية أفضل لمن أراد الاقتداء به) سبق تخريجه .

(٦٠٨) (١٣١ : ١٣٦ / الرقة والبكاء) .

صغيرًا يحكي بكاءه، وكان إذا أراد أن يخرج غسل وجهه واكتحل فلا يرى عليه أثر البكاء، وكان يصل قومًا ويكسوهم ويقول للرسول: انظر أن لا يعلموا من بعثه، ولا أعلم منذ صحبته وصل أحدًا بأقل من مائة درهم إلا أن لا يمكنه ذلك [٦٠٩].

قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله : (أعظم المعاقبة ألا يحس المعاقب بالعقوبة، وإني تدبرت أحوال أكثر العلماء والمتزهدين فرأيتهم في عقوبات لا يحسون بها فالعالم منهم يغضب إن رد عليه خطؤه، والواعظ متصنع بوعظه، والمتزهد منافق أو مراء فأول عقوباتهم إعراضهم عن الحق شغلاً بالخلق، ومن خفي عقوباتهم سلب حلاوة المناجاة ولذة التعبد، إلا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات يحفظ الله بهم الأرض، بواطنهم كظواهرهم بل أجلى، وسرائرهم كعلانيتهم بل أحلى، وهممهم عند الثريا بل أعلى، إن عرفوا تنكروا، وإن رأيت لهم كرامة أنكروا، فالناس في غفلاتهم وهم في قطع فلاتهم، تحبهم بقاع الأرض وتفرح بهم ملاك السماء نسأل الله عز وجل التوفيق لاتباعهم وأن يجعلنا من أتباعهم) [٦١٠].

أما حديث أبي هريرة قال : قلت: يا رسول الله بينا أنا في بيتي في مصلاي إذ دخل علي رجل فأعجبني الحال التي رآني عليها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «**رحمكَ الله يَا أبَا هريرةَ لكَ أجْران أجرُ السرِّ وأجرُ العلانية**» فمردود عليه من وجوه :

---

(٦٠٩) (١٢ / ٢٠٠ : ٢٠١ سير الأعلام).
(٦١٠) (١٤ / صيد الخاطر) .

أولها (ضعف الحديث)[٦١١]، ووجوه أخر في تأويل الحديث على فرض صحته، سبق أن بيناها في مسألة إذا سر الإنسان بطاعته، هل يعد مرائياً .

وإسرار الأعمال :

أول العلامات الدالة على الإخلاص : سئل الحسن البصري رحمه الله عن الإخلاص والرياء فقال : (من الإخلاص أن تحب أن تكتم حسناتك، ولا تحب أن تكتم سيئاتك، فإن أظهر الله عليك حسناتك تقول هذا من فضلك وإحسانك، وليس هذا من فضلي ولا من صنيعي، وأما الرياء فطلب حظ النفس من عملها في الدنيا)، قيل له : كيف يكون هذا؟ قال : (من طلب بعمل بينه وبين الله تعالى سوى وجه الله تعالى والدار الآخرة، فهو رياء)[٦١٢] .

وقد قدمنا، أن إسرار الأعمال، ليس له نصيب في باب التعليم والتعلم، حيث لا يمكن بأي حال من الأحوال الجمع بينهما، قال ابن عبدالسلام رحمه الله: (يستثنى من استحباب إخفاء العمل : من يظهره ليقتدى به، أو لينتفع به ككتابة العلم)[٦١٣] .

رابعًا : إتقان العمل في العلانية كإتقانه في السريرة :

من أهم السبل لعلاج الرياء : إتقان العمل في العلانية كالسر فاحتمال دخول الرياء إلى قلب المعلن أقوى من احتمال دخوله قلب المسر حيث لا يبصره إلا الله عز وجل، لذلك قلما أتقن المرء العمل في العلانية كالسريرة، لذا

---

(٦١١) وقد بينا وجه الضعف عند تخريج الحديث في الحاشية في فصل إذا سر الإنسان بطاعته ، هل يعد مرائيًا .

(٦١٢) (١١ / ٦١ الجامع لأحكام القرآن).

(٦١٣) (١١ / ٣٤٥ فتح الباري) .

كان الأخير أحب إليه عز وجل منه في العلانية .

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : (إن من موجبات الله ثلاثًا إذا رأى حقًّا من حقوق الله لم يؤخره إلى أيام لا يدركها، وأن يعمل العمل الصالح العلانية على قوام من عمله في السريرة، وهو يجمع مع ما يعمل صلاح ما يؤمل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**فهكذا ولي الله**» وعقد بيده) (٦١٤) .

وفي الأثر : (من أصلح سريرته أصلح الله علانيته، ومن أصلح ما بينه وبين الله عز وجل، أصلح الله ما بينه وبين الناس)، قال سفيان بن عيينة رحمه الله : كان العلماء فيما مضى يكتب بعضهم إلى بعض بهؤلاء الكلمات (٦١٥) .

---

(٦١٤) ضعيف : (٩٨ / الزهد لابن المبارك) موقوفًا على عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، وفي سنده أبو جناب الكلبي (واسمه يحيى بن أبي حية ، عن أبي المحجل ، والأول ضعيف ومدلس (١١ / ١٧٧ التهذيب) ، والثاني مجهول (١ / ٧٦ الإصابة) .
وفي المعجم الأوسط للطبراني (٦ / ١٨٤) من حديث جابر رضي الله عنه مرفوعًا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وفي سنده عمر بن يحيى الأيلي عن حكيم بن حزام عن أبي جناب ، والأول ضعيف (٤ / ٣٣٨ لسان الميزان) والثاني متروك (٢ / ٣٤٢ لسان الميزان) والثالث سبق بيان حاله .
وفي الباب حديث ضعيف :
(إن العبد إذا صلى في العلانية فأحسن وصلى في السر فأحسن قال الله عز وجل: هذا عبدي حقًّا) (٤٢٠٠ / الزهد / ابن ماجه) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، ضعفه البوصيري في زوائد ابن ماجه ، وضعفه الألباني (١٤٩٨ / ضعيف الجامع) ، وفي إسناده بقية بن الوليد وهو مدلس ، وقد عنعن .
وأيضًا من الضعيف :
(تمام البر أن تعمل في السر عمل العلانية) ، (٢٢ / ٣١٨ الطبراني في الكبير) من حديث أبي عامر السكوني ، ضعفه الألباني (٣٤١٣ / الضعيفة) .
(٦١٥) (١ / ١٠٩ الآداب الشرعية).

خامسًا : ألا ترى لنفسك حقًّا، ولا تعرف لها فضلاً :

فعلى المرء أن يعلم أن أعماله الصالحة التي قام ويقوم وسيقوم بها، مردها إلى الله عز وجل، بتوفيقه ومنّه، حيث أراد به عز وجل خيرًا، وإلا كان يمكن أن يكون أحد العاصين الضالين الذين في الفتنة سقطوا، فليحمد الله على هذا، وليعلم أن شكره يحتاج إلى شكر، وشكره يحتاج إلى شكر، فأنى يؤدي الشكر .

وتأمل آيات الله عز وجل :

﴿قُلْ إِنَّ الهُدَى هُدَى الله أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الفَضْلَ بِيَدِ الله يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَالله وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [٦١٦]، ﴿قُلْ أَنَدْعُو مِنْ دُونِ الله مَا لا يَنْفَعُنَا وَلا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا الله كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى الله هُوَ الهُدَى وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ العَالَمِينَ﴾ [٦١٧]، ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رسُولاً أَنِ اعْبُدُوا الله وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى الله وَمِنْهُمْ مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ﴾ [٦١٨]، ﴿ذَلِكَ هُدَى الله يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [٦١٩]، ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [٦٢٠]، ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدىً مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ﴾ [٦٢١]، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى الله فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [٦٢٢]، ﴿فَرِيقاً هَدَى وَفَرِيقاً حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلالَةُ﴾ [٦٢٣]،

---

(٦١٦) (٧٣/ آل عمران).
(٦١٧) (٧١/ الأنعام).
(٦١٨) (٣٦/ النحل).
(٦١٩) (٨٨/ الأنعام).
(٦٢٠) (٥٠/ طه).
(٦٢١) (٥/ البقرة).
(٦٢٢) (٩٠/ الأنعام).

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدى﴾ (٦٢٤)، ﴿وَيَزِيدُ الله الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدى﴾ (٦٢٥)، ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ (٦٢٦) .

فكل الآيات نسبت الهدى إلى الله تعالى، وأخبرت بأنه هو الذي يملك زيادته وحرمانه، فأين عمل المرء وفضله، ومن أعانه على هذا العمل، ومن منحه هذا الفضل .

قال ابن عقيل رحمه الله : (إن العجب يدخل من إثبات نفسك في العمل ونسيان ألطاف الحق، ومن إغفال نعمه التي لا تحصى وإلا فلو لحظ العبد اتصال النعم لاستقل عمله وإن كثر، ويدخل من الجهل بالمطاع فلو عرف العبد من يطيع ولمن يخدم ويدخل أيضًا من طرق الجهالة بكثرة الخلل والعلل التي ينبغي أن يكون معها على غاية الخجل، والخوف من أن يقع الطرد والرد، ويدخل أيضًا من النظر إلى الخلق بعين الاستقلال وإدمان النظر إلى العصاة المتشردين، ولو أنه نظر إلى العمال لله عز وجل لاستقل نفسه) (٦٢٧)، وروى الأوزاعي رحمه الله، عن ابن أبي لبابة رحمه الله قال : (أقرب الناس إلى الرياء آمنهم منه) (٦٢٨) .

وقد قدمنا أن إسرار الأعمال أول العلامات الدالة على الإخلاص .

---

(٦٢٣) (٣٠/ الأعراف).
(٦٢٤) (١٣ / الكهف).
(٦٢٥) (٧٦/ مريم).
(٦٢٦) (١٧ / محمد).
(٦٢٧) (١ / ١٠٨ الآداب الشرعية) بتصرف .
(٦٢٨) (١ / ٤٨٥ نزهة الفضلاء) .

أما ثاني هذي العلامات، فهو الباب الذي نحن فيه : ألا ترى لنفسك حقًّا، ولا تعرف لها فضلاً ؛ سئل الحسن البصري رحمه الله عن الإخلاص والرياء فقال : (من الإخلاص أن تحب أن تكتم حسناتك، ولا تحب أن تكتم سيئاتك، فإن أظهر الله عليك حسناتك تقول هذا من فضلك وإحسانك، وليس هذا من فضلي ولا من صنيعي، وأما الرياء فطلب حظ النفس من عملها في الدنيا)، قيل له : كيف يكون هذا؟ قال : (من طلب بعمل بينه وبين الله تعالى سوى وجه الله تعالى والدار الآخرة، فهو رياء)[٦٢٩] .

سادسًا : عدم الاغترار بإعجاب الخلق وثنائهم :

فالخلق لا يعلمون من المرء إلا ظاهره، أما قبيح فعله ودميم عمله فنفسه أعلم به :

يا جاهلاً غره إفراط مادحه لا يغلبن جهل من أطراك علمك بك
أثنى وقال بلا علمٍ أحاط به وأنت أعلم بالمحصول من ريبك

قال ابن عقيل رحمه الله : (أنت لو علمت أن إكرام الخلق لك رياء سقطت من عينك)[٦٣٠]، وقال ابن المقفع : (قابل المدح، كمادح نفسه)، وقال بعض الحكماء : (من رضي أن يمدح بما ليس فيه، فقد أمكن الساخر منه)، لذا فيروى أن الصديق رضي الله عنه كان إذا مُدح قال : (اللهم أنت أعلم بي من نفسي، وأنا أعلم بنفسي منهم، اللهم اجعلني خيرًا مما يحسبون، واغفر لي ما لا يعلمون، ولا تؤاخذني بما يقولون)[٦٣١] .

---

(٦٢٩)) ١١ / ٦١ الجامع لأحكام القرآن)
(٦٣٠)(١ / ١٠٩ الآداب الشرعية)
(٦٣١)(٢٩٢ : ٢٩٣ / أدب الدنيا والدين)

اعمل لنفسك صالحا لا تحتفل بظهور قيـــل في الأنـام وقال

وحُكي أن قومًا مشوا خلف علي رضي الله عنه فقال : (أبعدوا عني خفق نعالكم، فإنها مفسدة لقلوب الرجال)، ومشى غيرهم خلف ابن مسعود رضي الله عنه فقال : (ارجعوا، فإنهاَ زلةٌ للتابع، فتنةٌ للمتبوع) [٦٣٢] .

ولله در شيخ الإسلام محمد بن أسلم رحمه الله، حين قال :

إن الطبيبَ بطبـــهِ ودوائـهِ لا يستطيعُ دفاعَ مقـدُورٍ أتـى
ما للطبيب يموتُ بالداءِ الذي قد كان يُبري مثله فيما مضَى
هلكَ المُدَاوِي والمُدَاوَى والذي جلبَ الدواءَ وباعهُ ومن اشترى

سابعا : دفع خواطر الرياء :

وخواطره ثلاثة :

قال الغزالي رحمه الله: (وهى ثلاثة: العلم باطلاع الخلق ورجاء إطلاعهم، ثم هيجان الرغبة من النفس في حمدهم، وحصول المنزلة عندهم، ويعقب ذلك هيجان الرغبة في قبول النفس له، والركون إليه وعقد الضمير على تحقيقه .

والخاطر الأول: يسمى معرفة، والثاني: رغبة وشهوة، والثالث: هو العزم .

وكمال القوة في دفع الخاطر الأول قبل أن يعقبه الثاني، فإذا خطر له معرفة اطلاع الخلق أو رجاء إطلاعهم دفع ذلك بأن قال : ما لي وللخلق علموا أو لم يعلموا، والله عالم بحالي فأي فائدة في علم غيره؟ فإن هاجت

(٦٣٢) (٢٩٢ / أدب الدنيا والدين) .

الرغبة إلى لذة الحمد فعليه أن يذكر تعرض المرائي للمقت عند الله يوم القيامة وخيبته إلى أعماله، وعندئذ تثور عنده كراهة للرياء تقابل تلك الشهوة إذ يتفكر في تعرضه لمقت الله وعقابه الأليم، الشهوة تدعوه إلى القبول، والكراهة تدعوه إلى الإباء، والنفس تطاوع أقواهما ويتضح من ذلك أنه لابد في رد الرياء الذي خطر أثناء العبادة من المعرفة والكراهة والإباء) [٦٣٣] .

وليعلم أن دفع خواطر الرياء يحتاج إلى مجاهدة شديدة، قال الثوري رحمه الله : (ما جاهدت نفسي على شيء ما جاهدتها على الإخلاص)، وقال الغزالي رحمه الله : (لا يستطيع أحد أن يقمع الرياء إلا بمجاهدة شديدة ومكابدة لقوة الشهوات) [٦٣٤]، وقال بعض السلف : (تخليص النية من فسادها أشد على العاملين من طول الاجتهاد)، وقال أحدهم لنافع بن حبيب رحمه الله : ألا تشهد الجنازة؟ قال : (كما أنت حتى أنوي)، قال: ففكر هنيهة ثم قال : (امض)[٦٣٥] .

ثامنًا : العزلة إن كان لا بد منها :

قدمنا أن مخالطة الناس من أهم أسباب الرياء وبواعثه لأنه يرغب دائمًا أن يريهم أنه متصف بالخير والصلاح علـى خلاف ما هو عليه، قال إبراهيم ابن الأشعث رحمه الله : سمعت الفضيل يقول في مرضه : (من استوحش من الوحدة واستأنس بالناس لم يسلم من الرياء) [٦٣٦]، وقالوا قديمًا : (من عاشر الناس داراهم، ومن داراهم راياهم) .

---

(٦٣٣) (٣/ ٣١٠ الإحياء) بتصرف.
(٦٣٤) (٣/ ٣١٠ الإحياء) .
(٦٣٥) (٢٢/ جامع العلوم والحكم) .
(٦٣٦) (٨/ ٤٣٦ سير الأعلام) .

وقال ابن مُحيريز رحمه الله : (إن استطعتَ أن تَعرف ولا تُعرف، وتَسأل ولا تُسأل، وتمشي ولا يُمشى إليك، فافعل)[٦٣٧] .

لذلك كانت العزلة من أهم سبل العلاج، وإن كانت آخرها، غير أن هذا السبيل مقيد بقيدين :

(الأول): أن يكون المرء قد تداوى بكل الطرق سالفة البيان، ولم تجد ثمة طريقـة في دفع الرياء .

(الثاني): أن يعلم المرء من نفسه أن مخالطة الناس : تزيد هذا المرض الخبيث عنده .

فعند ذاك فلا منجى ولا ملجأ بعد دعاء الله تعالى بإزالة الكرب، من العزلة عن الناس لفترة ما .

(٦٣٧) (٣/ ١٦٦ العقد الفريد) .

فصل في : الرياء وأثره السيئ على الأمة

لما فُتحت قبرص وفرق بين أهلها فبكى بعضهم بعضًا، قال جبير بن نفير رحمه الله : رأيت أبا الدرداء جالسا وحده يبكي، فقلت: يا أبا الدرداء : ما يبكيك في يوم أعزَّ الله فيه الإسلام وأهله، فقال: (ويحك يا جبير ما أهون الخلق على الله عز وجل إذا أضاعوا أمره، بينما هي أمةٌ قاهرةٌ ظاهرة لهم الملك، تركوا أمر الله فصاروا إلى ما ترى) (٦٣٨) .

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: (كيف أنتم إذا لبستكم فتنة يهرم فيها الكبير ويربو فيها الصغير ويتخذها الناس سنة إذا ترك منها شيء قيل تركت السنة) قالوا : ومتى ذاك ؟ قال: (إذا ذهبت علماؤكم وكثرت قراؤكم وقلَّت فقهاؤكم وكثرت أمراؤكم وقلَّت أمناؤكم والتمست الدنيا بعمل الآخرة وتفقه لغير الدين) (٦٣٩) .

فأما ما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه، فيصور حال الأمة الإسلامية الآن، إذ هي أمةٌ ضعيفة قلَّ علماؤها وأمناؤها، وكثر أمراؤها وقراؤها فكثرت الفتن وادلهمت الخطوب .

---

(٦٣٨) (١٧٦ / الزهد للإمام أحمد) (٢ / العقوبات لابن أبي الدنيا) : وجبير بن النفير : ثقة جليل مخضرم .

(٦٣٩) صححه الألباني وقال (صحيح لغيره موقوفًا) (١١١ / صحيح الترغيب) ، وقال في موضع آخر:(صح عن ابن مسعود موقوفًا وهو مرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم حكمًا) (٣ / قيام رمضان) ، وقال: (لأنه من أمور الغيب التي لا تدرك بالرأي ولاسيما وقد وقع كل ما فيه من التنبؤات) (١٦ / تحريم آلات الطرب) : (٤ / ٥١٤ المستدرك) (١ / ٦٤ الدارمي) (٧ / ٤٥٢ عبد الرزاق) (٣١٤٣٠ / كنز العمال) (١ / ٣٧ الجامع لأحكام القرآن) (١ / ١٨٨ جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر) .

وأما أثر أبي الدرداء رضي الله عنه، فينبئ بمآل أمة كهذه، إذ هي على النحو السالف ضيعت أمر الله عز وجل ولا شك، فحق فيها قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾[٦٤٠].

ولله در إبراهيم بن أدهم رحمه الله حين قال:

نرقع دُنيانا بتمزيقِ ديننا فلا دِينُنا يبقى ولا ما نُرقعُ

وقول ابن مسعود رضي الله عنه: (والتمست الدنيا بعمل الآخرة، وتفقه لغير الدين) يبين وجه الربط بين الرياء وحال الأمة ومآلها، إذ الرياء في حقيقته ما هو إلا التماس الدنيا بعمل الآخرة.

وقد وضح العلامة الذهبي رحمه الله هذه العلاقة بين الرياء والعجب والاختيال وحب الرئاسة، ومآل الأمة، وأشار إلى نهاية أمة كثرت فيها هذه الأمراض، فقال: (فكم من رجل نطق بالحق وأمر بالمعروف فيسلط الله عليه من يؤذيه لسوء قصده وحبه للرئاسة الدينية فهذا داء خفي سار في نفوس الفقهاء، كما أنه داء سار في نفوس المنفقين من الأغنياء وأرباب الوقوف والترب المزخرفة وهو داء خفي يسري في نفوس الجند والأمراء والمجاهدين فتراهم يلتقون العدو ويصطدم الجمعان وفي نفوس المجاهدين مخبآت وكمائن من الاختيال، وإظهار الشجاعة ليقال، والعجب، ولبس القراقل المذهبة والخوذ المزخرفة والعدد المحلاة على نفوس متكبرة وفرسان متجبرة وينضاف إلى ذلك إخلال بالصلاة وظلم للرعية وشرب للمسكر فأنى ينصرون وكيف لا يخذلون اللهم فانصر دينك ووفق عبادك فمن طلب العلم للعمل كسره العلم وبكى على نفسه، ومن طلب العلم للمدارس والإفتاء والفخر والرياء

---

(٦٤٠) (٣٨/ محمد).

تحامق واختال وازدرى بالناس وأهلكه العجب ومقتته الأنفس)[٦٤١] .

وهكذا تفشى التماس الدنيا بعمل الآخرة (الرياء) في المجتمع، يجعل منظره ومظهره جميلاً بديعًا، لكنه ضعيفًا مصمتًا من الداخل، كالرجل السمين الضخم الذي يؤتى به يوم القيامة فيوضع في الميزان، فلا يزن عند الله جناح بعوضة، لحبوط أعماله وردها عليه، أو المفلس الذي قال عنه النبي صلى الله عليه وسلم : «**إِنَّ المفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ القِيَامَةِ بِصَلاَةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ**»[٦٤٢] .

فهكذا الجسد الخلاب، حلو المنظر الجذاب، إذا هبت أعاصير الرياح، جعلته هشيمًا كالتراب، والله أسأل أن يجنبنا فتنة يهرم فيها الكبير ويربو فيها الصغير ويتخذها الناس سنة إذا ترك منها شيء قيل تركت السنة، والله المستعان .

---

(٦٤١) (١٨ / ١٩٢ سير الأعلام).

(٦٤٢) صحيح : (٢٥٨١ / البر والصلة والآداب / مسلم) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

تتمة في خوف السلف من الرياء

خاف النبي صلى الله عليه وسلم على أصحابه الرياء، فخاف الصحابة والسلف رضي الله عنهم على أنفسهم منه، وسبب خوفهم يتأتى بعقد مقارنة بما عليه مسلمو عصرنا - حيث أمنوا الرياء والعجب والغرور برغم أنهم أقل عملاً وأضعف إيمانًا وأشد غربة - ألا وهو أن السلف رحمهم الله عرفوا الإخلاص، بل اكتمل عندهم، حتى صافحتهم الملائكة [٦٤٣]، وخافهم الملوك والأمراء، ولانت لهم بقاع الأرض، ولله در سهل بن عبد الله رحمه الله حين قال: (لا يعرف الرياء إلا مخلص ولا النفاق إلا مؤمن ولا الجهل إلا عالم ولا المعصية إلا مطيع) [٦٤٤]، وقد بكى ربيعة بن أبي عبد الرحمن يوما، فقيل : ما يبكيك؟ قال : (رياء حاضر، وشهوة خفية)، ثم قال : (الناس عند علمائهم كصبيان في حجور أمهاتهم، إن أمروهم ائتمروا، وإن نهوهم انتهوا) [٦٤٥].

* والأمثلة على خوفهم من الرياء كثيرة جدًّا، وشاق على من أراد جمعها جمعها، ونذكر منها :

الصديق وحنظلة رضي الله عنهما :

قال حَنْظَلَةَ الأُسَيدِيِّ رضي الله عنه : لقيني أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: كَيْفَ أَنْتَ يَا حَنْظَلَةُ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ، قَالَ: سُبْحَانَ الله مَا تَقُولُ قَالَ: قُلْتُ: نَكُونُ

(٦٤٣) وقد كانت الملائكة تسلم على عمران بن حصين رضي الله عنه في مرضه ، فلما اكتوى تركت الملائكة مصافحته ، فلما ترك عادت تسلم عليه (١٢٢٦ / الحج / مسلم).
(٦٤٤) (٩٦ / مختصر شعب الإيمان).
(٦٤٥) (١ / ٥٢٣ نزهة الفضلاء).

عِنْدَ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّا رَأْيَ عَيْنٍ فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم عَافَسْنَا الأَزْوَاجَ وَالأَوْلاَدَ وَالضَّيْعَاتِ فَنَسِينَا كَثِيرا قَالَ أَبُو بَكْرٍ: والله إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى النبي صلى الله عليه وسلم قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ يَا رَسُولَ الله فَقَالَ صلى الله عليه وسلم : «وَمَا ذَاكَ؟» قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله نَكُونُ عِنْدَكَ تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّا رَأْيَ عَيْنٍ فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ عَافَسْنَا الأَزْوَاجَ وَالأَوْلاَدَ وَالضَّيْعَاتِ نَسِينَا كَثِيرا، فَقَالَ صلى الله عليه وسلم : «**والذي نفسي بِيَدِهِ إِنْكم لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عندي وَفِي الذِّكْرِ لَصَافَحَتْكُمُ المَلاَئِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةٌ وَسَاعَةٌ**»(٦٤٦) .

الحِب ابن الحب : أسامة بن زيد رضي الله عنهما :

قِيلَ لأُسَامَةَ بن زيد رضي الله عنهما حِب رسول الله صلى الله عليه وسلم: أَلاَ تَدْخُلُ عَلَى عُثْمَانَ فَتُكَلِّمهُ فَقَالَ: أَتَرَوْنَ أَنِّي لاَ أُكَلِّمُهُ إِلاَّ أُسْمِعُكُمْ وَالله لَقَدْ كَلَّمْتُهُ فِيمَا بيني وَبَيْنَهُ، مَا دُونَ أَنْ أَفْتَتِحَ أَمْرا لاَ أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ فَتَحَهُ وَلاَ أَقُولُ لأَحَدٍ يَكُونُ عَلَيَّ أَمِيرا إِنَّهُ خَيْرُ النَّاسِ، بَعْدَ مَا سَمِعْتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «**يُؤْتَى بِالرَّجُلِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُ بَطْنِهِ فَيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الحِمَارُ بِالرَّحَى فَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ فَيَقُولُونَ: يَا فُلاَنُ مَا لَكَ؟ أَلَمْ تَكُنْ تَأْمُرُ بِالمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنِ المنْكَرِ فَيَقُولُ: بَلَى قَدْ كُنْتُ آمُرُ بِالمَعْرُوفِ وَلاَ آتِيهِ وَأَنْهَى عَنِ المنْكَرِ وَآتِيهِ**»(٦٤٧) .

---

(٦٤٦) سبق تخريجه .

(٦٤٧) سبق تخريجه .

وأقتابه : أمعاؤه ، والاندلاق : خروج الشيء من مكانه .

كاتم سر النبي صلى الله عليه وسلم : حذيفة بن اليمان رضي الله عنه :
بكى في صلاته، فلما فرغ، التفت فإذا رجل خلفه، فقال: (لا تعلمن بهذا أحدًا) [٦٤٨] .

أبو هريرة ومعاوية رضي الله عنهما :

دخل شفيا الأصبحي[٦٤٩] رحمه الله المدينة فإذا هو برجل قد اجتمع عليه الناس فقال: من هذا؟ فقالوا: أبو هريرة فدنا منه حتى قعد بين يديه وهو يحدث الناس فلما سكت وخلا قال له : أنشدك بحق وبحق لما حدثتني حديثًا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم عقلته وعلمته، فقال أبو هريرة: أفعل لأحدثنك حديثًا حدثنيه رسول الله صلى الله عليه وسلم عقلته وعلمته ثم نَشَغَ[٦٥٠] أبو هريرة نشغه فمكث قليلاً ثم أفاق: فقال لأحدثنك حديثًا حدثنيه رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا البيت ما معنا أحد غيري وغيره ثم نشغ أبو هريرة نشغة أخرى ثم أفاق ثم نشغ أبو هريرة نشغة شديدة ثم مال خارًّا على

قال الإمام النووي رحمه الله : وفيه الأدب مع الأمراء واللطف بهم ووعظهم سرًّا ، وتبليغهم ما يقول الناس فيهم لينكفوا عنه ، وهذا كله إذا أمكن ذلك ، فإن لم يمكن الوعظ سرًّا والإنكار فليفعله علانية لئلا يضيع أصل الحق (٩ / ٣٤٥ صحيح مسلم بشرح النووي) .

(٦٤٨) (١٣٤ : ١٣٥ / الرقة والبكاء).

(٦٤٩) تابعي مشهور ، ذكره الطبري رحمه الله في الصحابة ، وقال الطبراني رحمه الله: (مختلف في صحبته) ، والراجح كما قال الحافظ ابن حجر رحمه الله أنه ليس بصحابي (٤ / ٣١٥ التهذيب).

(٦٥٠) بفتح النون والشين : أي شهق حتى كاد يغشى عليه أسفًا وخوفًا .

وجهه فأسنده عليه طويلاً ثم أفاق فقال: حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنَّ الله تبَارك وتعَالى إذَا كَان يوم القِيامةِ ينزلُ إلى العبَاد ليقضِي بينهُم وكلُّ أمةٍ جاثيةٍ فأوَّل منْ يدعُو به رجلٌ جمعَ القرآنَ ورجلٌ يقتتل في سبيلِ الله ورجلٌ كثيرُ المالِ فيقولُ الله للقارئ ألمْ أعلِّمك مَا أنزلتُ علَى رسُولي؟ قالَ: بلَى يَا رب قالَ: فمَاذا عملتَ فيمَا علمتَ قال: كنتُ أقومُ بِه آناءَ الليلِ وآناء النَّهار فيقولُ الله له: كذبتَ وتقولُ لهُ الملائكةُ كذبتَ ويقولُ الله: بلْ أردتَ أنْ يقالَ إنَّ فلانًا قارئ فقدْ قيلَ ذلكَ ويؤتَى بصاحبِ المال فيقولُ اللهُ لهُ ألمْ أوسِّع عليكَ حتَّى لم أدعْك تحتاج إلى أحدٍ قال: بلَى يَا ربِّ قالَ: فماذَا عملتَ فيمَا آتيتُك؟ قال: كنتُ أصِل الرحمَ وأتصدقُ فيقولُ الله لهُ كذبتَ وتقولُ لهُ الملائكةُ كذبتَ ويقولُ اللهُ تعالى بلْ أردتَ أنْ يقال فلانٌ جوادٌ فقدْ قيلَ ذاك ويؤتَى بالذِي قُتلَ في سَبيلِ الله فيقولُ الله لهُ في ماذَا قُتلتَ؟ فيقولُ: أمرتُ بالجهَاد في سبيلكَ فقاتلتُ حتَّى قُتلتُ فيقولُ الله تَعالى لهُ كَذبتَ وتقولُ لهُ الملائكةُ كذبتَ ويقولُ الله بلْ أردتَ أنْ يقالَ فلانٌ جَريءٌ فقدْ قيلَ ذاكَ» ثم ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ركبتي فقال يا أبا هريرة: «أولئكَ الثلاثةُ أولُ خلقِ الله تسعَّر بهمُ النَّار يومَ القيامةِ» وقد دخل شفيا على معاوية فأخبره بهذا، فقال معاوية قد فعل بهؤلاء هذا فكيف بمن بقي من الناس ثم بكى معاوية بكاء شديدًا حتى ظن من حوله أنه هالك ثم أفاق ومسح عن وجهه وقال: صدق الله ورسوله [٦٥١] ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ، أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [٦٥٢] .

---

(٦٥١) سبق تخريجه .

(٦٥٢) (١٥ : ١٦ / هود).

بريدة رضي الله عنه :

عن ابن بريدة رحمه الله عن أبيه رضي الله عنه قال : (شهدت خيبر وكنت فيمن صعد الثلمة فقاتلت حتى رئي مكاني وعلي ثوب أحمر فما أعلم أني ركبت في الإسلام ذنبًا أعظم علي منه) .

قال الإمام الذهبي رحمه الله معلقًا : (بلى جهال زماننا يعدون اليوم مثل هذا الفعل من أعظم الجهاد)[٦٥٣] .

العرباض بن سارية رضي الله عنه :

وعنه رضي الله عنه قال : (لولا أن يقال، فعل أبو نجيح، لألحقت مالي سبلة، ثم لحقت واديا من أودية لبنان عبدتُ الله حتى أموت)[٦٥٤] .

إمام التابعين أبو وائل، شقيق ابن سلمة رحمه الله :

عن عاصم رحمه الله قال : كان أبو وائل، إذا صلى في بيته ينشج نشيجًا، ولو جعلت له الدنيا على أن يفعله وواحد يراه، ما فعله[٦٥٥] .

الإمام الورع علي بن الحسين رحمه الله :

وكان علي بن الحسين رحمه الله إذا تصدق في العلن قبَّل السائل ثم ناوله وإذا تصدق في السر خفي خبره عن الناس، حتى كشف أمره أثر جُرُبِ الدقيق الذي كان على ظهره حيث كان يحملها بالليل للمساكين[٦٥٦] .

---

(٦٥٣) (٢ / ٤٧٠ سير الأعلام) (١ / ١٧٩ نزهة الفضلاء) .
(٦٥٤) (١ / ٢٩٣ نزهة الفضلاء) .
(٦٥٥) (١ / ٣٥٧ نزهة الفضلاء) .
(٦٥٦) (٢٠٨ / الزهد للإمام أحمد).

مالك بن دينار رحمه الله :

وروى أحمد رحمه الله عن مالك بن دينار رحمه الله قال : (مذ عرفت الناس لم أفرح بمدحهم ولم أكره مذمتهم، قيل : ولم ذاك؟ قال: لأن حامدهم مفرط، وذامهم مفرط)(٦٥٧) .

عالم المدينة ومفتيها : الإمام مالك بن أنس رحمه الله :

كان يقول في لبس الصوف : (لا خير في لبسه إلا في سفر كما لبسه النبي صلى الله عليه وسلم، لأنه شهرة، وأنه لقبيح بالرجال أن يعرف دينه بلباسه)(٦٥٨) .

إمام أهل السنة أحمد بن حنبل رحمه الله :

وروى ابن الجوزي رحمه الله بإسناده عن أحمد بن حنبل رحمه الله قوله: (إظهار المحبرة من الرياء)(٦٥٩) .

محمد بن سيرين رحمه الله :

قال ابن حبان رحمه الله : كان محمد بن سيرين من أورع أهل البصرة وكان فقيهًا فاضلاً حافظًا متقنًا، عن ثابت البناني رحمه الله قال : قال لي محمد ابن سيرين : (كنت أمتنع من مجالستكم مخافة الشهرة)(٦٦٠) .

---

(٦٥٧) (١ / ١٠٩ الآداب الشرعية) .
(٦٥٨) (٨٨ / تزيين الممالك).
(٦٥٩) (١ / ١٠٩ الآداب الشرعية).
(٦٦٠) (٩ / ١٩١ تهذيب التهذيب).

علقمة بن قيس بن عبد الله رحمه الله :

عن عبد الرحمن بن يزيد رحمه الله قال : قلنا لعلقمة : لو صليت في المسجد وجلسنا معك فتسأل، قال : (أكره أن يقال : هذا علقمة)[٦٦١].

شيخ الإسلام محمد بن أسلم :

قال محمد بن القاسم رحمه الله : صحبت محمد بن أسلم أكثر من عشرين سنة لم أره يصلي حيث أراه ركعتين من التطوع إلا يوم الجمعة، وسمعته كذا وكذا مرة يحلف لو قدرت أن أتطوع حيث لا يراني ملكاي لفعلت خوفًا من الرياء، وكان يدخل بيتًا له ويغلق بابه ولم أدر ما يصنع حتى سمعت ابنًا له صغيرًا يحكي بكاءه، وكان إذا أراد أن يخرج غسل وجهه واكتحل فلا يرى عليه أثر البكاء، وكان يصل قومًا ويكسوهم ويقول للرسول: انظر أن لا يعلموا مَن بعثه، ولا أعلم منذ صحبته وصل أحدًا بأقل من مائة درهم إلا أن لا يمكنه ذلك [٦٦٢].

الإمام الورع أيوب السختياني رحمه الله :

روى ابن أبي الدنيا رحمه الله، عن حماد بن زيد رحمه الله قال : ذكر أيوب يومًا شيئًا فرقّ، فالتفت كأنه يتمخط، ثم أقبل علينا فقال: (إن الزكام شديد على الشيخ)، وقال عبد الرحمن بن مسلم رحمه الله : بكى مرة فلم يملك عبرته فقام [٦٦٣].

وروى أيضًا عن أبي داود رحمه الله عن حماد بن زيد رحمه الله قال : كنا إذا

---

(٦٦١)(١ / ٣٣١ نزهة الفضلاء) .
(٦٦٢)(١٢ / ٢٠٠ : ٢٠١ سير الأعلام)
(٦٦٣)(١٣١ ، ١٣٤ / الرقة والبكاء)

مررنا بالمجلس ومعنا أيوب فسلم ردوا ردًّا شديدًا، قال : (فكأن ذلك نقمة)، قال أبو داود : (كراهة الشهرة)[٦٦٤] .

وكان أيوب رحمه الله يقوم الليل كله فيخفي ذلك، فإذا كان عند الصبح رفع صوته كأنه قام تلك الساعة[٦٦٥]. وكـان رحمه الله يقول : (ما صدق عبد قط فأحب الشهرة)[٦٦٦] .

حصين بن عبد الرحمن رحمه الله :

وعن حصين بن عبد الرحمن رحمه الله قال: (كنت عند سعيد بن جبير فقال : أيكم رأى الكوكب الذي انقض البارحة؟) فقلت: (أنا) ثم قلت: (أما إني لم أكن في صلاة ولكني لدغت) قال: (فما صنعت؟) قلت: (ارتقيت) قال: (فما حملك على ذلك؟) قلت: (حديث حدثناه الشعبي) قال: (وما حدثكم الشعبي؟) قلت: (حدثنا أنه قال: لا رقية إلا من عين أو حمة) فقال: (قد أحسن من انتهى إلى ما سمع) .

قال الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله: (قوله: «أما إني لما أكن في صلاة» القائل هو حصين خاف أن يظن الحاضرون أنه ما رأى النجم إلا لأنه يصلي فأراد أن ينفي عن نفسه إيهام العبادة وأنه يصلي مع أنه لم يكن فعل ذلك وهذا يدل على فضل السلف الصالح وحرصهم على الإخلاص وشدة ابتعادهم عن الرياء بخلاف من يقول فعلت وفعلت ليوهم الناس أنه من الأولياء وربما علق السبحة في عنقه أو أخذها في يده يمشي بها بين الناس إعلاما للناس أنه يسبح

---

(٦٦٤) (٨٣ / التواضع والخمول).
(٦٦٥) (١ / ٥١٤ نزهة الفضلاء) .
(٦٦٦) (١ / ١٩٠ ابن الجعد).

عدد ما فيها من الخرز وعن ابن مسعود أنه مر برجل يسبح بحصى فضربه برجله ثم قال: (لقد جئتم ببدعة ظلمًا أو لقد غلبتم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم علمًا) [٦٦٧].

عبد الرحمن بن أبي ليلى رحمه الله :

عن الأعمش رحمه الله قال : كان عبد الرحمن بن أبي ليلى يصلي، فإذا دخل الداخل نام على فراشه [٦٦٨].

ابن أبي لبابة رحمه الله :

عنه رحمه الله قال : (لوددت أن حظي من أهل الزمان أنهم لا يسألوني عن شيء ولا أسألهم، إنهم يتكاثرون بالمسائل كما يتكاثر أهل الدراهم بالدراهم) [٦٦٩].

أحمد بن أبي الحواري رحمه الله :

أخرج أبو نعيم رحمه الله في الحلية أن الإمام أحمد بن أبي الحواري رحمه الله: طلب العلم فلما بلغ ما بلغ، جلس للناس فلما بلغ ما بلغ، حمل كتبه إلى شط الفرات وجلس يبكي ساعة ثم نظر لها وقال: (نعم الدليل كنت لي على ربي، ولكن لما ظفرت بالمدلول علمت أن الاشتغال بالدليل محال) ثم قام فغسل كتبه [٦٧٠].

---

(٦٦٧) (٧٩ : ٨٠ / تيسير العزيز الحميد).
(٦٦٨) (١ / ٣٨٢ نزهة الفضلاء) .
(٦٦٩) (١ / ٤٨٥ نزهة الفضلاء) .
(٦٧٠) (١ / ١٧٢ أبجد العلوم).

خالد بن معدان رحمه الله :

وعن خالد بن معدان رحمه الله : أنه كان إذا كثرت حلقته قام مخافة الشهرة [٦٧١] .

حسان بن أبي سنان رحمه الله :

كان يحضر حلقة مالك بن دينار رحمه الله، فإذا تكلم مالك بكى حتى يبل ما بين يديه لا يسمع له صوت [٦٧٢] .

جماع مِن أخبار مَنْ أفزعهم الرياء :

• وعن عثمان بن عمارة رحمه الله قال : خرجنا مرة عشرة من أصحاب عبد الواحد بن زيد من البصرة حتى ركبنا البحر فسرنا في خدافه حتى انتهينا إلى سراب فدخلنا مسجدها فتذاكرنا الرياء فيما بيننا فقلنا: حدث عبد الواحد عن الحسن أن: (أصل الرياء حب المحمدة) فإذا شيخ قائم يصلي طوال أبيض الرأس واللحية به جنا في جبهته سجاده قريب منه فلما سمع قولنا أن أصل الرياء حب المحمدة صاح صيحة ظننا أن نفسه قد خرجت ثم انحنى فأخذ من رمل المسجد فوضعه على رأسه ثم قال: يا ويلي ويا عولي إني لأعبد الله في هذا المكان منذ أربعين سنة ما أقوى على ذلك إلا بحب محمدة الناس إياي قال عثمان: فتاب إلى الله بعد أربعين عامًا [٦٧٣] .

• قال بعضهم : (إني لأجتهد في نزع الرياء من قلبي وكلما نزعت لوناً، ظهر لي لون آخر) وقال بعضهم : (لو أعلم أن الله تقبل مني سجدة، لتمنيت

(٦٧١) (٧١ / التواضع والخمول) (٣ / ١٠٢ تهذيب التهذيب).
(٦٧٢) (١٣٦ / الرقة والبكاء).
(٦٧٣) (٥١ / الأولياء).

الموت) [٦٧٤].

• وقد رأى أحدهم رجلاً في المسجد قد سجد سجدةَ شكرٍ فأطالها، فقال : (ما أحسن هذا لو كان في بيتك) [٦٧٥].

• وأتى أبو أمامة الباهلي رضي الله عنه، على رجل في المسجد وهو ساجد يبكي ويدعو، فقال : (أنت، لــو كان هذا في بيتك) [٦٧٦].

• ونظر رجاء بن حيوة رحمه الله، إلى رجل ينعس بعد الصبح فقال : (انتبه، لا يظنون أن ذا عن سهر) أي: بسبب قيـام الليل والتعبد فيه [٦٧٧].

• وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى رحمه الله، قال : (أدركت عشرين ومائة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، من الأنصار ما منهم رجل يسأل عن شيء إلا ودَّ أن أخاه كفاه، ولا يحدث بحديث إلا ودَّ أن أخاه كفاه) [٦٧٨].

• وعن محمد بن واسع رحمه الله، قال : (لقد أدركت رجالاً كان الرجل يكون رأسه ورأس امرأته على وساد واحد، قد بلَّ ما تحت خده من دموعه، لا تشعر به امرأته، ولقد أدركت رجالاً كان أحدهم يقوم في الصف فتسيل دموعه على خديه، لا يشعر به الذي إلى جنبه) [٦٧٩].

• وعن ابن عون عن إبراهيم رحمهما الله قال : (إن كانوا ليكرهــون إذا

---

(٦٧٤) (٣٠٨/ فتح المجيد).
(٦٧٥) (٢٠/ ١٦٦ الجامع لأحكام القرآن).
(٦٧٦) (١/ ٢٨١ نزهة الفضلاء) (٣/ ٢٩٦/ الإحياء).
(٦٧٧) (١/ ٤٤٦ نزهة الفضلاء).
(٦٧٨) (١٤٧/ تلبيس إبليس).
(٦٧٩) (١٣٥/ الرقة والبكاء).

اجتمعوا أن يخرج الرجل أحسن حديثه أو أحسن ما عنده)[٦٨٠] .

• وعن الحسن رحمه الله قال : (إن كان الرجل لقد جمع القرآن وما يشعر به جاره وإن كان الرجل لقد فقه الفقه الكثير وما يشعر به الناس وإن كان الرجل ليصلي الصلاة الطويلة في بيته وعنده وردت الزور وما يشعرون به ولقد أدركنا أقوامًا ما كان على ظهر الأرض من عمل يقدرون على أن يعملوه في سر فيكون علانية أبدًا)[٦٨١] .

• وعنه رحمه الله قال : (ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء وما يسمع لهم صوت إن كان إلا همسا بينهم وبين ربهم عز وجل)[٦٨٢] .

إلهي لا تعذبني فإني ... مقرٌّ بالذي قد جاء مني
وما لي حيلةٌ إلا رجائي ... وعفوك إن عفوت وحسن ظني
فكم من زلة لي في البراري ... وأنت علي ذو فضل ومنِّ
يظن الناس بي خيرًا وإني ... لشر الناس إن لم تعف عني

هذا وبالله التوفيق والحمد لله رب العالمين

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وصل اللهم على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم

*****

(٦٨٠) (٤٥ / الزهد لابن المبارك) .
(٦٨١) (أحمد في المسند) (٤٥ / الزهد لابن المبارك) .
(٦٨٢) (٤٥ / الزهد لابن المبارك) .

الفهرست